حياة النبي ﷺ

وسيرته

تأليف:

حجة الإسلام والمسلمين

الشيخ محمد قوام الوشنوي

دار الأسوة للطباعة والنشر

التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية

حياة النبي وسيرته

١

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته

تأليف :

حجة الإسلام والمسلمين

الشيخ محمد قوام الوشنوي

باشراف

رضا الأستادي

المجلد الأول

حياة النبي ﷺ وسيرته (ج ١)

تأليف : الشيخ محمد قوام الوشنوي

إشراف : رضا الاستادي

الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر

المطبعة : اسـوه

الطبعة : الاولى

تاريخ النشر : ١٤١٦ هـ.ق

عدد المطبوع : ٢٠٠٠ دورة

ثمن الدورة : ٣٠٠٠ تومان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر الجزيل إلى مؤسسة آل البيت لاحياء التراث وحجة الاسلام السيد جواد الشهرستاني لقيامهم بتخريج نصوص وروايات الكتاب.

وكذلك للسيد أحمد الحسيني الاشكوري لتقبله تقويم نص الجزء الأول والثاني من الكتاب.

وللشيخ حسين واثقي لتقويمه نص الجزء الثالث، وقيامه بالتصحيح النهائي للأجزاء الثلاثة.

قم

رضا الاستادي

١٤١٥هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف:

هو العالم المحدث المتتبع حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد قوام بن حبيب الله القمي الوشنوي.

ولد في سنة ١٣٢٥ هـ ق في الوشنوة ـ أحد توابع قم ـ وهاجر في سنة ١٣٤٥ هـ ق الى قم المشرفة لتحصيل العلم واشتغل فيها سنتين، ثمّ هاجر الى النجف الاشرف واشتغل فيها سنة، ثمّ رجع الى قم وصار وطنه الثاني الى الآن. أدام الله عمره الشريف.

مشايخه:

استفاد من عدة من الأعلام رحمة الله عليهم:

١ ـ آية الله العظمى الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي.

٢ ـ آية الله العظمى الحاج الشيخ محمد علي الحائري القمي.

٣ ـ آية الله العظمى السيد محمد الحجة الكوه كمري.

٤ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد الفيض القمي.

٥ ـ آية الله العظمى السيد محمد تقي الخوانساري.

٦ ـ آية الله العظمى السيد الحاج آقا حسين البروجردي الطباطبائي.

٧ ـ آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

شيخه في الرواية:

آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمه الله.

قال في خاتمة كتابه المسمى بالنور الساطع في أحوال مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

ما أودعته في هذا المختصر من الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم ما بقي الليل والنهار، نقلته عن الكتب المعتمدة عند علماء الإسلام فأسانيدي الى تلك الكتب متصلة موصولة بواسطة سيد مشايخي العلّامة الأكبر وحيد عصره وفريد دهره البحر الزاخر والعلم الزاهر بقية السلف ومحيي آثاره والحجة على الخلف ومن يأتي بعده، الذي يكون حقه عليَّ أكثر من حق الوالد على الولد، الراوي عن علماء الإسلام بفرقهم المتشعبة، الورع الزاهد، والسيد المجاهد، سند الأصول، وإمام الفقه، الآية العظمى والزعيم الأعظم، السيد شهاب الدين النجفي المرعشي جزاه الله عني وعن الإسلام خير الجزاء.

مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ حديث الثقلين: طبع بمصر وايران مرات. واليك تقريظ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر لهذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الهداة المهتدين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد: فهذه رسالة موجزة في تحقيق حديث الثقلين ألّفها العلّامة الفاضل الشيخ محمد قوام الدين القمي الوشنوي.

وهي على وجازتها قد استوعبت جميع روايات هذا الحديث وأسانيده، وسلك فيها مؤلفها سبيل الحكمة والإعتدال، وأعرض عن مقام الشحناء والجدال، واستدل على ما قاله

بأدلة يرتضيها كل من الشيعة والسنّة ذات أسانيد ـ كما ذكر في آخر البحث ـ معنعنة متصلة موصولة بواسطة أحد مشايخه الأعاظم ـ أدام الله تعالى ظله ـ الراوي عن علماء الإسلام بفرقهم المتشعبة من الإمامية والحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والزيدية.

ودار التقريب، حين تنشر هذه الرسالة المهداة اليها، انّما تنشرها لما يتجلى فيها من اتفاق بين هاتين الطائفتين العظيمتين من المؤمنين في أصول التشريع فانّ السنّة المطهرة من أثبت العمد التي يبني عليها أهل الإسلام جميعاً، ومتى صحت الرواية عن رسول الله ﷺ من أي طريق، كان على المؤمنين أن يتقبلوها راضين. وأن ينزلوا على حكم الله فيها ممتثلين. ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

رجب الفرد سنة ١٣٧٤

دار التقريب

وترجمه بالفارسية أحد الأفاضل ـ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفى الملكي ﷺ وسماه: دوگوهر گرانبها ـ وطبع مرات بقم وطهران.

وترجمه بالأردو مولانا سيد محمد عباس قمر زيدي وطبع بكراچي پاكستان.

٢ ـ أهل البيت وآية المباهلة: رسالة فريدة، عزيزة في بابه. طبع مرات بقم.

قال في خاتمته: لا يخفى على القارىء انّنا اقتصرنا في هذه الرسالة على نقل الروايات من طرق العامة ونقل كلمات مفسريهم ومؤرخيهم، وأما نقل أحاديث الباب من طرق الشيعة الإمامية ونقل كلمات أعلامهم فيحتاج الى رسالة مفردة أخرى.

ترجم هذه الرسالة بالفارسية أحد الفضلاء ـ السيد أبو فاضل الرضوي الشيرازي سلّمه الله تعالى ـ وسمّاه: أهل بيت وآيهٔ مباهله. طبع بقم.

٣ ـ النور الساطع في أحوال مولانا الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) سورة النساء / الآية ٦٥.

طبع في سنة ١٣٥٣ هـ ش بقم في ٨٠ صفحة.

ترجم هذه الرسالة بالفارسية أحد الفضلاء ـ الشيخ اسماعيل النوروزي سلّمه الله ـ وسمّاه: نور درخشان پيرامون زندگاني حضرت صادق عليه السلام.

طبع بقم في ١٨٤ صفحة.

٤ ـ فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام من كتاب المسند لأحمد بن حنبل:

تتبع المؤلف سلّمه الله تعالى كتاب المسند بمجلداته الستة وأخرج منها فضائل مولانا علي عليه السلام. فهو كتاب ممتع. طبع بقم في ١٢٠ صفحة.

٥ ـ الحديث المتواتر في غزوة خيبر:

انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله، ويحبهُ الله ورسوله، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجون أن يعطاها... فأعطى علياً عليه السلام الراية.

أثبت المؤلف في هذه الرسالة تواتر ذلك الحديث من المصادر المعتمدة عند العامة. طبع في ١١٢ صفحة بقم.

٦ ـ أصحاب رسول الثقلين في حرب الصفين:

أخرجها من هذه الكتب: الاصابة، الاستيعاب، أسد الغابة، تاريخ الخلفاء للسيوطي، العقد الفريد، تاريخ الطبري، تاريخ الكامل لابن الأثير، المستدرك للحاكم النيسابوري، الجامع للأصول لابن الاثير والخصائص الكبرى للسيوطي. طبع بقم في ١٤٤ صفحة.

٧ ـ الحجاب في الإسلام:

رسالة فقهية حول مسائل الحجاب. طبع بقم في سنة ١٣٧٩ هـ ق في ١٠٢ صفحة.

ترجم هذه الرسالة بالفارسية أحد الأفاضل ـ الشيخ المحسني الگركاني ـ وسمّاه: حجاب در اسلام، وطبع بقم في ٢٢٨ صفحة.

٨ ـ حياة النبي وسيرته صلى الله عليه وآله:

وهو الذي بين يديك.

هذا الكتاب ألف في ثلاث مجلدات، وهو كما قال في مقدمته: جمع من المصادر المعتبرة عند العامة، إجابة للسيد العلّامة صاحب لواء الشيعة، المنتهى اليه رئاسة الجعفرية، الآية العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائي... .

وأما مؤلفاته غير المطبوعة:

٩ ـ حياة الإمام الجواد عليه السلام (تحليلى از زندگى امام جواد عليه السلام). طبع بقم في ١٤٢ صفحة.

١٠ ـ حياة الإمام علي النقي عليه السلام (تحليلى از زندگى امام على النقى عليه السلام). طبع بقم في ١١١ صفحة.

١١ ـ حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام (تحليلى از زندگى امام حسن عسكرى عليه السلام). طبع بقم في ١٦٠ صفحة.

١٢ ـ وظيفة المؤمنين في عصر الغيبة (وظيفه مردم در عصر غيبت امام زمان عليه السلام). طبع بقم في ١٤٢ صفحة.

١٣ ـ معرفة المهلكات والمنجيات من القرآن الكريم (شناخت هلاک كننده‌ها و نجات دهنده‌ها از قرآن). طبع بقم في ١٠٣ صفحة.

وهذه الكتب الخمسة فارسي وبإملاء شيخنا المؤلف لا بقلمه.

١٤ ـ ولا يخفى انّ شيخنا المؤلف أحد الأعلام الذين أعانوا آية الله العظمى المرعشي النجفي رحمه الله في تحقيق كتاب «إحقاق الحق» وتأليف ملحقاته ومستدركاته.

١٥ ـ رسالة حول مسألة الحجاب بالفارسية. رداً لبعض المؤلفين بأمر سماحة آية الله البروجردي.

١٦ ـ رسالة أخرى حول الحجاب رداً لشخص آخر.

١٧ ـ رسالة في حكم لبس الخز والسنجاب والسمور.

١٨ ـ كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام من كتاب النهاية لابن الأثير.

١٩ ـ الأربعين حديثاً من الأئمة عليهم السلام.

٢٠ ـ مكارم الأخلاق الذي أملاه المؤلف دام ظله على أحد الأفاضل ـ الشيخ عباس الأخلاقي.

٢١ ـ كتاب في المقتل لم يتمّ.

٢٢ ـ تفسير القرآن الكريم لم يتمّ.

٢٣ ـ مصباح المسند لمسند أحمد بن حنبل.

٢٤ ـ مصباح الغابة لكتاب أسد الغابة.

٢٥ ـ مصباح الإستيعاب والإصابة.

٢٦ ـ نخبة المقال في تهذيب كتاب الأموال.

٢٧ ـ كتب النبي ﷺ الى الملوك وغيرها.

٢٨ ـ تلخيص رياض النضرة.

٢٩ ـ تلخيص كنوز الحقائق للمناوي.

٣٠ ـ الفضائل المستخرجة من المعجم الصغير للطبراني.

٣١ ـ تهذيب كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي.

٣٢ ـ إزاحة الشبهة في جواب من اعترض انّ صرف الحلي والجواهر والأشياء النفيسة في المشاهد المشرفة تبذير للأموال.

٣٣ ـ رسالة موجزة في شأن زكريا بن آدم القمي.

٣٤ ـ رسالة موجزة حول حديث: طلب العلم فريضة على كل مسلم.

٣٥ ـ أحد عشر فهرستاً للكتب المخطوطة وغيرها لسيده وأستاذه.

٣٦ ـ رسالة موجزة في إثبات استحباب القنوت في الصلاة عند العامة[1].

وشيخنا المؤلف (دام ظله) أقام صلاة الجماعة أكثر من عشرين سنة في الحسينية الواقعة في شارع صفائية بقم.

---

(١) راجع كتاب آثار الحجة ج ٢ ص ١٥٨ ـ ١٦٠ وكتاب گنجينه دانشمندان ج ٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ وكتاب الحجاب في الإسلام للمؤلف ص ١٠١ ـ ١٠٢.

وكان قد تصدى أكثر من ستين سنة أمر الوعظ والإرشاد وإقامة المآتم الحسينية ومجالس ذكر أهل البيت عليهم السلام وإقامة صلاة الجماعة في مسقط رأسه (وشنوه) في محرّم وصفر وكذلك في شهر رمضان المبارك.

و «وشنوه» أحد مصايف قم، كان الناس قبل انتصار الثورة الاسلامية يسافرون إليه للإصطياف وكان بعضهم أهل فسق وفجور فكان شيخنا المؤلف مجدّاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسدّ طرق الفسق والفجور ولهذا كان يسافر إلى هناك في الصيف ويقيم صلاة الجماعة والشعائر الدينية ومجالس الوعظ والإرشاد.

وكان ـ دام ظلّه ـ يمدّ يد العون للفقراء والمستضعفين في قم وفي وشنوه، أضف إلى ذلك خدماته العمرانية والإجتماعية في وشنوه نذكر بعضاً منها:

١ ـ حسينية پاچنار: كانت مخروبة فجدّد عمارتها من البنيان بشكل جميل.

٢ ـ مسجد پاچنار: كان هذا المسجد فيما سبق مسجدين صغيرين فجدّد بناءه بطرز بديع ووصله بالحسينية، وللمسجد والحسينية ايوان تقام فيه صلاة الجماعة والمجالس الإسلامية في الصيف، وتظله ثلاث أشجار قديمة زادت في جماله.

٣ ـ مسجد مصلّىٰ: مسجد واسع، كان تجديد بناؤه بأمر المؤلف وهمّته.

٤ ـ المستوصف الذي في مقابل الحسينية والمسجد، وكان بناؤه وعمارته بإشراف الشيخ (دام ظله) وباهتمام الحاج غلامرضا تجلّى تهرانى.

٥ ـ الحمّامين: كان تجديد بناء أحد الحمّامين العامّة في القرية وتعمير الآخر بأمره واهتمامه، وقد أعانه على خدماته العمرانية الحاج السيد فخرالدين الموسوي.

٦ ـ الماء الصحّي: شمّر حجة الاسلام والمسلمين الحاج السيد عبدالحسين البهشتي عن ساعديه للقيام بهذه الخدمة وأعانه الشيخ المؤلف على هذا المشروع.

وغير ذلك من الخدمات الإجتماعية المختلفة والكثيرة التي قام بها شيخنا المؤلف على الرغم من انّه لا يملك من القرية إلّا حديقة صغيرة فقط من إرث والده.

ختامه مسك:

جاء في الحديث ما هذا مضمونه: ينبغي للمؤمن أن يكون قليل المؤنة كثير المعونة. وشيخنا المؤلف أدام الله إفاضاته من المصاديق البينة لهذا الكلام. نسأل الله تعالى التوفيق.

بعض مصادر هذا الكتاب

١ ـ نور الأبصار (للشبلنجي): طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢ ـ وبهامشه إسعاف الراغبين (لابن الصبان): طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣ ـ المناقب (للخوارزمي): إصدار مكتبة نينوى الحديثة طهران ناصر خسرو مروي.

٤ ـ كفاية الطالب (للكنجي): طبع دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام صندوق البريد ٢٢٤٥ ايران.

٥ ـ ذخائر العقبى (لمحب الدين الطبري): طبع مؤسسة الوفاء، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٦ ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (للنسائي): طبع مكتبة المعلا ـ الكويت.

٧ ـ تذكرة الخواص (لسبط بن الجوزي): طبع مؤسسة أهل البيت عليهم السلام بيروت ـ لبنان.

٨ ـ الفصول المهمة (لابن الصباغ المالكي): من نشريات مكتبة دار الكتب التجارية ومطبعتها في النجف الأشرف لصاحبها: الشيخ محمد رضا الكتبي.

٩ ـ السيرة النبوية (لابن هشام): طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٠ ـ الخصائص الكبرى (للسيوطي): طبع دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١١ ـ السيرة النبوية (لأحمد زيني دحلان): طبع دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

١٢ ـ السيرة الحلبية: (لعلي بن برهان الدين الشافعي الحلبي): دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

١٣ ـ مروج الذهب: (لأبي الحسن المسعودي): طبع منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية عنى بتنقيحها وتصحيحها شارل پلا بيروت ١٩٦٦ م.

١٤ ـ الكامل في التاريخ (لابن الأثير): دار صادر بيروت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

١٥ ـ التاريخ (للطبري): طبع دار سويدان بيروت ـ لبنان روائع التراث العربي، من جمادى الثانية سنة ١٣٨٧ هـ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ م.

١٦ ـ الطبقات الكبرى (لابن سعد كاتب الواقدي): دار صادر بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

١٧ ـ حلية الأولياء (لأبي نعيم الاصفهاني): الناشر دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

١٨ ـ أسد الغابة (عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري): الناشر: المكتبة الإسلامية بطهران.

١٩ ـ التبيان (للشيخ الطوسي): دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٢٠ ـ التفسير الكبير (للفخر الرازي): الطبعة الثالثة.

٢١ ـ أنوار التنزيل (للبيضاوي): طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاء خلفاء، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.

٢٢ ـ مجمع البيان (للشيخ أمين الإسلام أبي علي الطبرسي ﷺ) طبع منشورات مكتبة المرعشي النجفي قم ـ ايران ١٤٠٣ هـ ق مطبعة العرفان صيدا سنة ١٣٣٣.

٢٣ ـ تفسير القرآن العظيم (لأبي الفداء إسماعيل بن كثير): دار المعرفة بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٢٤ ـ تفسير أبي السعود: طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٢٥ ـ تفسير القمي (أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي ﷺ): السيد طيب الموسوي

الجزائري مطبعة النجف.

٢٦ ـ العقد الفريد.

٢٧ ـ ينابيع المودة.

٢٨ ـ الكافي.

٢٩ ـ علل الشرائع.

٣٠ ـ الإحتجاج للطبرسي.

٣١ ـ تفسير النيسابوري.

٣٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير.

٣٣ ـ التاج الجامع للاصول.

٣٤ ـ المنتقى في مولد المصطفى (ص) للكازروني اليماني.

٣٥ ـ حياة محمد (ص) للعلّامة محمد حسين هيكل.

٣٦ ـ احياء العلوم للغزالي.

٣٧ ـ مدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي.

٣٨ ـ المناقب المرتضوية لمحمد صالح الكشفي.

٣٩ ـ معارج النبوة لملّا معين.

٤٠ ـ رسالة الاعتقادات للمجلسي.

٤١ ـ محمد (ص) للعلّامة محمد رضا.

٤٢ ـ المسامرة للشيخ محي الدين بن عربي.

٤٣ ـ السيرة النبوية لابن كثير.

٤٤ ـ مسند الطيالسي.

٤٥ ـ الرياض النضرة لمحب الدين الطبري.

٤٦ ـ المغازي للواقدي.

٤٧ ـ صحيح مسلم.

٤٨ ـ صحيح البخاري.

٤٩ ـ احكام القرآن للجصّاص.

٥٠ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيشابوري.

٥١ ـ التاريخ للخطيب.

٥٢ ـ شرح المواقف للعضدي.

٥٣ ـ المسند للامام احمد بن حنبل.

٥٤ ـ مجمع الزوائد.

٥٥ ـ السنن لابن ماجة.

٥٦ ـ خصائص امير المؤمنين عليه السلام للنسائي.

٥٧ ـ السنن الكبرىٰ للبيهقي.

٥٨ ـ المعارف لابن قتيبة.

٥٩ ـ الأموال لأبي عبيد.

٦٠ ـ الكشّاف للزمخشري.

٦١ ـ كنوز الحقائق للمناوي.

٦٢ ـ تفسير الجلالين للسيوطي.

٦٣ ـ تفسير القرآن الكريم لعلاء الدين الخازن.

٦٤ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر.

٦٥ ـ الجامع الصغير للسيوطي.

٦٦ ـ جامع البيان للطبري.

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته

تأليف :

حجة الإسلام والمسلمين

الشيخ محمد قوام الوشنوي

باشراف

رضا الأستادي

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أخرج الإنسان من العدم، وعلّمه ما لم يعلم، وجعل منه الأنبياء مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته محمد ﷺ، الذي بعثه الله تعالى والناس في حيرة وجهالة، فقام في الناس لإنقاذهم من الضلالة، وعلى آله سفن النجاة، ومصابيح الدجى، سيما ابن عمه وأخيه ووارثه وناصره وقاضي دينه ووزيره ووصيه وخليفته الصدّيق الأكبر علي بن أبي طالب ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أما بعد:

فهذا الكتاب الحاوي لسيرة النبي ﷺ وأحواله من قبل ولادته الى زمان رحلته ووفاته، قد جمعته من المصادر المعتبرة عند العامة، إجابة للسيد العلّامة صاحب لواء الشيعة المنتهي اليه رئاسة الجعفرية آية الله العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي أدام الله تعالى ظله، وسميته بـ(حياة النبي).

فهذا هو الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني والثالث انشاء الله تعالىٰ، وأنا العبد الفاني محمد قوام القمي الوشنوي.

والمرجو من الله تعالى أن يجعله ذخراً لي ولوالديّ في يوم لا ينفع مال ولا بنون الّا من أتى الله بقلب سليم.

نسب النبي
(صلّى الله عليه وآله وسلم)

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان.

والى هنا من نسبه الشريف لم يختلف النسّابون فيه، وانّما وقع الخلاف بينهم في بقية آبائه (ص) الى آدم عليه السلام.

قال محمد بن سعد في الطبقات[1]: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، قال: علّمني أبي وأنا غلام نسب النبي (ص): محمد الطيب المبارك ابن عبدالله بن عبدالمطلب واسمه شيبة الحمد ابن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، والى فهر جماع قريش، وما كان فوق فهر فليس يقال له القرشي ويقال له كناني، وهو فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقال ابن الأثير في الكامل[2]: واسم رسول الله (ص) محمد، وقد تقدم ذكر ولادته (ص)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٥٥.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٥ ـ ٦.

في ملك كسرى انوشيروان، وهو محمد بن عبدالله أبا قشم وقيل أبا محمد وأبا أحمد بن عبدالمطلب وكان عبدالله أصغر ولد أبيه.

ثمّ قال: وكان عبدالمطلب نذر ـ حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم كما نذكره ـ لئن ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتّىٰ يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى، فلما بلغوا عشرة وعرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحاً ثمّ يكتب فيه اسمه، ففعلوا وأتوه بالقدح.

الى أن قال: وقال عبدالمطلب لصاحب القداح: اضرب على بَنِيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نذر، وكان عبدالله أصغر بني أبيه وأحبهم اليه، فلما أخذ صاحب القداح ليضرب قام عبدالمطلب يدعو الله تعالى، ثمّ ضرب صاحب القداح فخرج قدح عبدالله.

وقال الطبري[1]: وقد كان عبدالمطلب نذر إن توافى له عشرة رهط أن ينحر أحدهم، فلما توافى له عشرة أقرع بينهم أيّهم ينحر، فطارت القرعة على عبدالله، وكان أحب الناس الى عبدالمطلب، فقال عبدالمطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل ـ الخ.

وقال الكازروني اليماني[2]: فأقرع بينه وبين مائة من الإبل فصارت القرعة على مائة من الإبل، فنحرها عبدالمطلب مكان عبدالله ـ الخ.

وقال محمد بن سعد[3]: وكان عبدالمطلب يحبه، فأخذه بيده يقوده الى المذبح ومعه المدية، فبكى بنات عبدالمطلب وكنّ قياماً، وقالت احديهن لأبيها: اعذر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم. فقال للسادن ـ يعني صاحب البيت ـ: اضرب عليه بالقداح وعلى عشرة من الإبل، وكانت الدية يومئذ عشراً من الإبل، فضرب فخرج القدح على عبدالله، فجعل يزيد عشراً عشراً كل ذلك يخرج القدح على عبدالله، حتّىٰ كملت المائة، فضرب بالقداح فخرج على الإبل، فكبّر عبدالمطلب والناس معه واحتملت بنات عبدالمطلب أخاهن

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٢٣٩.

(٢) كتابه مخطوط.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٨٩.

عبدالله، وقدّم عبدالمطلب الإبل فنحرها بين الصفا والمروة.

روى محمد بن سعد[١] بسنده عن ابن عباس قال: لما نحرها عبدالمطلب خلّى بينها وبين كل من وردها من انسي أو سبع أو طائر لا يذبّ عنها أحد ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده.

وروى أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: كانت الدية يومئذ عشراً من الإبل، وعبدالمطلب أول من سنّ دية النفس مائة من الإبل، فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل، وأقرّها رسول الله (ص) على ما كانت عليه.

أُمّ رسول الله (ص)

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

قال الشبلنجي في نور الأبصار[٢]: وفي كلاب يتحد نسب أبيه وأمه (ص)، وهو الجد الخامس له.

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عموداً

ما فيه الّا سيد من سيد ... حاز المكارم والعلى والجودا

تزويج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة بنت وهب

روى محمد بن سعد[٣] بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ورجل آخر انّهما قالا: كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف في حجر عمها وهيب بن عبد مناف، فمشى اليه عبدالمطلب بابنه عبدالله أبي رسول الله (ص) فخطب عليه آمنة بنت وهب، فزوجها عبدالله ابن عبدالمطلب، وخطب اليه عبدالمطلب بن هاشم في مجلسه ذلك ابنته هالة بنت وهيب، على

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٨٩.

(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ١٢.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ٩٤.

نفسه فزوّجه إياها، فكان تزوج عبدالمطلب بن هاشم وتزوج عبدالله في مجلس واحد، فولدت هالة بنت وهيب لعبدالمطلب حمزة بن عبدالمطلب، فكان حمزة عم رسول الله (ص) في النسب وأخاه من الرضاعة.

المرأة التي عرضت نفسها على عبدالله

قال محمد بن سعد[١]: قد اختلف علينا فيها، فمنهم من يقول كانت فتيلة ـ الى أن قال: مر عبدالله بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة وكانت من أجمل الناس وأشبّه وأعفّه، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شباب قريش يتحدثون اليها، فرأت نور النبوة في وجه عبدالله، فقالت: يا فتى من أنت؟ فأخبرها، قالت: هل لك أن تقع عليَّ وأعطيك مائة من الإبل فنظر اليها وقال:

أمّا الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمى الكريم عرضه ودينه

ثمّ مضى الى امرأته آمنة بنت وهب، فكان معها ـ الخ.

ورواه الطبري وابن الأثير[٢] مع هذه الزيادة، وهي: انّه قال: أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه، فمضى به فزوجه آمنة بنت وهب، فأقام عندها ثلاثاً ثمّ انصرف ـ الخ.

أقول: وروى في هذا الطريق وغيره أشياء لا يناسب مقام عبدالله أبي النبي (ص) فلذا أعرضنا عن ذكرها.

وقال ابن هشام[٣]: فرسول الله (ص) أشرف ولد آدم حسباً وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأُمه.

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٩٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٢٤٤، الكامل لابن الأثير ٢ / ٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١١٥.

وفاة عبدالله ومدة عمره

قال ابن الأثير[١]: قال الزهري: أرسل عبدالمطلب ابنه الى المدينة يمتار لهم تمراً، فمات بالمدينة.

قيل: بل كان في الشام، فأقبل في عير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها في دار النابغة الجعدي، وله خمس وعشرون سنة وقيل: ثمان وعشرون سنة، وتوفي قبل أن يولد رسول الله (ص).

مولد رسول الله (ص)

قال محمد بن سعد[٢]: ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول، وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك للنصف من المحرم، فبين الفيل ومولد رسول الله (ص) خمس وخمسون ليلة.

وقال: وكان أبو معشر نجيح المدني يقول: ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول.

وقال ابن الأثير في الكامل[٣]: قال ابن إسحاق: ولد (ص) يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول في عام الفيل، وقيل ولد لعشر خلون منه، وقيل لليلتين خلتا منه.

وقال أحمد بن محمد بن عبدالله في العقد الفريد[٤]: قالوا ولد رسول الله (ص) عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وقال بعضهم: لليلتين خلتا منه، وقال ابن هشام في

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ١٠٠.

(٣) الكامل لابن الأثير ١ / ٤٥٨.

(٤) العقد الفريد.

السيرة[١]: ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل.

وقال الشبلنجي في نور الأبصار[٢]: ولد (ص) بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل، وقيل ولد ليلاً، فعن عائشة: كان بمكة يهودي يتّجر فيها، فلمّا كان تلك الليلة التي ولد رسول الله (ص) قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا يا معشر قريش واحصوا ما أقول لكم، ولد الليلة نبيّ هذه الأمة الأخيرة. بين كتفه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس.

والقول الأول مروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

واختلف في مكان ولادته (ص)، فقيل بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج، وقيل بالشعب، وقيل بالردم، ويقال بعسفان كما في المواهب اللدنية.

قال المسعودي في مروج الذهب[٣]: والذي صح من مولده (ص) انّه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوماً، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين من عهد ذي القرنين، وكان قدوم أبرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدة، ولسنة أربعين من ملك كسرى انوشيروان، وكان مولده (ص) لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة في دار ابن يوسف ثمّ بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادي والرشيد مسجداً، وكان أبوه (ص) غائباً بأرض الشام، فانصرف مريضاً فمات بالمدينة ورسول الله حمل.

وقد تنوزع في ذلك فمنهم من قال انّه مات بعد مولد النبي (ص) بشهر، ومنهم من قال انّه مات في السنة الثانية من مولده.

وقال الحلبي في السيرة[٤]: وقد وقع الإختلاف في وقت ولادته (ص) هل كان ليلاً أو

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٦٧.
(٢) نور الأبصار ص ١٣.
(٣) مروج الذهب ٣ / ١٢.
(٤) السيرة الحلبية ١ / ٥٨ ـ ٦٣.

نهاراً، وعلى الثاني في أي وقت من ذلك النهار، وفي شهره وفي عامه وفي محله، فقيل ولد (ص) يوم الاثنين، قال بعضهم لا خلاف فيه، والله بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة.

الى أن قال: وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر: انّ ذلك كان حين طلوع الفجر، ويدل له قول جده عبدالمطلب: ولد لي الليلة مع الصبح مولود.

وعن سعيد بن المسيب: ولد رسول الله (ص) في ابهار النهار أي وسطه، وكان ذلك اليوم لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، أي وكان ذلك في فصل الربيع، وقد أشار الى ذلك بعضهم بقوله:

يقول لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذب للسميع

فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع

وحكى الإجماع عليه وعليه العمل الآن، أي في الأمصار خصوصاً أهل مكة في زيارتهم موضع مولده (ص)، وقيل لعشر ليال مضت من ربيع الأول، وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه، وقيل لثمان مضت منه، وقال ابن دحية: وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ.

وقال القطب القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، أي كالحميري وشيخه ابن حزم، وقيل لليلتين خلتا منه، وبه جزم ابن عبدالبر، وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه، رواه ابن أبي شيبة وهو حديث مطول، وقيل لاثنتي عشرة، وقيل لثمان ليال خلت من رمضان، وقد صححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه حملت به في أيام التشريق أو في يوم عاشوراء وانّه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لكن قال بعضهم انّ هذا القول غريب جداً ومستند قائله انّه أوحي اليه (ص) في رمضان، فيكون مولده في رمضان، وعلى انّها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الأقوال.

قال: وقيل ولد في صفر، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في عاشوراء.

الى أن قال: وولادته (ص) قيل كانت في عام الفيل، وقيل في يومه، وفي تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله طيراً أبابيل فيه على أصحاب الفيل، وعند ابن سعد

ولد يوم الفيل يعني عام الفيل، وقيل ولد (ص) بعد الفيل بخمسين، وقال بعضهم وهو المشهور، وقيل بخمسة وخمسين يوماً، وقيل أربعين يوماً، وقيل بشهر وكونه في عام الفيل.

قال الحافظ ابن كثير: هو المشهور عند الجمهور، وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخاري: لا يشك فيه أحد من العلماء، ونقل غير واحد الإجماع عليه، وقال: كل قول يخالفه وهمٌ.

وكان مولده (ص) بمكة في الدار التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، أي وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب، ولم تزل بيد أولاده بعد وفاته الى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بمائة ألف دينار.

قال الفاكهي: أي فأدخلها في داره وسماها البيضاء، أي لأنها بنيت بالجصّ ثمّ طليت به، فكانت كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن يوسف، لكن سيأتي في فتح مكة انّه قيل له (ص): يا رسول الله تنزل في الدور؟ قال: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟ فانّ هذا السياق دل على أن عقيلاً باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده، الّا أن يقال: المراد باع ما عدا هذه الدار التي هي مولده.

وقيل ولد (ص) في شعب بني هاشم، وقيل ولد في الردم، أي ردم بني جمح، وهم بطن من قريش، ونسب لبني جمح لأنه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني الحرث، فقد وقع بين بني جمح وبين بني الحرث في الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحرث، فقتلوا منهم جمعاً كثيراً وردم على تلك القتلى بذلك المحل، وقيل ولد بعسفان. انتهى ما أردنا نقله عن السيرة الحلبية ملخصاً[1].

وقال الطبري[2]: وكان مولد رسول الله (ص) في عهد كسرى انوشيروان عام قدوم ابرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة الى مكة، وساق اليها الفيل يريد هدم بيت الله الحرام، وذلك لمضي اثنين وأربعين سنة من ملك كسرى انوشيروان، وفي هذا العام كان يوم جبلة، وهو يوم من أيام العرب مذكور.

---

(١) السيرة الحلبية ١/٥٧ ـ ٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ١٥٥.

وعن ابن اسحق، عن المطلب بن عبدالله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه، عن جده قيس بن مخرمة قال: ولدت أنا ورسول الله (ص) عام الفيل، فنحن لدان.

وحدثت عن هشام بن محمد قال: ولد عبدالله بن عبدالمطلب أبو رسول الله (ص) لأربع وعشرين مضت من سلطان كسرى انوشيروان وولد رسول الله (ص) في سنة إثنتين وأربعين من سلطانه.

عن ابن عباس قال: ولد رسول الله (ص) عام الفيل، حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال حدثني ابن اسحق، قال: ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين عام الفيل لإثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول، وقيل انّه ولد في الدار التي تعرف بدار ابن يوسف، وقيل انّ رسول الله (ص) وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يد عقيل حتّىٰ توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت في الدار حتّىٰ أخرجتها الخيزران فجعلته مسجداً يُصلّىٰ فيه.

وقال الصبان في إسعاف الراغبين[1]: ولد (ص) على الصحيح بمكة عند طلوع الفجر يوم الإثنين لإثنتي عشرةَ ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل، قيل في يوم الفيل، وقيل قبله، وقيل بعده، ونزل على يد الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف فهي قابلته رافعاً بصره الى السماء واضعاً يديه بالأرض، وفي ذلك من الإشارات ما لا يخفى، مكحولاً نظيفاً مسروراً أي مقطوع السُر بضم السين، وهو ما تقطعه القابلة من السرة ـ مختوناً أي على صورة المختون، وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته، وجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون مختوناً ختاناً غير تام كما هو الغالب في المولود مختوناً فتمم جده ختانه، وقيل ختنه جبرئيل ـ الخ.

الحوادث والآيات التي ظهرت في أيام حمله وليلة ولادته (ص)

قال ابن الأثير في الكامل[2]: قال ابن إسحاق: انّ آمنة ابنة وهب أُمّ رسول الله (ص)

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ١ / ٤٥٨.

كانت تحدث انها أتيت في منامها لما حملت برسول الله، فقيل لها: انك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع بالأرض قولي «أعيذه بالواحد من شر كل حاسد» ثمّ سمّيه محمداً، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام، فلما وضعته أرسلت الى جده عبدالمطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسمّيه.

قال الطبري[1]: وقال عثمان بن أبي العباس: حدثتني أُمّي أنها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب أُمّ رسول الله (ص) وكان ذلك ليلاً ولدته، قالت: فما شيء أنظر اليه من البيت الّا نوّر، وانّي لأنظر الى النجوم تدنو، حتّىٰ أني لَأقول لتقعن عليّ.

وروى ابن هشام في السيرة[2] عن حسان بن ثابت قال: والله انّي لغلام يفقه ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على اطمة بيثرب: يا معشر يهود، حتّىٰ إذا اجتمعوا اليه قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.

قال الطهطاوي في تعليقته على السيرة: ولما ولد (ص) وقع على الأرض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبّح بها، وفي رواية عن أُمه أنها قالت: فلما خرج من بطني نظرت اليه فإذا هو ساجد قد وضع إصبعيه كالمتضرع المبتهل.

وقد روي أنه قبض قبضة من تراب وهوى ساجداً، فبلغ ذك رجلاً من بني لهب، فقال لصاحبه: لئن صدق هذا القائل ليغلبن هذا المولود أهل الأرض، أي لأنه قبض عليها وصارت في يده.

وفي رواية ذكرها المؤلف: قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، فأضاءت له قصور الشام وأسواقها، حتّىٰ رأيت أعناق الإبل ببصرى، والى هذا النور يشير عمه العباس في شعره عند رجوعه من غزوة تبوك وقد قال في مرجعه من تلك الغزوة: يا رسول الله إنّي أريد أن أمتدحك، فقال له النبي: قل لا يفضض الله فاك.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٥٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٦٨.

فقال:

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد نخترق

وهذا يفيد أنها رأت ذلك النور يقظة، وهو أحد الأقوال.

وقال الحلبي في السيرة[١]: وفي تفسير ابن مخلد الذي قال في حقه ابن حزم ما صنف مثله أصلاً: انّ إبليس رنّ أي صوّت بحزن وكآبة أربع رنّات: رنّة حين لعن، ورنّة حين أهبط، ورنّة حين ولد رسول الله لمولده.

قد رنّ إبليس رنة فسحقاً له ماذا يفيد رنينه

وعن عطاء الخراساني: لما نزلت قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٢] صرخ إبليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الأرض قائلين: ما هذه الصرخة التي أفزعتنا؟ قال: أمر نزل بي لم ينزل قط أعظم منه. قالوا: وما هو؟ فتلا عليهم الآية وقال لهم: فهل عندكم من حيلة؟ قالوا: ما عندنا من حيلة. فقال: اطلبوا فاني سأطلب. قال: فلبثوا ما شاء الله، ثمّ صرخ أُخرى فاجتمعوا اليه وقالوا: ما هذه الصرخة التي لم نسمع مثلها الّا التي قبلها؟ قال: هل وجدتم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ولكني وجدت. قالوا: وما الذي وجدت؟ قال: أُزيّن لهم البدع التي يتخذونها ديناً ثمّ لا يستغفرون.

وعن ابن عباس: انّ الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها مما سيقع في الأرض، فيلقونها على الكهنة، فلما ولد عيسى حجبوا عن ثلاث سماوات ـ وعن وهب عن أربع سنوات ـ ولما ولد رسول الله (ص) حجبوا عن الكل وحرست بالشهب، فما يريد أحد منهم استراق السمع الّا رمي بشهاب.

وعند ولادته (ص) تنكّست الأصنام، أي أصنام الدنيا. وتقدم أيضاً انّها تنكّست عند

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٦٧ ـ ٧٤.

(٢) سورة النساء / الآية ١١٠.

الحمل به، وتقدم أنه لا مانع من تعدّد ذلك.

وذكر أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبدالله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم، فدخلوا عليه ليلة التي ولد رسول الله (ص) فرأوه منكّساً على وجهه، فأنكروا ذلك، فأخذوه فردّوه الى حاله، فانقلب انقلاباً عنيفاً، فردّوه فانقلب كذلك في الثالثة فقالوا: انّ هذا لأمر حدث، ثمّ أنشأ بعضهم أبياتاً يخاطب بها الصنم ويتعجّب من أمره ويسأله عن سبب تنكّسه، فسمع هاتفاً من جوف الصنم بصوت جهير ـ أي مرتفع ـ يقول:

تردّى لمولود أضاءت بنوره

جميع فجاج الأرض بالشرق والمغرب

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله:

وتوالت بشرى الهواتف أن قد

ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم

وليلة ولادته (ص) تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن، وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي (ص)، وارتجس ـ أي اضطرب وانشق ـ ايوان كسرى انوشيروان، ومعنى انوشيروان: مجدّد الملك، وكان بناءاً محكماً مبنياً بالحجارة الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس، مكث في بنائه نيّفاً وعشرين سنة، وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك الايوان أربع عشرة شُرْفة ـ بضم الشين المعجمة وسكون الراء ـ وليس ذلك لخلل في بنائه، وانّما أراد الله تعالى آية لنبيّه (ص) باقية على وجه الأرض.

وقد ذكر أن الرشيد أمر وزيره يحيى بن خالد البرمكي بهدم ايوان كسرى، فقال يحيى: لا تهدم بناءاً دلّ على فخامة شأن بانيه، قال: بلى يا مجوسي، ثمّ أمر بنقضه، فقدّر له نفقة على هدمه فاستكثرها الرشيد.

والذي رأيت في بعض المجاميع: أن المنصور لما بنىٰ بغداد أحب أن ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبنى به، فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال: هو آية الإسلام ومن رآه علم انّ من هذا بناؤه لا يزول أمره، وهو مصلّىٰ عليّ بن أبي طالب، والمؤنة في نقضه أكثر من

الإنفاق عليه.

ولا مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد. وانّما قال الرشيد ليحيى بن خالد «يا مجوسي» لأن جدّه والد خالد برمكي، وبرمك كان من خراسان وكان أولاً مجوسياً ثمّ أسلم.

وخمدت نيران فارس، كتب له صاحب فارس انّ بيوت النّار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام.

وغاضت بحيرة ساوة، أي غارت بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها، كتب بذلك عامله باليمن.

والى هذا يشير صاحب الأصل بقوله:

لمولده ايوان كسرى تشقّقت ... مبانيه وانحطّت عليه شؤونه

لمولده خرّت على شرفاته ... فلا شرف للفرس يبقى حصينه

والى ذلك يشير صاحب الهمزية أيضاً:

وتداعى ايوان كسرى ولولا ... آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه ... كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل ... كان لنيرانهم بها اطفاء

ومن ذلك أيضاً غور ماء عيون الفرس في الأرض حتّىٰ لم يبق منها قطرة. ورأى الموبذان ـ أي القاضي الكبير ـ وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكّامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم، ورأى في نومه إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً وهو خلاف البرازين قد قطعت دجلة ـ وهي نهر بغداد ـ وانتشرت في بلادها، والإبل كناية عن الناس.

ورأى كسرى ما هاله وأفزعه ـ أي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته ـ فلما أصبح تصبّر، أي لم يظهر الانزعاج لهذا الأمر الذي رآه تشجعاً، ثمّ رآى أنه لا يدخر ذلك، أي هذا الأمر الذي هاله وأفزعه عن مرازُبته بضم الزاء أي فرسانه وشجعانه، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره، ثمّ بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال: أتدرون فيما بعثت اليكم؟ قالوا: لا

الّا أن يخبرنا الملك. فبينا هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران، وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره انّ بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره انّ وادي السماوة انقطع تلك الليلة، وورد عليه كتاب صاحب الطبرية يخبره انّ الماء لم يجر في بحيرة طبرية، فازداد غمّاً الى غمه ثمّ أخبرهم بما رأىٰ وما هاله، وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته، فقال المؤبذان: أنا، أصلح الله الملك، قد رأيت في هذه رؤيا. ثمّ قصّ عليه رؤياه في الإبل، فقال: أي شيء يكون هذا يا مؤبذان؟ قال: حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجّه اليك رجلاً من علمائهم فانّهم أصحاب علم بالحدثان. فكتب عند ذلك:

«من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر، أما بعد فوجّه اليّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه» فوجّه اليه بعبد المسيح ـ الخ. انتهى ملخصاً ما نقله الحلبي في السيرة.

قال الطبري[1]: لمّا كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (ص) ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى المؤبذان إبلاً صعاباً ـ الخ.

العقد الفريد[2] قال: لمّا كانت الليلة التي ولد النبي (ص) ارتجّ ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة، فعظم ذلك على أهل مملكته، فما كان أوشك أن كتب اليه صاحب اليمن يخبره انّ بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب اليه صاحب السماوة يخبره انّ وادي السماوة انقطع تلك الليلة، وكتب اليه صاحب طبرية انّ الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية، وكتب اليه صاحب فارس يخبره انّ بيوت النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر، فقال المؤبذان: أيها الملك انّي رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني. قال له: ما رأيت؟ قال: رأيت إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ... الخ.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٦٦.

(٢) العقد الفريد ١ / ٢٩٣.

وقال السيد أحمد المشهور بزيني دحلان في السيرة النبوية[١]: وعلامات حمل آمنة برسول الله (ص) انتقال النور الذي كان في وجه عبدالله اليها، وعن كعب الأحبار انّ في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة، ووقع له أيضاً عند ولادته (ص).

وروى الحاكم باسناد صحيح انّ أصحاب رسول الله (ص) قالوا: أخبرنا عن نفسك؟ فقال: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أُمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت لها قصور بصرىٰ من أرض الشام.

وصحّ أيضاً انّها رأت ذلك قبل الولادة، قيل انّ الذي عند الحمل كان مناماً والذي عند الولادة كان يقظة، وكان تلك السنة التي حمل فيها برسول الله (ص) سنة الفتح والابتهاج، فانّ قريشاً كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم، فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب في تلك السنة، وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لرسول الله (ص). قالت أُمّه (ص): ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات، علماً بالمشرق، وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبة.

ولما ولد رسول الله (ص) وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين، لأنّ عاداتهم إذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الإناء لا ينظرون اليه حتّىٰ يصبحوا، فلما ولد وضعوه. وفي رواية تحت برمة ضخمة، فلما أصبحوا أتوا البرمة فإذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمصّ ابهامه يشخب ـ أي يسيل لبناً.

ولمّا ولد (ص) أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة، فجاء اليها فقالت: يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب، فذعر وقال: أليس بشراً سوياً؟ فقالت: بلى ولكن سقط ساجداً ثمّ رفع رأسه واصبعيه الى السماء، فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى، ثمّ خرج فدفعه اليها.

وعن عكرمة: انّ إبليس لما ولد رسول الله (ص) ورأىٰ تساقط النجوم، قال لجنوده: قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا. فقال له جنوده: لو ذهبت اليه فخبلته، فلما دنا من

---

(١) السيرة النبوية لابن دحلان ١ / ٢٠.

رسول الله (ص) بعث الله جبرئيل فركضه برجله ركضة وقع بعدن.

وقال الصبان[١]: وروي انّه تكلّم حين خروجه من بطن أُمه ـ الى أن قال ـ ولم تجد في حملها به ما تجده النساء من المشقّة، وانّما عرفت حملها به بإخبار ملك أتاها بين النوم واليقظة بأنها حملت بسيد هذه الأُمة ونبيها، مع ارتفاع حيضها وانتقال النور الذي كان في وجه عبدالله والده (ص) الى وجهها.

وروى محمد بن سعد في الطبقات[٢]: عن ابن عباس: انّ آمنة بنت وهب قالت: لقد علقت به ـ تعنى رسول الله ـ فما وجدت له مشقّة حتّىٰ وضعته، فلما فصل منّي خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق الى المغرب، ثمّ وقع على الأرض معتمداً على يديه ثمّ أخذ قبضة من تراب فقبضها، ورفع رأسه الى السماء.

وقال بعضهم: وقع جاثياً على ركبتيه رافعاً رأسه الى السماء، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتّىٰ رأيت أعناق الإبل ببصرىٰ.

وعن اسحق بن عبدالله إنّ أُمّ النبي (ص) قالت: لما ولد قد خرج منّي نور أضاء له قصور الشام، فولدته نظيفاً كما يولد النحل ما به قذر، ووقع الى الأرض وهو جالس على الأرض بيده.

وعن ابن القبطيّة في مولد النّبي (ص) قال: قالت أُمّه: رأيت كأنّ شهاباً خرج منّي أضاءت له الأرض.

وعن أيوب بن عكرمة: انّ رسول الله (ص) لما ولدته أُمّه وضعته تحت برمة، فانفلقت عنه فنظرت اليه فإذا هو قد شق بصره ينظر الى السماء.

وعن أبي امامة الباهلي قال: قال رسول الله (ص): رأت أُمّي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام.

وعن حسان بن عطيّة: انّ النبي (ص) لما ولد وقع على كفّيه وركبتيه شاخصاً بصره

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ١٠٢.

الى السماء.

وعن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب قال: ولد النبي (ص) مختوناً ومسروراً قال: وأعجب ذلك عبدالمطلب وحظي عنده وقال: ليكونن لإبني هذا شأن، فكان له شأن.

وفي رواية: لما ولدت آمنة بنت وهب أُمّ رسول الله (ص) أرسلت الى عبدالمطلب فجاءهُ البشير وهو جالس في الحجر معه ولده ورجال من قومه، فأخبره انّ آمنة ولدت غلاماً، فسرّ ذلك عبدالمطلب وقام هو ومن كان معه فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها وما أمرت به قال: فأخذه عبدالمطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه.

قال: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: وأخبرت انّ عبدالمطلب قال يومئذ:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالله ذي الأركان
حتّىٰ أراه بالغ البنيان أعيذه من شر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان

اسماء رسول الله (ص) وكنيته

روى محمد بن سعد في الطبقات[1]: عن سالم عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: أمرت آمنة وهي حامل برسول الله (ص) أن تسمّيه أحمد.

وعن محمد بن علي ـ يعني ابن الحنفية ـ أنه سمع علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال رسول الله (ص): سُميت أحمد.

وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أنا محمد، والحاشر، والماحي، والخاتم، والعاقب.

وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول في سكة من سكك المدينة: أنا محمد، وأحمد، والحاشر، والمقفى، ونبي الرحمة.

عن أبي موسى الأشعري قال: سمّى لنا رسول الله (ص) نفسه أسماء، منها ما حفظنا، فقال: أنا محمد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي الرحمة، والتوبة، والملحمة.

عن مجاهد عن النبي (ص) قال: أنا محمد، وأحمد، أنا رسول الرحمة، أنا رسول الملحمة، أنا المقفى، والحاشر، بعثت بالجهاد ولم أبعث بالزراع.

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: انّ رسول الله (ص) قال: لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٠٤.

العاقب. وزاد في رواية: وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي.

عن أبي هريرة يقول: انّ رسول الله (ص) قال: تسمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، فانّي أنا أبو القاسم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): لا تجمعوا اسمي وكنيتي، أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا القاسم.

عن مجاهد قال: قال رسول الله (ص) تسمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي.

وقال الحلبي في السيرة[1]: لا يخفى أن جميع أسمائه (ص) مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال، فله من كل وصف اسم. وقال: كما أن لله عز وجل ألف اسم للنبي (ص) ألف اسم.

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وهو الباقر من بقر العلم أتقنه، قال: أُمرت آمنة ـ أي في المنام ـ وهي حامل برسول الله (ص) أن تسمّيه أحمد.

وعن ابن إسحاق: أن تسمّيه محمد، وقد تقدم.

قال: والثاني هو المشهور في الروايات، وعلى الأول اقتصر الحافظ الدمياطي. والمسمّي له بمحمّد جده عبدالمطلب، فعن ابن عباس قال: لما ولد رسول الله ﷺ عقّ عنه يوم سابع ولادته جده بكبش وسمّاه محمداً، فقيل له: يا أبا الحرث ما حملك على أن تسمّيه محمداً ولم تسمّه باسم آبائه، وفي لفظ وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وتحمده الناس في الأرض.

ثمّ قال الحلبي: أقول وهذا هو الموافق لما اشتهر أن جده (ص) سمّاه محمداً بالهام من الله تعالى تفاؤلاً بأن يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود، والى ذلك يشير حسّان بقوله:

فشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الإلهام لا ينافي أن تكون أُمّه قالت له انّها أُمرت أن تسمّيه بذلك، وقد حقّق الله

---

(١) السيرة النبوية للحلبي ١ / ٧٨ ـ ٨٢.

رجاءه بأنه (ص) تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحبوبة، فتكاملت له (ص) المحبة من الخالق والخليقة، فظهر معنى اسمه (ص) على الحقيقة.

وفي الخصائص الصغرى: وخصّ (ص) باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى، بانّه سمي أحمد ولم يسم به أحد قبله، ولإفادة الكثرة في معناه، لانّه لا يقال الّا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب، وادّعى بعضهم أنه من صيغ المبالغة ـ أي الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور استعمالاً لا وضعاً، لأن الصيغ الموضوعة لإفادة المبالغة منحصرة في الصيغ الخمسة وليس هذا منها.

وهذا السياق يدل على أن تسميته (ص) بذلك كانت في يوم العقيقة وانّ العقيقة كانت في اليوم السابع من ولادته. وتقدم ولد الليلة لعبدالله بن عبدالمطلب غلام سموه محمداً، وهو يدل على أن تسميته (ص) بذلك كانت في ليلة ولادته أو في يومها.

وقد يقال لا منافاة، لأنه يجوز أن يكون قوله هنا «وسمّاه محمداً» معناه أظهر تسميته بذلك لعموم الناس، وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ما قيل: اقتضت الحكمة أن يكون بين الاسم والمسمّى تناسب في الحسن والقبح واللطافة والكثافة.

ومن ثمّ غيّر (ص) الاسم القبيح بالحسن وهو كثير، وربما غيّر الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور كتسميته لأبي الحكم بأبي الجهل وتسميته لأبي عامر الراهب بالفاسق.

ويروى أن عبدالمطلب انّما سمّاه محمداً لرؤياً رآها ـ أي في منامه ـ رأىٰ كأن سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثمّ عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها. فقصّها فعبّرت بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سمّاه محمداً مع ما حدثته به أُمّه بما رأته على ما تقدم.

وفي الشفاء: انّ في هذين الاسمين «محمد» و «أحمد» من بدائع آياته وعجائب خصائصه: انّ الله تعالى حماهما أن يسمّى بهما أحد قبل زمانه، أي قبل شيوع وجوده:

أما «أحمد» الذي أتى في الكتب القديمة وبشرت به الأنبياء (ع) فمنع الله تعالى بحكمته أن

يتسمى به أحد غيره ويدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياته، وكذلك «محمد» أيضاً لم يُسم به أحد قبل وجوده (ص) وميلاده الّا بعد أن شاع انّ نبيّاً يُبعث اسمه محمّد أي بالحجاز وقرب زمنه، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك، وحمى الله تعالى هؤلاء أن يدّعي أحد منهم النبوة أو يدّعيها أحد له أو يظهر عليه شيء من سماتها ـ أي علامتها ـ حتى تحققت له ﷺ.

وذكر ابن الجوزي أن أول من تسمّى في الإسلام بمحمد محمد بن حاطب.

ذكر مرضعاته (ص)

في نور الأبصار للشبلنجي[1] قال: وأرضعه (ص) من النساء ثمان، منهن أُمّه آمنة ثلاثة أيام وقيل سبعة، وثويبة الأسلمية جارية أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته أياماً قبل قدوم حليمة، وخولة بنت المنذر، وأم أيمن ذكرهما اليعمري، وامرأة سعدية غير حليمة ذكرها ابن القيم، وثلاثة نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة نقله السهيلي عن بعضهم في الكلام على قوله (ص) «أنا ابن العواتك». وأكثرهن له إرضاعاً حليمة السعدية، وصرح بعضهم باسلام زوجها بل وبنيها أيضاً.

ولمّا خافت عليه ردّته الى أُمّه، فخرجت به الى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار ـ أي أخوال جده (ص) عبدالمطلب ـ فمرضت وهي راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء وكان عمره (ص) ست سنين على ما قاله ابن اسحاق، فحضنته أُمّ أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه، وحملته (ص) الى جده عبدالمطلب بمكة فكفله الى تمام ثمان سنين.

(السيرة الحلبية)[2] قال: ارتضع من ثمانية من النساء، وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وأُمّ أيمن عزيزة.

---

(١) نور الأبصار ص ١٤.

(٢) السيرة النبوية للحلبي ١ / ٨٤.

(السيرة النبوية)[١] قال: أول من أرضعه أُمّه (ص)، ثمّ ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته، واختلفوا في أنها أدركت البعثة وأسلمت أم لا.

قال ابن هشام في السيرة[٢]: قال ابن إسحاق: واخوته من الرضاعة عبدالله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث وخذامة بنت الحرث وهي الشيماء غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلّا به، وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب عبدالله بن الحرث أُمّ رسول الله (ص) و يذكرون انّ الشيماء كانت تحضنه مع أُمّه إذا كان عندهم.

محمد بن سعد قال في الطبقات[٣]: أول من أرضع رسول الله (ص) ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياماً قبل أن تقدم حليمة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبدالأسد المخزومي.

وعن عروة بن الزبير: انّ ثويبة كان أبو لهب أعتقها فأرضعت رسول الله (ص) فلمّا مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم بشرّ حِيبَة فقال: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم نذق بعدكم رخاء غير أني سقيت في هذه بعتاقي ثويبة ـ وأشار الى النقيرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع.

وعن القاسم بن عباس اللهبي قال: كان رسول الله (ص) بعد أن هاجر يسأل عن ثويبة، فكان يبعث اليها بالصلة والكسوة حتّىٰ جاءه خبرها أنها ماتت، فسأل: من بقي من قرابتها؟ قالوا: لا أحد. وفي رواية: فقال (ص): ما فعل ابنها مسروح؟ فقيل: مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): حمزة بن عبدالمطلب أخي من الرضاعة.

وعن سعيد بن المسيب: انّ علي بن أبي طالب (ع) قال: قلت لرسول الله ﷺ في ابنة حمزة وذكرت له من جمالها، فقال رسول الله ﷺ: انّها ابنة أخي من الرضاعة، أما علمت أن

---

(١) السيرة النبوية للحلبي أيضاً.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٧٠.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ١٠٨ ـ ١١٤.

الله حرم من النسب. وفي رواية: وانّها لا تحلّ، وانّه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

وعن شيخ من بني سعد قال: قدمت حليمة بنت عبدالله على رسول الله (ص) مكة وقد تزوّج خديجة، فشكت جدب البلاد وهلاك الماشية، فكلّم رسول الله ﷺ خديجة فيها فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقعاً للظعينة وانصرفت الى أهلها.

وعن محمد بن المنكدر قال: استأذنت امرأة على النبي (ص) قد كانت أرضعته فلما دخلت عليه قال (ص): أُمّي أُمّي، وعمد الى ردائه فبسطه لها، فقعدت عليه.

(مروج الذهب)[1]: قال: وفي السنة الأولى من مولده (ص) دفع الى حليمة بنت عبدالله ابن الحرث ترضعه.

(إسعاف الراغبين)[2] قال: وأرضعته من النساء ثمان وقيل أكثر، أولهن أُمّه وثويبة جارية عمّه أبي لهب وأعتقها حين بشّرته بولادته (ص)، وأكثرهن إرضاعاً له حليمة السعدية، ورأت منه الخير والبركة ككثرة لبن ثديها بعد قلّته وشربه من الثدي الأيمن فقط وتركه الأيسر لأخيه من الرضاع، وسبق أتانها حين رجعت به عليها بعد أن كانت مسبوقة، وغزارة لبن غنمها بعد عدمه، وفِطمته حين مضى له سنتان وهو يشب شبّاً لا يشبه الغلمان، فذهبت به الى أُمّه بمكة وهي حريصة على رجوعها به، واستأذنت أُمّه في رجوعها به ورجعت به، والأكثر على إسلام حليمة، وصرّح بعضهم باسلام زوجها وبنيها أيضاً، وبعضهم بإسلام ثويبة.

وفاة أُمّه (ص) وحضانة أُمّ أيمن له
وكفالة جدّه (ص) عبدالمطّلب إيّاه

السيرة الحلبية[3] قال: ذكر ابن إسحاق أن رسول الله (ص) ماتت أُمّه لما بلغ ست سنين، وقيل كان سنّه أربع وبه صدر في المواهب، وقيل سنّه سبع سنين وقيل ثمان، وقيل تسع، وقيل

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣ / ١٣.
(٢) إسعاف الراغبين ص ١٠.
(٣) السيرة النبوية للحلبي ١ / ١٠٥ ـ ١١٠.

اثنتي عشرة وشهراً وعشرة أيام.

ووفاتها كانت بالأبواء، وهو محل بين مكة والمدينة، وهو الى المدينة أقرب. وسمّي بذلك لأن السيول تتبوأه ـ أي تحل فيه ـ ودفنت به.

فقد جاء انّه (ص) لما مر بالأبواء في عمرة الحديبية قال: انّ الله أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أُمّه، فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه، وقيل له في ذلك فقال: أدركتني رحمتها فبكيت.

وكان موتها وهي راجعة به (ص) من المدينة من زيارة أخواله ـ أي اخوال جده عبدالمطلب ـ لأن أُمّ عبدالمطلب كانت من بني عدي بن النجار بعد أن مكثت عندهم شهراً، ومرضت في الطريق ومعها أُمّ أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه عبدالله، فحضنته وجاءت به الى جده عبدالمطلب بعد خمسة أيام من موت أُمه ﷺ، فضمه اليه ورقّ عليه رقة لم يرقّها على ولده. وفي كلام بعضهم: وبقي النبي بعد أُمّه (ص) بالأبواء حتّىٰ أتاه الخبر الى مكة، وجاءت أُمّ أيمن مولاة أبيه عبدالله فاحتملته وذلك الخامسة من موت أُمّه.

وكون موت أُمّه (ص) كان في حياة عبدالمطلب هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره، وبه يرد قول من قال: انّ موت عبدالمطلب كان قبل موت أُمّه (ص) بسنتين.

وكان (ص) يقول لأُمّ أيمن: أنت أُمّي بعد أُمّي.

وفي القاموس: دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن أُمّه (ص) ولم أقف على محل تلك الدار من مكة وقيل دفنت بالحجون بشعب أبي ذؤيب، وغلط قائله.

وكان يوضع لعبدالمطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من أهل بيته ولا أحد من أشراف قريش إجلالاً له، فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به، فكان رسول الله (ص) يأتي وهو غلام جفر ـ أي شديد قوي ـ حتّىٰ يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله انّ له لشأناً، ثمّ يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسرّه ما يراه يصنع.

وعن ابن عباس: دعوا ابني يجلس فانّه يحس من نفسه بشيء ـ أي بشرف ـ وأرجو أن

يبلغ من الشرف ما لم يبلغه به عربي قبله ولا بعده وفي رواية: دعوا ابني انّه ليؤنس ملكاً ـ أي يعلم من نفسه أن له ملكاً.

وعن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول: كان لعبدالمطلب مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره، وكان حرب بن اُمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله (ص) يوماً وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش، فجذبه رجل فبكى رسول الله (ص)، فقال عبدالمطلب وذلك بعد ما كفّ بصره: ما لإبني يبكي؟ قالوا: أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه. فقال عبدالمطلب: دعوا ابني يجلس عليه، فانّه يحس من نفسه بشرف ـ أي يتيقن في نفسه شرفاً ـ وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله و لا بعده. فكانوا بعد ذلك لا يردّونه عنه حضر عبدالمطلب أو غاب.

وقال لعبدالمطلب قوم من بني مدلج وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات: احتفظ به فانّا لم نر قَدَماً أشبه بالقَدَم التي في المقام منه، وهي قَدَم إبراهيم (ع)، فانّ إبراهيم أثرت قدماه في المقام، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت، وهو الذي يزار الآن بالمكان الذي يقال له «مقام إبراهيم».

وبينا عبدالمطلب يوماً في الحجر وعنده اسقف نجران ـ والاسقف رئيس النصارى في دينهم، اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الإنحناء لأنه يتخاشع أي يظهر الخشوع، وذلك الاسقف يحادثه ويقول: انّا نجد صفة نبي تقي من ولد إسماعيل، وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا، وأتى برسول الله (ص) فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه وقال: هو هذا، ما هذا منك؟ قال: هذا ابني. قال: ما نجد أباه حياً. قال: هو ابن ابني وقد مات أبوه واُمّه حبلى به. قال: صدقت. فقال عبدالمطلب لبنيه: تحفظوا بابن أخيكم، ألا تسمعون ما يقال فيه.

وعن اُمّ أيمن: كنت أحضن النبي (ص) ـ أي أقوم بتربيته وحفظه ـ فغفلت عنه يوماً فلم أدر الّا بعبدالمطلب قائماً على رأسي يقول: يا بركة. قلت: لبيك. قال: أتدرين أين وجدت ابني. قلت: لا أدري. قال: وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، لا تغفلي عن ابني، فانّ أهل

الكتاب يزعمون انّه نبي هذه الأُمّة وأنا لا آمن عليه منهم.

وكان لا يأكل طعاماً الّا يقول: عليَّ بابني.

وكان عبدالمطلب إذا أتى بطعام أجلس رسول الله (ص) الى جنبه وربما أقعده على فخذه، فيؤثره بأطيب طعامه. انتهى ما نقله الحلبي.

قال ابن هشام في السيرة[1]: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله (ص) مع أُمّه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله (ص) ست سنين توفيت أُمّه آمنة بنت وهب بالأبواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار فماتت وهي راجعة به.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله (ص) مع جده عبدالمطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبدالمطلب فراشاً في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتّىٰ يخرج اليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتّىٰ يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله انّ له لشأناً، ثمّ يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع. انتهى ملخصاً.

السيرة النبوية قال: ولمّا بلغ رسول الله (ص) أربع سنين وقيل خمساً وقيل ستاً وقيل أكثر من ذلك توفيت أُمّه (ص).

وروى الزهري عن ابن عباس: قال: لمّا بلغ رسول الله ست سنين خرجت به أُمّه الى أخوال جِده وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم، ومعه أُمّ أيمن بركة الحبشية، فأقامت به عندهم شهراً.

وكان (ص) بعد الهجرة يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك، ونظر الى الدار فقال: هنا نزلت بي أُمّي.

وفي رواية أبي نعيم قال (ص): فنظر اليّ رجل من اليهود يختلف ينظر اليّ، فقال: يا غلام ما اسمك؟ قلت: أحمد ونظر الى ظهري، فسمعته يقول: هذا نبي هذه الأُمّة. ثمّ راح الى اخوانه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٧٧.

فأخبرهم، فأخبروا أُمّي فخافت أُمّي عليَّ، فخرجنا من المدينة، فلمّا كانت بالأبواء توفيت ودفنت فيها.

وقيل بالحجون، وقيل جمعاً بين الروايتين أنها دفنت بالأبواء ثمّ نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون.

وكان عمرها حين توفيت حدود العشرين سنة.

محمد بن سعد قال في الطبقات[1]: قالوا كان رسول الله (ص) مع أُمّه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أُمّ أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً.

فكان رسول الله (ص) يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نطيّر طائراً كان يقع عليه، ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي أُمّي، وفي هذه الدار قبر أبي عبدالله بن عبدالمطلب. وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار.

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون اليه، فقالت أُمّ أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأُمّة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامه ثمّ رجعت به أُمّه إلى مكة، فلمّا كان بالأبواء توفيت آمنة بنت وهب فقبرها هناك، فرجعت به أُمّ أيمن على البعيرين الذين قدموا عليهما من مكة وكانت تحضنه مع أُمّه ثمّ بعد أن ماتت، فلمّا مر رسول الله (ص) في عمرة الحديبية بالأبواء قال: انّ الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أُمّه، فأتاه رسول الله (ص) فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله، فقيل له، فقال: أدركتني رحمتها فبكيت.

وقالوا: كان رسول الله (ص) يكون مع أُمّه آمنة بنت وهب، فلمّا توفيت قبضه اليه جده عبدالمطلب وضمه ورقّ عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقرّبه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني انّه ليؤنس ملكاً. وقال قوم من بني مدلج لعبدالمطلب: احتفظ به فانّا لم نَرَ قَدَماً أشبه في المقام منه. فقال

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١١٦.

عبدالمطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يتحفظ به.

وكان عبدالمطلب لا يأكل طعاماً الّا قال: عليَّ بابني، فيؤتى به اليه.

فلمّا حضرت عبدالمطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (ص) وحياطته، فلمّا نزلت بعبدالمطلب الوفاة قال لبناته: ابكينني وأنا أسمع، فبكته كل واحدة منهن بشعر ـ الخ.

وقال: ومات عبدالمطلب فدفن بالحجون وهو يؤمئذ ابن اثنين وثمانين سنة، ويقال ابن مائة وعشر سنين.

وسئل رسول الله (ص): أتذكر موت عبدالمطلب؟ قال: نعم أنا يومئذ ابن ثماني سنين. قالت أُمّ أيمن: رأيت رسول الله (ص) يومئذ يبكي خلف سرير عبدالمطلب.

قال: وفي رواية: مات عبدالمطلب بن هاشم قبل الفجار وهو ابن عشرين ومائة سنة.

السيرة النبوية: قال وذكر ابن الجوزي انّه (ص) في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد، فعولج بمكة فلم يفد، فقيل لعبدالمطلب: انّ في ناحية عكاظ راهباً يعالج الأعين. فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه، فتزلزل ديره حتّىٰ خاف أن يسقط عليه، فخرج مبادراً فقال: يا عبدالمطلب انّ هذا الغلام نبي هذه الأُمّة، ولو لم أخرج اليك لخرب ديري، فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب. ثمّ عالجه وأعطاه ما يعالج به.

وفي رواية: انّ الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله (ص) ثمّ قال: هو والله خاتم النبيين. ثمّ قال: يا عبدالمطلب هذا رمد؟ قال: نعم. قال: انّ دواءه معه خذ من ريقه وضعه على عينه، فأخذ عبدالمطلب من ريقه ووضع على عينه (ص) فبرأ لوقته.

فكان جده عبدالمطلب هو الكافل له (ص) بعد وفاة أبيه وأُمّه، وكان يرقّ عليه رقة لا يرقها على ولده، وكان يدنيه ويقرّبه ويدخله عنده إذا خلا.

وكانت وفاة جده وعمر النبي (ص) ثمان سنين، وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبدالمطلب حين توفي مائة وأربعين سنة، وقيل مائة وعشرة وقيل أقل، ودفن بالحجون عند قبر جده قصي.

ولمّا حضرته الوفاة أوصى به الى عمّه شقيق أبيه أبي طالب، وكان أبو طالب ممن حرّم

الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبدالمطلب، واسمه على الصحيح عبدمناف. وحين أوصى به جده لأبي طالب أحبّه حباً شديداً لا يحبّه أحد من ولده، فكان لا ينام إلّا الى جنبه، وكان يخصّه بأحسن الطعام. وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما، فخرجت القرعة لأبي طالب. وقيل بل هو (ص) اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له. وقيل انّه كان مشاركاً لعبدالمطلب في كفالته.

ولمّا مات عبدالمطلب بكى الناس عليه بكاء كثيراً، قال بعضهم: لم يبك على أحد بعد موته ما بكى على عبدالمطلب وكان (ص) يسعى خلف سريره ويبكي وهو ابن ثمان، ولم يقم لموته سوق بمكة أياماً كثيرة.

ومما رثته به ابنته أميمة قولها:

أعيني جودا بدمع درر ... على ماجد الخير والمقتصر
على ماجد الجد وارى الزناد ... جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات ... وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات ... كثير المفاخر جم الفخر

ذكر إيمان والدَي النبي (ص) بل آبائه وأُمّهاته من لدن آدم إلى أبيه وأُمّه

قال الزيني دحلان في السيرة النبوية[1]: وقال الفخر الرازي: انّ أبوي النبي (ص) كانا على الحنيفية دين إبراهيم (ع) كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه، بل انّ آباء الأنبياء كلهم ما كانوا كفاراً تشريفاً لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم وانّ آزر لم يكن أباً لإبراهيم (ع) بل كان عمّه، ويدل لذلك قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[2] مع قوله (ص): لم أزل أنقل من

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٣٣.
(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده (ص) مشركاً.

وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون، منهم العلّامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء، فقالا: لم يتقدم لوالديه (ص) شرك، وكانا مسلمين، لأنه انتقل من الأصلاب الكريمة الى الأرحام الطاهرة، ولا يكون ذلك الّا مع الإيمان بالله تعالى. وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب، وهذا لازم في جميع الآباء.

وقد أيّد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة، وألّف في ذلك رسائل: فجزاه الله خيراً وشكر سعيه.

فمن تلك الأدلة حديث البخاري: بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتّىٰ بعثت من القرن الذي كنت فيه. مع ما ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج عبدالرزاق بن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي عليه السلام قال: لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة، يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين ـ أعني بعثت من خير قرن الخ، وانّ الأرض لم تخل من سبعة مسلمين الخ ـ نتج ما قاله الإمام، لأنه إن كان كل جد من أجداده (ص) من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعى، وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنيفية دين إبراهيم (ع) فهو المدعى، وإمّا أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين: إمّا أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفة الحديث الصحيح، وإمّا أن يكونوا خيراً وهم على الشرك، وهو باطل بالإجماع، وقال تعالى ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾[2] فثبت أنهم على التوحيد

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢١.

ليكونوا خير أهل الأرض في زمانهم.

وساق نصوصاً وأدلة كثيرة في إيمان الآباء الطاهرين من آدم الىٰ إبراهيم عليه السلام ثمّ قال: وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي الذي يقال له عمرو بن الحي، فهو أول من عبد الأصنام وغيّر دين إبراهيم، وكان قريباً من كنانة جد النبي (ص).

ثمّ ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعداً وربيعة ومضر وخزيمة وأسداً والياس وكعباً على ملة إبراهيم ـ الخ.

وفاة عبدالمطلب
وكفالة عمّه أبي طالب

الطبري[1] قال: فتوفي عبدالمطلب بعد الفيل بثماني سنين، وكان عبدالمطلب يوصي برسول الله (ص) عمّه أبا طالب، وذلك انّ أبا طالب وعبدالله أبا رسول الله (ص) كانا لأُمّ، فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله بعد جده، وكان يكون معه.

قال ابن الأثير في الكامل[2]: توفي عبدالمطلب بعد الفيل بثمان سنين، وأوصى أبا طالب برسول الله (ص)، فكان أبو طالب هو الذي قام بأمر النبي بعد جده.

وفي مروج الذهب[3] قال: وفي السنة السابعة من مولده (ص) خرجت به أُمّه الى أخواله تزورهم فتوفيت بالأبواء، وقدمت به أُمّ أيمن الى مكة بعد خامسة من موت أُمّه، وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده عبدالمطلب، وضمّه عمه أبو طالب اليه وكان في حجره، وخرج مع عمّه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة، ثمّ خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٧.
(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٧.
(٣) مروج الذهب ٣ / ١٣.

وفي نور الأبصار[١] قال: ولمّا مرض جده عبدالمطلب مرض الموت أوصىٰ بـه الى عـمّه أبي طالب، لفخامته وكونه شقيق أبيه عبدالله، فافتخر بشرف كفالته وتربيته (ص)، وكـان يرى منه الخير والبركة، كشبع عياله إذا أكل معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل، ونـزول المـطر الغزير حين استسقى به لقحط أصاب أهل مكة، وسافر به الى الشام في تجارة، فلمّا نزل الركب بصرى رآه راهب بها يقال له بحيرا وهو في صومعة، وكان قد انتهى اليه علم النصرانية، فصنع للقوم طعاماً كثيراً لأجله (ص)، وكثيراً ما كانوا يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض عـليهم ثمّ قال لعمّه: ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود. فلمّا فرغ أبو طالب مـن تجـارته رجـع مسرعاً الى مكة. وسافر أيضاً مع عمّه الزبير والعباس ابني عبدالمطلب الى اليمن للتجارة.

وقال ابن هشام[٢]: قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبدالله بن معد بن عباس عن بعض أهله: انّ عبدالمطلب توفي ورسول الله (ص) ابن ثماني سنين.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سعيد بن المسيب أن عبدالمطلب لما حـضرته الوفـاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكنّ ست نسوة صفية وبرة وعاتكة وأُمّ حكيم البـيضاء وأمـيمة وأروى، فقال لهن: ابكين عليّ حتّىٰ أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

ثمّ قال: وكان رسول الله (ص) بعد عبدالمطلب مع عمه أبي طالب، وكان عبدالمطلب فيما يزعمون يوصي به عمّه أبا طالب، وذلك لأن عبدالله أبا رسول الله (ص) وأبا طالب لأب وأُمّ، وأُمّهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، أو عائذ بن عمران بن مخزوم وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله (ص) بعد جده، فكان اليه ومعه.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير أن أباه حدثه أنّ رجلاً من لهب ـ ولهب من ازد شنؤه ـ كان عائفاً، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم يـنظر اليهم ويعتاف لهم فيهم. قال: فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه، فنظر الى رسول الله ثمّ شغله عنه شيء، فلما فرغ قال الغلام عليَّ به، فلما رأىٰ أبو طالب حرصه عليه غيّبه عنه فجعل

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي ص ١٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٧٨ ـ ١٩٠.

يقول: ويلكم ردّوا عليَّ الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكونن له شأن. قال: فانطلق أبو طالب.

قال محمد بن سعد[١]: قالوا لمّا توفي عبدالمطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ، فكان يكون معه وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام الّا الى جنبه ويخرج معه، وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وكان يخصه بالطعام. وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله شبعوا، فكان إذا أراد أن يغديهم قال: كما أنتم حتّىٰ يحضر ابني، فيأتي رسول الله (ص) فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: انّك لمبارك وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً، ويصبح رسول الله (ص) دهيناً كحيلاً.

وقال: وكان أبو طالب توضع له وساءة بالبطحاء مثنية يتكيء عليها، فجاء النبي (ص) فبسطها ثمّ استلقى عليها. قال: فجاء أبو طالب فأراد أنْ يتكيء فسأل عنها فقالوا أخذها ابن أخيك. فقال: وحل البطحاء انّ ابن أخي هذا ليحس بنعيم.

وقال: كان أبو طالب تلقى له وسادة يقعد عليها، فجاء النبي (ص) وهو غلام فقعد عليها، فقال أبو طالب: وإله ربيعة انّ ابن أخي ليحس بنعيم.

وقال: لمّا مات عبدالله عطف[٢] على محمد قال: فكان لا يسافر سفراً إلّا كان معه فيه، وانّه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأتاه فيه راهب فقال: انّ فيكم رجلاً صالحاً فقال: انّ فينا من يقري الضيف ويفك الأسير ويفعل المعروف، أو نحواً من هذا ثمّ قال: انّ فيكم رجلاً صالحاً. ثمّ قال: اين أبو هذا الغلام؟ قال: فقال ها أناذا وليه أو قيل هذا وليه. قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به الى الشام، انّ اليهود حسد وانّي أخشاهم عليه ـ الخ.

ثمّ قال محمد بن سعد[٣]: قالوا لما بلغ رسول الله (ص) اثنى عشر سنة خرج به أبو طالب

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١١٩.
(٢) يعني أبا طالب.
(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ١٢١.

الى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة، ونزلوا بالراهب بحيرا، فقال لأبي طالب في النبي ما قال، وأمره أن يحتفظ به، فرده أبو طالب معه الى مكة.

ابن الأثير والطبري[١] والعبارة لابن الأثير قال: ثمّ انّ أبا طالب خرج الى الشام، فلمّا أراد المسير لزمه رسول الله (ص) فرقّ له وأخذه معه ولرسول الله تسع سنين، فلمّا نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان ذا علم في النصرانية، ولم يزل بتلك الصومعة راهب يصير اليه علمهم وبها كتاب يتوارثونه، فلمّا رآهم بحيرا صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك لأنه رأى على رأس رسول الله غمامة تظلّه من بين القوم، ثمّ أقبلوا حتّىٰ نزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر الى الشجرة وقد هصرت أغصانها حتّىٰ استظل بها فنزل اليهم من صومعته ودعاهم، فلما رآى بحيرا رسول الله جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده كان يجدها من صفته، فلمّا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا سأل النبي (ص) عن أشياء من حاله في يقظته ونومه، فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته، ثمّ نظر الى خاتم النبوة بين كتفيه، ثمّ قال بحيرا لعمّه أبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حياً. قال: فانّه ابن أخي مات أبوه وأُمّه حبلى به. قال: صدقت ارجع به الى بلدك واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوه منه ما عرفت ليبغينه شراً، فانّه كان له شأن عظيم فخرج به عمّه حتّىٰ أقدمه مكة.

وقال ابن الأثير[٢]: وقيل بينما هو يقول لعمّه في إعادته الى مكة وتخوفهم عليه من الروم، إذ أقبل سبعة نفر من الروم، فقال لهم بحيرا: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق الّا بعث اليها ناس، وانّا بعثنا الى طريقك. قال: أرأيتم أمراً أراده الله هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، وتابعوا بحيرا وأقاموا عنده ـ الخ.

قال الطبري[٣]: خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه رسول الله (ص) في أشياخ من

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٧.
(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٨.
(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٨.

قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا وحلوا رحالهم، فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتّىٰ جاء فأخذ بيد رسول الله (ص) فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ قريش: ما علمك؟ قال: انّكم حين أشرفتم من العقبة لم تبق شجرة ولا حجر الّا خرّ ساجداً، ولا يسجدون الّا لنبيّ.

السيرة النبوية لابن هشام والسيرة الحلبية[1]، والعبارة لابن هشام قال: فلمّا نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتّىٰ كان ذلك العام، فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ـ الى أن قال: فقال انّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرّكم. قال له رجل منهم: والله يا بحيرا انّ لك اليوم لشأناً، ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم. فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله (ص) من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجده عنده، فقال: يا معشر قريش لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي. قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك الّا غلاماً وهو أحدث القوم سنّاً فتخلف في رحالهم. فقال: لا تفعلوا فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبدالله بن عبدالمطلب عن طعام من بيننا، ثمّ قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلمّا رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده وقد كان يجدها من صفته، حتّىٰ إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الّا ما أخبرتني عما أسألك عنه. وانّما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه (ص) يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله قال: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما. فقال له بحيرا: فبالله الّا ما أخبرتني عما أسألك عنه. فقال

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٩١، السيرة الحلبية ١ / ١١٨.

له: سلني بذلك ـ الخ.

حضوره (ص) حرب الفجار

قال الحلبي[١]: الفِجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة، وهو فجار البراض، وكان له (ص) من العمر أربع عشرة سنة.

وقال محمد بن سعد[٢]: وكان له (ص) من العمر عشرين سنة.

وقال الحلبي[٣]: وهذا الفجار الرابع، وأمّا الفجار الأول فكان عمره (ص) حينئذ عشر سنين، وسببه ـ أي هذا الفجار الأول ـ أن بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس، فبسط يوماً رجله وقال: أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز منّي فليضربها بالسيف، فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ـ أي أسقطها وأزالها ـ وقيل جرحه جرحاً يسيراً. قال بعضهم ـ وهو الأصحّ ـ: فاقتتلوا.

وسبب الفجار الثاني: أن امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ، فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة، فسألها أن تكشف وجهها فأبت، فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة، فلمّا قامت انكشف[٤] وجهها، فضحك الناس منها، فنادت المرأة: يا آل عامر، فثاروا بالسلاح، ونادى الشاب: يا بني كنانة، فاقتتلوا.

وقوله «فسألها أن تكشف وجهها فأبت» يدل على أن النساء في الجاهلية كن يأبين كشف وجوههن.

وسبب الفجار الثالث: أنه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فمطله، فجرت بينهما مخاصمة، فاقتتل الحيان.

وقد ذكر أن عبدالله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله، وكان ذلك سبباً لانقضاء الحرب

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٢٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ١٢٨.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٢٧.

(٤) هكذا نقله الطهطاوي، ولكن الحلبي وصاحب عقد الفريد نقله هكذا: انكشف دبرها.

وسمّيت الفجار لأن العرب فجرت فيه، لأنه وقع في الشهر الحرام.

ثمّ قال الحلبي[١]: وسأذكره.

وسيأتي في الباب الذي يلي هذا: انّ حرب الفجار لم يكن في شهر حرام، وسيأتي في هذا الباب ما يدل على ذلك، وانّما سببه كان في الشهر الحرام، وهو قتل البرّاض لعروة الرحال ـ الخ.

مروج الذهب[٢] قال: والفجار حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة، استحلوا فيها القتال في الأشهر الحرم.

وقال الزيني دحلان[٣]: فاقتتلوا أربعة أيام، وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله (ص) وهو غلام، فإذا جاء هزمت هوازن وإذا لم يجيء هزمت كنانة ـ الخ.

وقال ابن هشام[٤]: قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار ورسول الله (ص) ابن عشرين سنة، وانّما سمّي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه المحارم بينهم، وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أُمية بن عبدشمس وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتّىٰ إذا كان في وسط النهار كان لكنانة على قيس ـ الخ.

وقال الطهطاوي في تعليقته على السيرة: ذكر هذا الحديث مبسوطاً في كتب السيرة، وملخصه: انّ العرب كان له فجارات أربعة آخرها فجار البَرّاض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة، وقد حضره النبي (ص) وعمره أربع عشر سنة على الصحيح، أمّا الفجار الأول فكان عمره فيه عشر سنين، وسببه أن بدر بن معشر الغفاري ـ الخ.

محمد بن سعد[٥] قال: ثمّ صارت الدائرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس، فقتلوهم قتلاً ذريعاً حتّىٰ نادى عتبة بن ربيعة يومئذ وانّه لشاب ما كملت له ثلاثون سنة الى الصلح،

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٢٨.

(٢) مروج الذهب ٣ / ٧.

(٣) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٥١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٩٨.

(٥) الطبقات لابن سعد ١ / ١٢٨.

فاصطلحوا على أن عدوا القتلى وودت ـ أي دفعت قريش لقيس ـ ما قتلت فضلاً عن قتلاهم، ووضعت الحرب أوزارها، فانصرفت قريش وقيس.

قال رسول الله (ص) وذكر الفجار فقال: حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب انّي لم أكن فعلت ـ الخ.

شهوده (ص) حلف الفضول

قال الحلبي[1]: وهو أشرف حلف في العرب، والحلف في الأصل اليمين والعهد، وسمّي العهد حلفاً لأنهم يحلفون عند عقده.

وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار، لأن حرب الفجار كان في شوال وقيل في شعبان لا في الشهر الحرام، وهذا الحلف كان في ذي القعدة.

وأول من دعى اليه الزبير بن عبدالمطلب عم رسول الله (ص) شقيق أبيه كما تقدم، فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبدالعزى، وذلك في دار عبدالله بن جدعان التيمي، وكان بنو تيم في حياته كأهل بيت واحد، يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزوراً وينادي مناديه: من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان، وكان يطبخ عنده الفالوذج فيطعمه قريشاً، وسبب ذلك أنه كان أولاً يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن، فاتفق أن أُمية بن أبي الصلت مر على بني عبدالمدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد، فقال أُمية:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم ... فرأيت أكرمهم بني المدان

البر يلبك بالشهاد طعامهم ... لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبدالله بن جدعان، فأرسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن، وجعل ينادي مناد: ألا هلموا الى جفنة عبدالله بن جدعان.

وكان عبدالله بن جدعان ذا شرف وسن، وانّه من جملة من حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية بعد أن كان بها مغرماً، وسبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمدّ يده ويقبض على ضوء

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٢٩ ـ ١٣٢.

القمر ليمسكه، فضحك منه جلساؤه، ثمّ أخبروه بذلك حين صحا، فحلف أن لا يشربها أبداً.

وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون وقال: لا أشرب شيئاً يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى منّي، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد.

فصنع لهم عبدالله بن جدعان طعاماً وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتّىٰ يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة ـ أي الابد.

ثمّ قال: وفي رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يقر ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلماً، وسمّي بالفضول قيل لما تقدم من أنهم تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وقيل لأنه يشبه حلفاً وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل، لأن الداعي اليه كان ثلاثة من أشرافهم اسم كل واحد منهم فضل، وهم الفضل بن فضالة والفضل ابن وداعة والفضل بن الحرث. والضمير في «أشرافهم» يتبادر رجوعه الى قريش، وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه، فالفضول جمع الفضل. وقيل لانّهم كانوا أخرجوا فضول أموالهم للأضياف ـ الخ.

والسبب في هذا الحلف والحامل عليه: أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان من أهل الشرف والقدر بمكة، فحبس عنه حقه، فاستدعى عليه الزبيدي الأحلاف عبدالدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص وانتهروه ـ أي الزبيدي ـ فلمّا رأى الزبيدي الشر رقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فقال بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والقفر[1]

فقام في ذلك الزبير بن عبدالمطلب ـ الخ. انتهى ما نقله الحلبي في السيرة ملخصاً.

قال ابن الأثير[2]: قال ابن إسحاق: وكان نفر من جرهم وقطوراء يقال لهم الفضيل بن الحرث الجرهمي والفضيل بن وداعة والمفضل بن فضالة الجرهمي اجتمعوا فتحالفوا أن

---

(١) وفي نسخة: والنفر.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٤١.

لا يقروا ببطن مكة ظالماً، وقالوا: لا ينبغي الّا ذلك لما عظم الله من حقها، فقال عمرو بن عوف الجرهمي:

انّ الفضول تحالفوا وتعاقدوا أن لا يقر بـبطن مكـة ظـالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثـقوا فالجار والمـعتر فـيهم سـالم

ثمّ درس ذلك فلم يبق الّا ذكره في قريش.

ثمّ انّ قبائل من قريش تداعت الى ذلك الحلف، فتحالفوا في دار عبدالله بن جدعان لشرفه وسنّه، وكانوا بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبدالعزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة، فتحالفوا وتعاقدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الّا قاموا معه وكانوا على ظلمه حتّىٰ ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حـلف الفـضول، وشهده رسول الله (ص)، فقال حين أرسله الله تعالى: لقد شهدت مع عمومتي حـلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت ـ الخ.

قال محمد بن سعد[1]: كان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار ورسول الله (ص) يومئذ ابن عشرين سنة.

عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله (ص): ما أحب أن لي بحلف حضرته بدار ابـن جدعان حمر النعم، وانّي أغدر به، هاشم وزهرة وتيم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بل بحر صوفة ولو دعيت به لأجبت وهو حلف الفضول.

وقال محمد بن عمرو: لا نعلم أحداً سبق بني هاشم بهذا الحلف. انتهى ما نقله محمد بـن سعد في الطبقات.

خروج رسول الله (ص) إلى الشام في المرّة الثانية

قال محمد بن سعد[2]: فلمّا بلغ رسول الله (ص) خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٢٨.
(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ١٢٩.

رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا، وهذا عير قومك وقد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيراتها، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت اليك، وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمّه له، فأرسلت اليه في ذلك وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.

ثمّ قال: قال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله اليك، فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير، حتّىٰ قدما بصرى من الشام فنزلا في ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط الّا نبي. ثمّ قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه. قال: هو نبي وهو آخر الأنبياء. ثمّ باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح، فقال له: احلف باللات والعزى. فقال رسول الله (ص): ما حلفت بهما قط، وانّي لأمر فأعرض عنهما. فقال الرجل: القول قولك. ثمّ قال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم ـ الى أن قال ـ: وقدم رسول الله (ص) بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت له ضعف ما سمت له. انتهى ملخصاً.

قال الحلبي[1]: لمّا بلغ رسول الله (ص) خمساً وعشرين سنة على الراجح من أقوال ستة وعليه جمهور العلماء، وتلك الأقوال ضعيفة لم تقم لها حجة، وليس له (ص) اسم بمكة الّا الأمين، لما تكامل فيه من خصال الخير. الى أن قال: فخرج (ص) مع غلامها ميسرة يريد الشام، وقالت خديجة لميسرة: لا تعصي له أمراً ولا تخالف له رأياً، وجعل عمومته يوصون به أهل العير، ومن حين سيره صلى الله عليه وآله وسلم أظلته الغمامة، فلمّا قدم الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة ـ الخ.

قال ابن الأثير وابن هشام والعبارة لابن هشام في السيرة[2]: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغ عن رسول الله (ص) ما بلغها من صدق

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٣٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٩٩، الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٩.

حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه أن يخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله (ص) منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه ميسرة حتّىٰ قدم الشام، فنزل رسول الله (ص) في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب الى ميسرة فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا من قريش من أهل الحرم. قال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط الّا نبي.

ثمّ باع رسول الله (ص) سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري، ثمّ أقبل قافلاً الى مكة ومعه ميسرة ـ الخ.

حياة خديجة مع النبي

تزويج رسول الله (ص) خديجة بنت خويلد

محمد بن سعد والطبري وابن الأثير والعبارة لابن الأثير في الكامل[١] قال: نكح رسول الله (ص) خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة.

وقال الحلبي[٢]: وسنّه (ص) حين تزوج خديجة كان خمساً وعشرين سنة أو زيادة بشهرين وعشرة أيام، وقيل خمسة عشر يوماً.

الطبري وابن الأثير وابن هشام والعبارة له في السيرة[٣] قال: وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامة، فلمّا أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت الى رسول الله (ص) فقالت فيما يزعمون: يا ابن عم انّي قد رغبت فيك لقرابتك وسلطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثمّ عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ

---

(١) الكامل ٢ / ٣٩، الطبقات لابن سعد ١ / ١٣٢، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ١٣٩.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٠٠، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨١، الكامل ٢ / ٣٩.

أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

وقال الحلبي[١]: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، فهي تجتمع معه (ص) في قصي. ثمّ قال الحلبي: وقال الحافظ ابن حجر: وهي من أقرب نسائه (ص) اليه في النسب، ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الّا أُمّ حبيبة، وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً. الى أن قال: وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وفي لفظ كان يقال سيدة قريش، لأن الوسط في ذكر النسب من أوصاف المدح والتفضيل، يقال فلان أوسط القبيلة أعرقها في نسبها ـ الخ.

وقال الزيني دحلان في السيرة النبوية[٢]: وكانت تدعى في الجاهلية والإسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها، وتسمّى أيضاً سيدة نساء قريش، وكانت تحت النباش ويكنى بأبي هالة بن زرارة التميمي ومات في الجاهلية، وكانت ولدت له هند بن أبي هالة، وهو من الصحابة، كان يروي عنه حسن بن علي (ع) ويقول: حدثني خالي، لأنه أخو فاطمة لأُمّها، وقتل مع علي (ع) يوم الجمل. وولدت له ذكراً آخر يسمّى هالة، فهند وهالة ذكران.

ثمّ بعد موت أبي هالة تزوجها عتيق بن عابد ـ بالباء ـ المخزومي، فولدت له بنتاً اسمها هند أسلمت وصحبت النبي ولم ترو شيئاً، وقيل انّ عتيقاً تزوجها قبل النباش.

وكان لها حين تزوجها بالنبي (ص) من العمر أربعون سنة ـ الخ.

قال محمد بن سعد[٣]: قالت نفيسة بنت منية: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً الى محمد (ص)

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ١٣٨.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٥٥.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ١٣١.

بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به. قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت الى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال فمن هي؟ قلت: خديجة. قال (ص): وكيف لي بذلك. قال: قلت عليّ. قال: فأنا أفعل. فذهبت وأخبرتها فأرسلت اليه أن ائت لساعة كذا وكذا، وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله (ص) في عمومته، فزوجه أحدهم، فقال عمرو بن أسد: هذا البضع لا يقرع أنفه، وتزوجها رسول الله (ص).

ثمّ قال: وقالوا انّ عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله وانّ أباها مات قبل الفجار. وفي رواية: وهو ـ يعني عمرو بن أسد ـ شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو ابن أسد شيئاً.

وقال الصبان في إسعاف الراغبين[1]: وخطبته فتزوج بها وهو ابن خمس وعشرين ونحو شهرين على أحد الأقوال، وهي بنت أربعين سنة، وأولم عليها بجزور وقيل بجزورين، وهي أول وليمة أولمها، وكان السفير بينهما نفيسة بنت منية والمزوّج لها عمّها والمزوّج له عمّه أبو طالب مع حضور حمزة، وكان الصداق من الذهب اثنتي عشرة أوقية ونصف أوقية، وهي أربعون درهماً شرعياً، وقيل كان عشرين بكرة. ولا منافاة لجواز كون البكرات عوضاً عن ذلك القدر.

وكانت خديجة أوسط ـ أي خير ـ نساء قريش نسباً وأكثرهن مالاً وأوفرهن جمالاً، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وبسيدة قريش، ولم يتزوج (ص) عليها حتّىٰ ماتت، وكانت تزوجت قبله برجلين.

وقال الحلبي[2]: وتزوجها رسول الله (ص) وهي يومئذ بنت أربعين سنة، وقيل خمسة وأربعين سنة، وقيل ثمان وعشرين، وقيل خمسة وثلاثين، وقيل خمسة وعشرين. وتزوجت قبله برجلين أولهما عتيق بن عابد ـ بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة ـ فولدت له

---

(١) إسعاف الراغبين ص ١٣.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ١٤٠.

بنتاً اسمها هند، وهي أمّ محمد بن صيفي المخزومي، وثانيهما أبو هالة واسمه هند، فولدت له ولداً اسمه هالة وولداً اسمه هند أيضاً، فهو هند بن هند، وكان يقول: أنا أكرم الناس أباً وأمّاً وأخاً وأختاً، أبي رسول الله (ص) لأنه زوج أمّه، وأمّي خديجة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة. قتل هند هذا مع علي (ع) يوم الجمل ـ الخ.

ابن الأثير[١] قال: فلمّا أرسلت الى النبي (ص) قال لأعمامه وخرج معه حمزة بن عبدالمطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته حتّىٰ دخل على خويلد بن أسد، فخطبها اليه فتزوجها.

وقال ابن هشام[٢]: وأصدقها رسول الله (ص) عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله، ولم يتزوج عليها حتّىٰ ماتت.

وقال الطهطاوي: وقد اختلفوا في المزوّج لها على أقوال كثيرة، كما اختلف في المزوّج له (ص) والصحيح أن المزوّج لها عمها عمرو بن أسد، لأن أباها مات قبل الفجار، وانّ المزوّج للنبي (ص) عمّه أبو طالب.

ولما تم الايجاب والقبول أمرت السيدة خديجة بشاة فذبحت واتخذت طعاماً، ودعت عمّها عمرواً وبعثت الى رسول الله (ص) فأتى ومعه عمّه حمزة بن عبدالمطلب وأبو طالب ورؤساء مضر فأكلوا.

وقال الطهطاوي والزيني دحلان والحلبي والعبارة للحلبي في السيرة[٣] وذكر أبو الحسين ابن فارس وغيره أن أبا طالب خطب يومئذ فقال:

«الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد ـ أي معدنه ـ وعنصر مضر ـ أي أصله ـ وجعلنا حضنة بيته أي المتكلفين بشأنه، وسواس حرمه أي القائمين بخدمته، وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس. ثمّ ابن أخي هذا

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٠١.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٣٨، السيرة النبوية لدحلان ١ / ٥٥.

محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل الّا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة، وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية ونشاً» ـ أي نصفاً وهو عشرون درهماً ـ والأوقية أربعون درهماً، وكانت الأواقي والنش أي النصف من ذهب كما قال المحب الطبري فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل أصدقها عشرين بكرة.

وقال الطهطاوي: وقد روي أنه لمّا أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال:

«الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا عليَّ معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على أربعمائة دينار».

ثمّ سكت ورقة وتكلم أبو طالب وقال: قد أحببت أن يشركك عمها. فقال عمها: أشهدوا عليَّ يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد، وشهد على ذلك صناديد قريش ـ الخ.

محمد بن سعد[1] قال: كان أول من ولد لرسول الله (ص) بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى، ثمّ ولد له زينب، ثمّ رقية، ثمّ فاطمة، ثمّ أُمّ كلثوم. ثمّ ولد له في الإسلام عبدالله، فسمّي الطيب والطاهر، وأُمّهم جميعاً خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وأُمّها فاطمة بنت زائدة، فكان أول من مات من ولده قاسم، ثمّ مات عبدالله بمكة، فقال العاص بن وائل: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[2].

وقال لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة بعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس القبطي صاحب الاسكندرية، وكتب معه اليه كتاباً يدعوه

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٣٣.

(٢) سورة الكوثر / الآية ٣.

فيه الى الإسلام، فلمّا قرأ الكتاب قال: خيراً، وأخذ الكتاب فكان مختوماً فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له، وكتب الى النبي ﷺ جواب كتابه ولم يسلم، وأهدى الى النبي (ص) مارية القبطية وأُختها سيرين وحماره يعفور وبغلته دلدل وكانت بيضاء ولم يكن في العرب يومئذ غيره. الى أن قال: وولدت مارية لرسول الله (ص) غلاماً فسماه إبراهيم، وعقّ عنه رسول الله (ص) بشاة يوم سابعه وحلق رأسه فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الأرض وسماه إبراهيم، وغار نساء رسول الله (ص) واشتد عليهن حين رزق منها الولد، وولدته في ذي الحجّة سنة ثمان من الهجرة.

وقال: لمّا ولد إبراهيم جاء جبرئيل الى رسول الله (ص) فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

وعن أنس بن مالك قال: خرج علينا رسول الله حين أصبح فقال: انّه ولد لي الليلة غلام وانّي سمّيته باسم أبي إبراهيم، فلمّا مات دمعت عينا رسول الله (ص) فقال له عبدالرحمن: أي رسول الله، هذا الذي تنهىٰ الناس عنه متى يرك المسلمون تبكي يبكوا. قال: فلمّا شريت عنه عبرته قال: انّما هذا رحم، وانّ مَنْ لا يَرحم لا يُرحم، انّما ننهىٰ الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه. ثمّ قال: لولا انّه وعد جامع وسبيل مؤتاة وانّ آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجداً غير هذا، وانّا عليه لمحزونون تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وفضل رضاعه في الجنة.

وفي رواية: انّما نهيت عن النوح عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان.

وفي أخرى: انّ إبراهيم ابني، وانّه مات في الثدي، وانّ له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة.

وفي رواية: انّ له مرضعاً في الجنة تستكمل له بقية رضاعه.

وقال: توفي إبراهيم ابن رسول الله (ص) لستة عشر شهراً، فقال النبي (ص): ادفنوه بالبقيع فانّ له مرضعاً في الجنة.

وفي رواية: انّ النبي حين دفن إبراهيم قال: هل من أحد يأتي بقربة، فأتى رجل من الأنصار بقربة ماء فقال: رشها على قبر إبراهيم.

وفي أخرى: لمّا سوى جدثه كان رسول الله (ص) رأى كالحجر في جانب الجدث، فجعل رسول الله يسوي باصبعه ويقول: إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه فانّه مما يسلي بنفس المصاب.

وفي رواية: انّها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحي.

وروي عن جابر عن عامر قال: توفي إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً. قال: ومات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر. وقال: وحمل من بيت أُمّ بردة على سرير صغير وصلى عليه رسول الله (ص) بالبقيع. انتهى ما نقله محمد بن سعد في الطبقات ملخصاً.

قال ابن هشام[١]: قال ابن إسحاق: فولدت لرسول الله (ص) ولده كلهم الّا إبراهيم، القاسم وبه كان يكنّى (ص)، والطيب والطاهر وزينب ورقية وأُم كلثوم وفاطمة.

ثمّ قال: أكبر بنيه القاسم، ثمّ الطيب، ثمّ الطاهر، وأكبر بناته رقية، ثمّ زينب، ثمّ أم كلثوم، ثمّ فاطمة.

قال ابن إسحاق: فأمّا القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية وأمّا بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه (ص) وأمّا إبراهيم فأُمّه مارية ـ الخ.

قال ابن الأثير[٢] فولدت له أولاده كلهم الّا إبراهيم، وزينب ورقية وأُم كلثوم وفاطمة والقاسم، وبه كان يكنى، وعبدالله والطاهر والطيب. وقيل: انّ عبدالله ولد في الإسلام، هو والطاهر والطيب، فأمّا القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه.

وقال الصبان والشبلنجي والعبارة للصبان في إسعاف الراغبين[٣]: الأصح عند العلماء انّ أولاده ﷺ سبعة، ثلاثة ذكور وأربعة أُناث، فأول من ولد له (ص) القاسم، وبه كان يكنى، ثم زينب، ثمّ رقية، ثمّ فاطمة، ثمّ أُم كلثوم واسمها كنيتها، ثمّ في الإسلام عبدالله وكان يسمّى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٠٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠.

(٣) نور الأبصار ص ٥٣، إسعاف الراغبين ص ٨٨.

الطيب والطاهر، وقيل الطيب والطاهر غير عبدالله المذكور، ولدا في بطن قبل البعثة، وقيل غير ذلك. وكل هؤلاء ولدوا بمكة من خديجة، ثمّ إبراهيم بالمدينة من مارية القبطية، فأما القاسم فمات بمكة وقد بلغ سنتين، وقيل أقل، وقيل أكثر، وهو أول ميت مات من ولده، ثم عبدالله مات أيضاً بمكة صغيراً.

وأمّا إبراهيم فولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، ومات سنة عشر وقد بلغ سنة وعشرة أشهر، وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع.

وأمّا زينب فتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف، وأمّه هالة بنت خويلد، فولدت عليّاً وأمامة، فأمّا علي فأردفه النبي (ص) وراءه يوم الفتح ومات مراهقاً، وأمّا أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة، وتزوجها بعد موت علي المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب بوصية من علي (ع) فولدت له يحيى بن المغيرة وماتت عنده، وكان (ص) يحبها كثيراً حتّىٰ حملها في الصلاة، ولدت زينب سنة ثلاثين من مولده وماتت سنة ثمان من الهجرة.

وأمّا رقية فتزوجها عثمان بن عفان، قيل في الجاهلية وقيل بعد إسلامه، وهاجر بها هجرتي الحبشة، وولدت له عبدالله مات بعدها وقد بلغ ست سنين، فنقره ديك في عينه فورم وجهه فمات، ولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده (ص) وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة المدينة بشيراً بقتلى بدر من المشركين.

وأمّا أُم كلثوم فتزوجها عثمان بعد موت رقية، ولهذا سمّي ذو النورين.

واعلم أن رقية وأُم كلثوم تزوج إحداهما عتبة بن أبي لهب والأخرى عتيبة بن أبي لهب الذي أكله الأسد بدعوته (ص) وطلقاهما قبل أن يدخلا بهما بأمر أبي لهب، قيل كان المتزوج برقية عتبة والمتزوج بأُمّ كلثوم عتيبة.

وأمّا فاطمة فتزوجها علي (ع) وهو ابن احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وهي بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر عقب رجوعهم من بدر. وعليه تكون ولادتها قبل النبوة بنحو سنة، وقيل غير ذلك. وتوفيت بعد أبيها بستة أشهر على الصحيح ليلة الثلاثاء لثلاث

خلون من رمضان سنة إحدى عشر، ودفنها علي عليه السلام ليلاً، وقد كان خطبها قبله أبو بكر ثم عمر فأعرض عنهما، فلمّا خطبها علي عليه السلام أجابه وجعل صداقها درعه ولم يكن له غيرها وبيعت بأربعمائة درهم وثمانين درهماً، وجعل (ص) لها وسادة من أدم حشوها ليف، وملأ البيت رملاً مبسوطاً، وأعطاها أهاب كبش تفرشه وخميلة وسقاء وجرتين كما جاءت بذلك الروايات.

وقد ولدت فاطمة (ع) من علي (ع) ستة، ثلاثة ذكور وثلاثة اناث، فالذكور الحسن والحسين والمحسن، والاناث زينب وأُم كلثوم ورقية، كذا زاد الليث بن سعد رقية، قال: وماتت ولم تبلغ. نقله ابن الجوزي.

فأمّا الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب، وأمّا محسن فأدرج سقطا ـ الخ. انتهىٰ ما نقله الصبان في إسعاف الراغبين ملخصاً.

حكم رسول الله (ص) بين قريش في وضع الحجر

قال الطبري وابن الأثير والحلبي وابن هشام[1] والعبارة لابن هشام في السيرة: ثمّ انّ القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة، ثمّ بنوها حتّىٰ بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى، حتّىٰ تحاوروا وتحالفوا للقتال، فقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دماً، ثمّ تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لقعة الدم.

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثمّ انّهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية انّ أبا أُمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسنّ قريش كلها فقال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا فكان أول داخل رسول الله (ص) فلمّا رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد. فلمّا انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال (ص): هلمّ إليّ ثوباً،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٠٩، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٩، الكامل ٢ / ٤٥، السيرة الحلبية ١ / ١٤٤.

فأُتِيَ به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثمّ قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثمّ ارفعوه جميعاً ففعلوا حتّىٰ إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثمّ بنى عليه، وكانت قريش تسمي رسول الله (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي «الأمين».

وقال الشبلنجي[١]: فلمّا بلغ رسول الله خمساً وثلاثين سنة جددت قريش بناء الكعبة لتصدع جدرانها بسيل دخلها بعد حريق أصابها من تبخير لها، فكان ﷺ ينقل معهم الحجارة، فلمّا وصلوا الى موضع الحجر اختلفوا فيمن يضعه، ثمّ رضوا بأن يضعه بيده فوضعه (ص).

وقال الصبان[٢]: والباني لها أولاً آدم، ثمّ إبراهيم، ثمّ العمالقة، ثمّ جرهم، ثمّ قصي جده (ص) وهو أول من سقّفه، ثمّ القريش المرة المذكورة، ولضيق النفقة بهم عن بنيانها على قواعد آدم وإبراهيم أخرجوا منها الحجر وجعلوا عليه جداراً قصيراً علامة على انّه منها.

الى أن قال: وقال بعضهم: لم يصح بناء آدم إياها، كما لم يصح ما قيل انّ الملائكة بنتها قبل آدم، بل الباني لها أولاً إبراهيم، وكان ارتفاعها على عهد إبراهيم تسعة أذرع، فزادت قريش تسعة ثانية، وابن الزبير تسعة ثالثة، فهي الآن سبعة وعشرون ذراعاً، وبعد قتل ابن الزبير نقض الحجاج الثقفي ما أدخله ابن الزبير فيها من الحجر وأعلا بابها وسد الباب الثاني الذي فتحه.

قال محمد بن سعد[٣]: وميزوا واقترعوا عليه، فوقع لعبدمناف وزهرة ما بين الركن الأسود الى ركن الحجر وجه البيت، ووقع لبني أسد بن عبدالعزى وبني عبدالدار بن قصي ما بين ركن الحجر الى ركن الحجر الآخر، ووقع لتيم ومخزوم ما بين ركن الحجر الى ركن اليماني، ووقع لسهم وجمح وعدي وعامر بن لؤي ما بين الركن اليماني الى الركن الأسود، فبنوا. فلمّا انتهوا الى حيث يوضع الركن من البيت قالت كل قبيلة: نحن أحق بوضعه، واختلفوا حتّىٰ

---

(١) نور الأبصار ص ١٤.

(٢) إسعاف الراغبين ص ١٤.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ١٤٦.

خافوا القتال، ثمّ جعلوا بينهم أول من يدخل من باب بني شيبة فيكون هو الذي يضعه، وقالوا: رضينا وسلمنا. فكان رسول الله (ص) أول من دخل من باب بني شيبة، فلمّا رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، ثمّ أخبروه الخبر، فوضع رسول الله (ص) ردائه وبسطه الى الأرض، ثمّ وضع الركن فيه ثمّ قال: ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل، فكان في ربع بني عبدمناف عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني أبو زمعة، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة، وكان في الربع الرابع قيس بن عدي. ثمّ قال رسول الله (ص): ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب ثمّ ارفعوه جميعاً، فرفعوه ثمّ وضعه رسول الله ﷺ بيده في موضعه ذلك. فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي حجراً يشد به الركن فقال العباس: لا، ونحّاه وناول العباس رسول الله (ص) حجراً فشد به الركن، فغضب النجدي حيث نحي، فقال النبي (ص): انّه ليس يبني معنا في البيت الّا منا. قال: فقال النجدي: يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول وسنّ وأموال، عمدوا الى أصغرهم سنّاً وأقلّهم مالاً فرأّسوه عليهم في مكرمتهم وخرزهم كأنهم خدم له، أما والله ليفوقنهم[1] سبقاً وليقسمن بينهم حظوظاً وحدوداً ـ ويقال انّه إبليس.

فقال أبو طالب:

انّ لنـــــا أوله وآخـــره في الحكم والعدل الذي لا ننكره

الخ. ثمّ بنوا حتّىٰ انتهوا الى موضع الخشب، فكان خمسة عشر جائزاً سقفوا البيت عليه وبنوه على ستة أعمدة وأخرجوا الحجر من البيت.

وقال الزيني دحلان[2]: وذكر ابن إسحاق: أن الذي أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أُمية المخزومي أخو الوليد بن المغيرة، واسم أبي أُمية حذيفة، وكان أسنّ قريش، وهو والد أُم سلمة وعبدالله بن أبي أُمية، وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم. وكان يعرف بزاد الراكب، لأنه إذا سافر لا يتزود معه أحد، بل يكفي كل من سافر معه الزاد، ثمّ انّه مات على

---

(١) وقال الحلبي: والله ليفرقنهم شيعاً، الخ.

(٢) السيرة النبوية لزيني دحلان ١ / ٥٦.

دين قومه ولم يدرك الإسلام.

ولمّا مات أبو أُمية رثاه أبو طالب وغيره، ورثاه أبو أحيحة بقوله:

ألا هلك الماجد الرافـد وكل قريش له حـاسد

ومن هو عصمة أيتامنا وغيث إذا فقد الرعـد

ثمّ قال: وذكر السهيلي: انّ إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي، فصاح بأعلىٰ صوته: يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن، وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي أسنانكم، فكاد يثير شراً بينهم ثمّ سكتوا.

وقال المسعودي[1]: وتنازعوا على ما ذكرنا أيّهم يضعه، فاتفقوا على أن يرضوا بأوّل من يطلع من باب بني شيبة، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي (ص) من ذلك الباب، وكـانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والأدناس، فحكموه فـيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه، فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ (ص) الحجر فوضعه في وسطه ثمّ قال، لأربعة رجال من قريش وأهل الزعماء منهم ـ وهم عتبة بن ربيعة، وأسود بن عبدالمطلب، وأبو حذيفة بن المغيرة، وقيس بن عدي السهمي ـ ليأخذ كل واحد منكم بجنب من جنبات هذا الرداء، فشالوه حتّى ارتفع مـن الأرض وأدنـاه مـن مـوضعه، فأخذ (ص) الحجر ووضعه في مكانه وقريش كلهم حضور، وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه، فقال قائل لمن حضر من قـريش مـتعجباً مـن فـعلهم وانـقيادهم الى أصغرهم سنّاً: واعجباً لقوم أهل شرف ورئاسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصـغرهم سـنّاً وأقلّهم مالاً فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقاً وليقسمن بينهم حظوظاً وحدوداً وليكونن له بعد هذا اليوم شأن عظيم.

وقد تنوزع في هذا القائل، فمن الناس من رأى أنه إبليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات، وزعموا أنّ اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد، ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة ـ الخ.

---

(١) مروج الذهب ٣ / ١١.

علامات النبوة في رسول الله (ص) قبل أن يوحي الله إليه
واخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود
والرهبان من النصارى بنبوته (ص)

قال الطبري وابن الأثير ومحمد بن سعد[١] والعبارة لابن الأثير: وكان (ص) قبل أن يظهر له جبريل يرى ويعاين آثاراً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه بفضله، ومن ذلك انّه (ص) كان لا يمر بحجر ولا شجر الّا سلم عليه، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، وكانت الأُمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أُمة قومها بذلك.

قال عامر بن ربيعة: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبدالمطلب، ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأُصدقه وأشهد انّه نبي، فإن طالت بك حياة ورأيته فاقرأه منّي السلام، وسأخبرك ما نعته حتّىٰ لا يخفى عليك. قلت: هلمّ. قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله، لا تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه، ثمّ يخرجه قومه ويكرهون ما جاء به، ويهاجر الى يثرب فيظهر بها أمره، فإياك أن تنخدع عنه، فانّي طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أساله من اليهود والنصارىٰ والمجوس يقول: هذا الدين ورائك، وينعتونه مثل ما نعتّه لك ويقولون لم يبق نبي غيره.

قال عامر: فلمّا أسلمت أخبرت رسول الله (ص) بقول زيد واقرائه السلام، فرد عليه رسول الله (ص) وترحم عليه وقال: قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً.

وقال جبير بن مطعم: كنا جلوساً عند صنم بوانة قبل أن يبعث رسول الله (ص) بشهر نحرنا جزوراً، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم: اسمعوا الى العجب، ذهب استراق الوحي ونرمى بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد، مهاجره الى يثرب. قال: فأمسكنا وعجبنا، وخرج رسول الله (ص).

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٤، الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٦، الطبقات لابن سعد ١ / ١٥٩.

قال الطبري ومحمد بن سعد: انّ بني غفار قربوا عجلاً لهم ليذبحوه على بعض أصنامهم، فشدوه فصاح: يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح بمكة، يشهد أن لا اله الاّ الله. قال: فنظروا فإذا النبي (ص) قد بعث.

محمد بن سعد[1] قال: لمّا قدم تبّع المدينة ونزل بقناة فبعث الى أحبار اليهود فقال: اني مخرب هذا البلد حتّىٰ لا تقوم به يهودية ويرجع الأمر الى دين العرب.

قال: فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ أعلمهم: أيها الملك انّ هذا بلد اليه مهاجر نبي من بني إسماعيل مولده مكة اسمه أحمد وهذه دار هجرته، انّ منزلك هذا الذي أنت به يكون من القتلى والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم. قال تبّع: ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون. قال: يسير اليه قومه فيقتلون ها هنا. قال: فأنّى قبره؟ قال: بهذا البلد. قال: فإذا قوتل لمن تكون الدبرة؟ قال: تكون عليه مرة وله مرة، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه ويقتل أصحابه مقتلة لم يقتلوا في موطن ثمّ تكون العاقبة له ويظهر فلا ينازعه في هذا الأمر أحد. قال: وما صفته؟ قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يركب البعير ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى أخاً أو ابن عم أو عماً حتّىٰ يظهر أمره. قال تبّع: ما الى هذا البلد من سبيل وما كان ليكون خرابها على يدي. فخرج تبّع منصرفاً الى اليمن.

وقال: كان الزبير بن باطا ـ وكان أعلم اليهود ـ يقول: انّي وجدت سفراً كان أبي يختمه عليّ، فيه ذكر أحمد (ص) نبي يخرج بأرض القرظ صفته كذا وكذا. فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي لم يبعث، فما هو الاّ أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج بمكة عمد الى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي وقال: ليس به.

وقال: كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي (ص) عندهم قبيل أن يبعث وانّ دار هجرته بالمدينة، فلمّا ولد رسول الله (ص) قالت أحبار اليهود: ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع. فلمّا تنبأ قالوا: قد تنبأ أحمد، قد طلع الكوكب الذي يطلع. وكانوا

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٥٩.

يعرفون ذلك ويقرون به ويصفون ـ الخ.

وقال: كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله (ص) في كتبهم ويعلمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجره، فلمّا ظهر رسول الله (ص) حسدوا وبغوا وقالوا: ليس به.

وقال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: شامت النصرانية واليهودية فكرهتهما، فكنت بالشام وما والاه حتّىٰ أتيت راهباً في صومعته، فوقفت عليه فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عن عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية، فقال لي: أراك تريد دين إبراهيم، يا أخا أهل مكة انك لتطلب ديناً ما يؤخذ اليوم به هو دين أبيك إبراهيم، وكان حنيفاً لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، كان يصلي ويسجد الى هذا البيت الذي ببلادك، فالحق ببلدك فانّ نبياً يبعث من قومك في بلدك يأتي بدين إبراهيم بالحنيفية وهو أكرم الخلق على الله.

وقال: أوحى الله الى يعقوب: اني أبعث من ذريتك ملوكاً وأنبياء حتّىٰ أبعث النبي (ص) الحرمي تبني أُمته هيكل بيت المقدس، وهو خاتم الأنبياء واسمه أحمد.

وقال: لمّا خرجت هاجر بابنها إسماعيل تلقاها متلق فقال: يا هاجر انّ ابنك أبو شعوب كثيرة، ومن شعبه النبي الأُمّي ساكن الحرم.

وقال: انّ كعب بن أسد قال لبني قريظة حين نزل النبي في حصنهم: يا معشر اليهود تابعوا الرجل، فوالله انّه النبي، وقد تبين لكم انّه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في الكتب، وأنه الذي بشّر به عيسى، وانكم لتعرفون صفته. قالوا: هو به ولكن لا نفارق حكم التوراة. وقال: بعثت قريش النضر بن الحارث بن علقمة وعقبة بن أبي معيط وغيرهما الى يهود يثرب وقالوا لهم: سلوهم عن محمد، فقدموا المدينة فقالوا: أتيناكم لأمر حدث فينا، منا غلام يتيم حقير يقول قولاً عظيماً، يزعم أنه رسول الرحمن ولا نعرف الرحمن الّا رحمان اليمامة. قالوا: صفوا لنا صفته، فوصفوا لهم، قالوا: فمن تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا، فضحك حبر منهم وقال: هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة.

وقال: قدم أسعد بن زرارة من الشام تاجراً في أربعين رجلاً من قومه، فرأى رؤياً أنّ آتياً أتاه فقال: انّ نبياً يخرخ بمكة يا أبا أمامة فاتبعه، وآية ذلك أنكم تنزلون منزلاً فيصاب

أصحابك فتنجوا أنت وفلان يطعن في عينه، فنزلوا منزلاً فبيّتهم الطاعون فأصيبوا جميعاً غير أبي أمامة وصاحب له طعن في عينه وقال: انّ خالد بن سعيد قال: رأيت في المنام قبل مبعث النبي (ص) ظلمة غشيت مكة ما أرى جبلاً ولا سهلاً، ثمّ رأيت نوراً خرج من زمزم مثل ضوء المصباح كلّما ارتفع عظم وسطع حتّىٰ ارتفع وأضاء لي أول ما أضاء البيت، ثمّ عظم الضوء حتّىٰ ما بقي من سهل ولا جبل الّا وأنا أراه، ثمّ سطع في السماء، ثمّ انحدر حتّىٰ أضاء لي نخل يثرب فيها البسر، وسمعت قائلا يقول في الضوء: سبحانه، تمت الكلمة وهلك ابن مارد بهضبة الحصى بين أذرح والأكمة، وسعدت هذه الأمة، جاء نبي الأميين وبلغ الكتاب أجله، كذبته هذه القرية تعذب مرتين تتوب في الثالثة ثلاث بقيت ثنتان بالمشرق وواحدة بالمغرب. فقصها خالد على عمرو بن سعيد فقال: لقد رأيت عجيباً، وانّي لأرى هذا أمراً يكون في بني عبدالمطلب، إذ رأيت النور خرج من زمزم.

وقال: كانت امرأة في بني النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان كان لها تابع من الجن، فكان يأتيها، فأتاها حين هاجر النبي (ص) فانقض على الحائط، فقالت: ما لك لم تأت كما كنت تأتي. قال: قد جاء النبي الذي يحرم الزنا والخمر.

وقال: كان الوحي يستمع، وكان لامرأة من بني أسد تابع، فأتاها يوماً وهو يصيح: جاء أمر لا يطاق أحمد حرم الزنا، فلمّا جاء بالإسلام منعوا الاستماع ـ انتهى ما نقله محمد بن سعد في الطبقات ملخصاً.

قال ابن هشام[1]: قال ابن إسحاق: وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارىٰ والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله (ص) قبل مبعثه لما تقارب من زمانه: أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه، وأمّا الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقي العرب لذلك فيه بالاً، حتّىٰ بعثه الله تعالى (ص) ووقعت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢١٧.

تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها، فلمّا تقارب أمر رسول الله (ص) وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينهم وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد حين بعثه وهو يقص خبر الجن إذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وأنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً﴾[1].

فلمّا سمعت الجن القرآن عرفت أنها انّما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة، فآمنوا وصدقوا، ثمّ ولوا الى قومهم منذرين ﴿قالُوا يا قَوْمَنا إِنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيه﴾[2].

---

(١) سورة الجن / الآية ١.

(٢) سورة الاحقاف / الآية ٣٠.

مبعث رسول الله (ص)

قال ابن هشام[1]: فلمّا بلغ محمد رسول الله (ص) أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين كافة للناس بشيراً، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول تعالى لمحمد نبيه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جائكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذالِكُمْ إِصْرِي﴾ أي ثقل ما حملتكم من عهدي ﴿قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشاهِدِين﴾[2]. فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

قال الطبري وابن الاثير والعبارة له في الكامل[3]: بعث الله نبيه محمداً (ص) لعشرين سنة مضت من ملك كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشيروان.

قال ابن عباس من رواية حمزة وعكرمة عنه وأنس بن مالك وعروة بن الزبير انّ النبي (ص) بعث ونزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٤٩.

(٢) سورة آل عمران / الآية ٨١.

(٣) الكامل ٢ / ٤٦، تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٣.

وقال ابن عباس من رواية عكرمة أيضاً عنه وسعيد بن المسيب: انّه نزل عليه ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

وكان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف، واختلفوا في أي الاثانين كان ذلك، فقال أبو قلدبة الجرمي: نزل الفرقان على النبي لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان، وقال آخرون كان ذلك لتسع عشرة مضت من رمضان.

وقال الطبري: وقال آخرون بل نزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه، وقال آخرون بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، واستشهدوا لتحقيق ذلك بقول الله عزّ وجلّ ﴿وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقى الجَمْعانِ﴾[1] وذلك لملتقى رسول الله (ص) والمشركين ببدر، وانّ التقاء رسول الله والمشركين ببدر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان.

وقال محمد بن سعد[2]: نزل الملك على رسول الله (ص) بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، ورسول الله يومئذ ابن أربعين سنة، بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين. الى أن قال: فعن أنس بن مالك: انّ رسول الله (ص) بعث على رأس الأربعين. قال: وهذا هو المشهور بل الجمهور من أهل السير والعلم بالأثر، وقيل بزيادة يوم، وقيل بزيادة عشرة أيام، وقيل بزيادة شهرين، وقيل بزيادة سنتين، وهو شاذ. وأكثر منه شذوذاً ما قيل انّه بزيادة ثلاث سنين وما قيل انّه خمس سنين.

قال بعضهم: الأربعون هي سن الكمال ونهاية بعث الرسل ـ الخ.

وقال الصبان[3]: واختلف في شهر ابتداء الوحي، والذي عليه الأكثر أنه رمضان لسبع ليال مضت منه، وقيل لسبع عشرة، وقيل ربيع الأول، وقيل رجب. وأما اليوم فالذي عليه جمع أن في يوم الاثنين ولادته وبعثته وخروجه من مكة ووصوله المدينة ووفاته ـ الخ.

وقال المسعودي[4]: ثمّ بعث الله رسوله (ص) وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان

---

(١) سورة الأنفال / الآية ٤١.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ١٩٤.

(٣) إسعاف الراغبين ص ١٧.

(٤) مروج الذهب ١/ ٧٤.

الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفاً، وهو ابن أربعين سنة كاملة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين.

قال الطبري ومحمد بن سعد وابن الأثير والعبارة له في الكامل[١]: كان أول ما ابتدأ به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثمّ حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، ثمّ يرجع الى أهله فيتزود لمثلها حتّىٰ فاجئه الحق فأتاه جبريل فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال رسول الله (ص): فجثوت لركبتي ترجف بوادري، فدخلت على خديجة فقلت: زملوني زملوني.

قال الحلبي والزيني دحلان وابن هشام والعبارة له في السيرة[٢]: قال ابن إسحاق: فذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها حدثته أنّ أوّل ما بدأ به رسول الله (ص) الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله (ص) من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمته العباد به رؤياً في نومه الّا جاءت كفلق الصبح. قالت: وحبب الله تعالى اليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده.

قال الشبلنجي والصبان والعبارة للصبان[٣]: ولمّا قربت أيام الوحي حبب الله اليه الخلوة، فكان يختلي في غار حراء ويتعبد فيه، قيل بالذكر، وقيل بالفكر ورد بما هو مبسوط في طبقات المناوي.

وفي كلام الشيخ محي الدين بن العربي: انّ تعبده قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم عليه السلام، وقيل غير ذلك.

وكان لا يرى رؤياً الّا جاءت مثل فلق الصبح، وكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي، قيل مدتها ستة أشهر.

وثبت أنه لمّا دنا زمن الوحي إليه (ص) كثر رجم الشياطين بالنجوم مع إصابتها لهم،

---

(١) الكامل ٢ / ٤٨، تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٨، الطبقات لابن سعد ١ / ١٩٤.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٤٩، السيرة الحلبية ١ / ٢٣٣، السيرة النبوية لدحلان ١ / ٧٩.
(٣) نور الأبصار ص ١٥، إسعاف الراغبين ص ١٥.

وانقطع بالمرة استراق السمع من حينه. وما روى من رجمهم بها ليلة مولده وقبلها في أزمنة الرسل، فعلى ثبوته كان قليلاً، وتارة يصيب وتارة لا يصيب، وأمّا في زمن قرب الوحي اليه (ص) فكان يصيب ولا بد مع الكثرة. قاله الحلبي في سيرته.

فلمّا تم له أربعون سنة جاءه جبريل بالنبوة وهو في غار حراء، فقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارىء. فضمه حتّىٰ بلغ منه الجهد، ثمّ أطلقه فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء. فضمه كذلك ثمّ أطلقه، فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء فضمه كذلك ثمّ أطلقه، فقال له ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ﴾[١] الى قوله ﴿عَلَّمَ الْإِنْسانَ مالَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] الخ.

قال الطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل[٣]: ثمّ انّ أول ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ ﴿نَ والقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾[٤] ويا أيها المدثر والضحى.

وقال يحيى بن أبي كثير: سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن. قال: نزل ﴿يا أَيُّها المُدَّثِّرُ﴾[٥] أول ما نزل. قال: قلت انّهم يقولون ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٦] قال: سألت جابر ابن عبدالله قال: لا أحدثك الّا ما حدثنا رسول الله (ص)، قال: جاورت بحراء، فلمّا قضيت جواري هبطت فسمعت صوتاً، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن يساري فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي وأمامي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فإذا هو ـ يعنى الملك ـ جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه فأتيت خديجة فقلت: دثّروني دثّروني، وصبّوا عليَّ ماء، ففعلوا فنزلت ﴿يا أَيُّها المُدَّثِّرُ﴾ هذا حديث صحيح.

قال هشام الكلبي: أتى جبريل النبي (ص) أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ثمّ ظهر له برسالة الله يوم الإثنين، فعلّمه الوضوء والصلاة، وعلّمه ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَق﴾، وكان

---

(١) سورة العلق / الآية ١.
(٢) سورة العلق / الآية ٥.
(٣) الكامل ٢ / ٤٩، تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٩.
(٤) سورة القلم / الآية ١.
(٥) سورة المدثر / الآية ١.
(٦) سورة العلق / الآية ١.

لرسول الله (ص) أربعون سنة. انتهى ما نقله ابن الأثير والطبري.

قال ابن هشام[١]: قال ابن إسحاق: فابتدىء رسول الله (ص) بالتنزيل في شهر رمضان، يقول الله عز وجل ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ﴾[٢]، وقال تعالى ﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ﴾[٣] الخ، وقال الله تعالى ﴿حمّ* والكِتابِ المُبينِ* إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةٍ مبارَكَةٍ﴾[٤] الخ، وقال تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ باللهِ وما أَنْزَلنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرقانِ يَوْمَ التَقى الجَمْعانَ﴾[٥] وذلك ملتقى رسول الله (ص) والمشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام انّ رسول الله (ص) التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان.

قال الحلبي[٦]: وعن النخعي: انّ أول سورة أنزلت عليه ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

قال الإمام النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف. هذا كلامه.

ولا يخفى أن مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القرآن، أي أول آيات أنزلت، فلا ينافي ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على أن أول سورة أنزلت فاتحة الكتاب، لأن المراد أول سورة كاملة أنزلت لا في شأن الانذار، فلا ينافي ما تقدم من رواية جابر مما يقتضي أن أول ما أنزل ﴿يا أيّها المُدّثر﴾ لأن المراد بذلك أول سورة كاملة نزلت في شأن الانذار بعد فترة الوحي، أي فانّها نزلت قبل تمام سورة اقرأ، وهذا الجمع تقدم الوعد به ـ الخ.

وقال الشبلنجي[٧]: وفتر الوحي حتّىٰ حزن النبي (ص) حزناً شديداً، وكان مدة فترته ثلاث سنين كما جزم به ابن إسحاق، ثمّ نزل عليه جبريل بسورة ﴿يا أيّها المُدّثر﴾[٨] وتتابع

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٥٦.
(٢) سورة البقرة / الآية ١٨٥.
(٣) سورة القدر / الآية ١.
(٤) سورة الدخان / الآية ١ ـ ٣.
(٥) سورة الانفال / الآية ٤١.
(٦) السيرة الحلبية ١ / ٢٦٠.
(٧) نور الأبصار ١ / ١٥.
(٨) سورة المدثر / الآية ١.

الوحي ونزولها ابتداء رسالته (ص)، فهي متأخرة عن نبوته بثلاث سنين، وقيل مقارنة لنبوته. وصار يدعو الناس الى الله خفية لعدم الامر بالإظهار، وكان من أسلم إذا أراد الصلاة ذهب الى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين ـ الخ.

وقال الزيني دحلان[١]: وفي فتح الباري: جزم ابن إسحاق بأن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وجزم السهيلي بأنها كانت سنتين ونصفاً، وقيل خمسة عشرة يوماً، وقيل غير ذلك ـ الخ.

قال ابن هشام في السيرة: قال ابن إسحاق: ثمّ فتر الوحي عن رسول الله (ص) فترة حتّىٰ شق ذلك عليه فأحزنه، فجاء جبرئيل بسورة الضحى يقسم له وهو الذي أكرمه بما أكرمه ما ودعه ربه وما قلاه، فقال تعالى ﴿والضُّحىٰ * واللَّيْلِ إِذا سَجىٰ * ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ﴾[٢] الخ.

قال المسعودي[٣]: وأول ما نزل عليه من القرآن ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق﴾، وأتاه جبريل في ليلة السبت ثمّ في ليلة الأحد، وخاطبه بالرسالة في يوم الإثنين، وذلك بحراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأول السورة الى قوله ﴿عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلاة ركعتين، ثمّ أمر بإتمامها بعد ذلك، وأقرت ركعتين في السفر وزيد في صلاة الحضر. وكان مبعثه (ص) علىٰ رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وذلك على رأس مأتي سنة من يوم التحالف بالربذة، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشر سنة من هبوط آدم (ع).

محمد بن سعد[٤] قال: أول ما أنزل على النبي (ص) ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق * خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَق * إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَم﴾[٥] فهذا

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٨٤.
(٢) سورة الضحى / الآية ١ ـ ٣.
(٣) مروج الذهب ٣ / ١٥.
(٤) الطبقات لابن سعد ١ / ١٩٦.
(٥) سورة العلق / الآية ١ ـ ٥.

صدرها الذي نزل على النبي يوم حراء، ثمّ نزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله.

وعن عبيد بن عمير قال: أول سورة أنزلت على النبي ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وعن ابن عباس: انّ رسول الله (ص) لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبرئيل، فحزن حزناً شديداً. الى أن قال: فبينا رسول الله (ص) عامداً لبعض تلك الجبال الى أن سمع صوتاً من السماء، فوقف رسول الله (ص) صعقاً للصوت، ثمّ رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعاً عليه يقول: يا محمد أنت رسول الله (ص) حقاً وأنا جبريل. قال: فانصرف رسول الله (ص) وقد أقر الله عينه وربط جأشه، ثمّ تتابع الوحي بعد الوحي.

وقال: أخبرنا محمد بن مصعب، أخبرنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم: انّ رسول الله قال لي: يا محمد لتنم عينك ولتسمع اذنك وليعِ قلبك. قال النبي ﷺ: فنامت عيني ووعى قلبي وسمعت أذني.

قال الحلبي[1]: وقال بعضهم: القول بأنه في ربيع الأول يوافق القول بأنه بعث على رأس أربعين، لأن مولده (ص) كان في ربيع الأول على الصحيح، وهو قول الأكثرين.

وقيل كان ذلك في ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب، فقد أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة قال: من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي (ص) بالرسالة، وأول يوم هبط فيه على النبي ولم يهبط عليه قبل ذلك.

وسيأتي في بعض الروايات: انّ جبريل نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الإثنين. ويجوز أن يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الإثنين، فقد جاء أن رسول الله (ص) قال لبلال: لا يفوتك صوم يوم الإثنين، لأني ولدت فيه ونُبّئت فيه. فلا مخالفة بين كونه نبيء في الليل وبين كونه نبيء في اليوم، لأن وقت السحر قد يلحق بالليل.

وفي كلام بعضهم: أتاه (ص) جبريل ليلة السبت وليلة الأحد، ثمّ ظهر له بالرسالة يوم

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٢٣٨.

الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حراء فجاء بأمر الله تعالى. وهذا القول ـ أي البعث كان في رمضان ـ قال به جماعة، منهم الإمام الصرصري حيث قال: وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان.

واحتجوا: بأن أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته نزل عليه القرآن وأجيب: بأن المراد بنزول القرآن في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا ـ الخ.

شدّة الوحي على النبي (ص)

روى محمد بن سعد[١] عن عبادة بن الصامت انّ النبي (ص) كان إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربد وجهه، وعن أبي أروى الدوسي قال: رأيت الوحي ينزل علىٰ النبي (ص) وانّه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتّىٰ أظن ذراعها يتفصم، فربما بركت وربما قامت موتدة يديها حتّىٰ يسرى عنه من ثقل الوحي، وانّه لينحدر منه مثل الجمان.

وعن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة عن عمه انّه بلغه أن رسول الله (ص) كان يقول: كان الوحي يأتيني على نحوين، يأتيني به جبرئيل فيلقيه عليّ كما يلقى الرجل على الرجل، فذلك يتفلت منّي، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتّىٰ يخالط قلبي، فذلك الذي لا يتفلت منّي.

وعن عائشة: انّ الحارث بن هشام قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل ليَ الملك فيكلمني فأعي ما يقول.

قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليفصد عرقاً.

عن ابن عباس قال: كان النبي (ص) إذا نزل عليه الوحي يعالج من ذلك شدة قال: كان يتلقاه ويحرك شفتيه كي لا ينساه فأنزل الله عليه ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[٢] أي

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٩٧.

(٢) سورة القيامة / الآية ١٦.

لتعجل بأخذه ﴿إنَّ علينا جَمْعَهُ وقُرْآنهُ﴾[١] إنّ علينا أن نجمعه في صدرك. قال ﴿قرآنه﴾ أي أن يقرأه قال ﴿فاتّبع قرآنه﴾[٢] أي قال أنصت ﴿إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾ أي أن نبينه بلسانك. قال فانشرح رسول الله (ص) بعد ذلك.

وفي رواية: ﴿ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَه﴾[٣] قال: ثمّ علينا أن تقرأه. قال: فكان رسول الله بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع له فإذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه. انتهى ما نقله محمد بن سعد ملخصاً.

أول من آمن بالله وصدّق رسوله (ص)

قال الطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل[٤]: فكان أول من آمن به وصدقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته.

قال الواقدي: أجمع أصحابنا على أن أول من استجاب لرسول الله (ص) من أهل القبلة خديجة، ثمّ كان أول شيء فرض الله من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان الصلاة، وانّ الصلاة لما فرضت عليه أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت فيه عين، فتوضّأ جبريل وهو ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثمّ توضّأ رسول الله (ص) مثله، ثمّ قام جبريل فصلّى به وصلّى النبي بصلاته، ثمّ انصرف وجاء رسول الله (ص) الى خديجة فعلّمها الوضوء ثمّ صلّى بها فصلت بصلاته.

وقال ابن هشام[٥]: وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاء من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه (ص) لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك الّا فرّج الله عنه بها إذا رجع اليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس.

---

(١) سورة القيامة / الآية ١٧.
(٢) سورة القيامة / الآية ١٨.
(٣) سورة القيامة / الآية ١٩.
(٤) الكامل ٢ / ٥٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٧.
(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٥٦.

ثمّ قال: وحدثني من أثق به أن جبريل أتى رسول الله (ص) فقال: اقرأ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله، هذا جبرئيل يقرئك السلام من ربك ـ الخ.

وقال الحلبي[١]: ولا يخفى أن أهل الأثر وعلماء السير على أن أول الناس إيماناً بـه (ص) على الاطلاق خديجة، ثمّ قال: أقول نقل الثعلبي اتفاق العلماء عليه، وقال النووي: انّه الصواب عند جماعة من المحققين.

وقال ابن الأثير[٢]: خديجة أول خلق الله تعالى أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة ـ الخ.

وقال الزيني دحلان[٣]: قال في المواهب اللدنية: أول من آمن بالله وصدق برسوله (ص) صدّيقة النساء خديجة ـ الخ.

اول من صدّقه بما جاء من عند الله بعد خديجة

قال الطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل[٤]: اختلف العلماء في أول من أسلم بـعد الإتفاق على أن خديجة أول خلق الله إسلاماً، فقال قوم أول ذكر آمن عليّ، روي عن علي (ع) أنه قال: أنا عبدالله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي الّا كاذب مـفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين. وقال ابن عباس: أول من صلّى علي (ع) وقال جابر بن عبدالله: بعث النبي ﷺ يوم الإثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء.

وقال زيد بن أرقم: أول من أسلم مع النبي (ص) علي (ع).

وقال عفيف الكندي: كنت امرءاً تاجراً، فقدمت مكة أيام الحج، فأتيت العباس، فبينا نحن عنده إذ خرج رجل تجاه الكعبة يصلّي، ثمّ خرجت امرأة تصلّي معه، ثمّ خرج غلام فقام يصلّي معه. فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمد بن عبدالله ابن أخي، زعم انّ الله أرسله،

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٢٦٧.
(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٧.
(٣) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٨٧.
(٤) الكامل ٢ / ٥٧، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٩.

وانّ كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة آمنت به، وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدين الّا هؤلاء الثلاثة. قال عفيف: ليتني كنت رابعاً.

وقال محمد بن المنذر وربيعة بن أبي عبدالرحمن وأبو حازم المدني والكلبي: أول من أسلم علي (ع) قال الكلبي: كان عمره تسع سنين، وقيل إحدى عشر سنة.

وقال ابن اسحاق: أول من أسلم علي وعمره إحدى عشرة سنة، وكان من نعمة الله عليه أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال يوماً رسول الله (ص) لعمّه العباس: يا عم انّ أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفّف عن عيال أبي طالب فانطلقا اليه وأعلماه ما أرادا، فقال أبو طالب: أتركا لي عقيلاً واصنعا ماشئتما. فأخذ رسول الله (ص) علياً وأخذ العباس جعفراً. فلم يزل علي عليه السلام عند النبي (ص) حتّىٰ أرسله الله فاتبعه.

وكان النبي (ص) إذا أراد الصلاة انطلق هو وعلي الى بعض الشعاب بمكة، فيصلّيان ويعودان، فعثر عليهما أبو طالب فقال: يا بن أخي ما هذا الدين؟ قال: دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله تعالى الى العباد وأنت أحق من دعوته الى الهدى وأحق من أجابني. قال: لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، ولكن والله لا تخلص قريش اليك بشيء تكرهه ما حييت. فلم يزل جعفر عند العباس حتّىٰ أسلم واستغنى عنه.

قال: وقال أبو طالب لعليّ: ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبته آمنت بالله وبرسوله وصليت معه. فقال: أما انّه لا يدعونا الّا الى الخير فالزمه. ثمّ قال ابن الأثير[1]: وقيل أول من أسلم أبو بكر، وقيل أول من أسلم زيد بن حارثة.

وروى في أسد الغابة[2] بإسناده عن سلمة الجبيري عن أبيه عن عمرو بن مرة الجهني وعبدالله بن فضالة المزني وكان لهما صحبة عن جابر بن عبدالله انّهم كانوا يقولون: علي بن أبي طالب (ع) أول من أسلم.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٨.

(٢) اسد الغابة ٣/٢٤٢.

وقال الطبري[١]: قال الحارث: قال ابن سعد قال الواقدي: واجتمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعدما تنبأ رسول الله (ص) بسنة، فأقام بمكة ثنتي عشرة سنة.

وقال المسعودي[٢]: وقد تنوزع في علي بن أبي طالب (ع)، فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام، بل كان تابعاً للنبي (ص) في جميع أفعاله مقتدياً به، وبلغ هو على ذلك، وانّ الله عصمه وسدّده ووفّقه لتبعيّته للنبي لأنهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته. ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جلّ وعزّ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين﴾[٣] وكان بدؤه بعلي إذ كان أقرب الناس اليه وأتبعهم له. ومنهم من رأى غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة، وقد احتج كل فريق لقوله. ومنهم من قال بالنص في الإمامة والإختيار.

الى أن قال: ثمّ أسلم أبو بكر ودعا قومه الى الإسلام فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم الى النبي (ص) فأسلموا، فهؤلاء النفر سبقوا الناس بالإيمان ـ الخ.

وقال الطبري[٤]: حدثنا كنانة بن جبلة، عن إبراهيم بن طهمان، عن الحجاج بن الحجاج، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن سعد قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم اسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ـ الخ.

وقال ابن قتيبة[٥]: أول من اتبع رسول الله (ص)، وآمن به من أصحابه علي بن أبي طالب، وهو ابن تسع سنين، ثمّ زيد بن حارثة، ثمّ أبو بكر.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٤.
(٢) مروج الذهب ٣ / ١٦.
(٣) سورة الشعراء / الآية ٢١٤.
(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٦.
(٥) المعارف ص ٥٦.

وقال محمد صالح الكشفي[١]: أول من أسلم: رواه جمع من فضلاء الصحابة كأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ومقداد بن الأسود وخباب بن الارت وجابر بن عبدالله الأنصاري وخزيمة بن ثابت وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وعباس عمّ النبي (ص) ثمّ روى عن ابن عباس وأبي ذر وسلمان الفارسي عن النبي (ص): انّ هذا أول من آمن بي. ثمّ روي عن سلمان الفارسي عن النبي (ص): انّ هذا أول من آمن بي. ثمّ روي عن سلمان عن النبي (ص) انّه قال: أول هذه الأُمّة وروداً على الحوض أوّلهم إسلاماً عليّ بن أبي طالب.

وقال الطيالسي[٢]: أول من صلّى مع رسول الله (ص) بعد خديجة علي، رواه عن ابن عباس.

وقال الزيني دحلان[٣]: انّ كلاً من أبي بكر وعلي بادرا بالتصديق والإسلام، وعليّ كان عند النبي (ص) وفي بيته، فيحتمل انّه أسلم مع إسلام خديجة، ويحتمل أنه قارن إسلامه إسلام أبي بكر.

وقال أحمد بن حنبل[٤] في إن عليّاً أول من صلّى من الناس وأسلم.

ومثل ذلك زيد بن حارثة، فانّه كان مولى النبي (ص)، وكان من السابقين في الإسلام. وكذا بلال كان من السابقين في الإسلام، ففي بعض الأحاديث انّ أول الناس إسلاماً خديجة، وفي بعضها أبو بكر، وفي بعضها عليّ وفي بعضها زيد بن حارثة، وفي بعضها بلال.

قال الحافظ ابن الصلاح: والأورع أن لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين بل يقال: أوّل من أسلم من الرجال البالغين الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان عليّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال.

وقال المحب الطبري: الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها، فيقال: أول من أسلم مطلقاً خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين، وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب

---

(١) مناقب المرتضوية ص ١٦٩.
(٢) مسند الطيالسي ١٠/٣٦٠.
(٣) السيرة الحلبية لدحلان ١ / ٨٩.
(٤) مسند احمد ١/١٤١ و ٣٣١ و ٣٧٣.

وهو صبي لم يبلغ الحلم كان مستخفياً بإسلامه، وأول رجل عربيّ بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة الكلبي.

وروى ابن مندة عن ابن عباس: أن أبا بكر صحب النبي (ص) وهو ابن ثماني عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فسمع أبو بكر كلام بحيراء الراهب وسؤاله حين قال: من هذا تحت الشجرة؟ فأجابوه: بانّه محمد بن عبدالله. فقال: هذا نبي ـ الخ. فوقع في قلب أبي بكر اليقين حينئذ.

وفي رواية: لقد آمن أبو بكر بالنبي (ص) زمن بحيراء. فالمراد بهذا الإيمان اللغوي، وهو اليقين بصدقه، وهو ما قرّ وثبت في قلبه، فلهذا كان يتوقع بعثة النبي (ص) فلا ينافي أنّه أوّل المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة.

قال الحلبي في السيرة: وبنات النبي (ص) كنّ موجودات عند البعثة، فيبعد تأخر إيمانهن، فهن أول الناس إيماناً، بل هنّ ممن لم يتقدم لهن إشراك، فلم يذكرن مع أول من آمن اكتفاءاً بذلك ولإيمان أُمّهنّ، ولذلك قال الحافظ ابن كثير: انّ أهل بيته (ص) آمنوا به قبل كل أحد خديجة وبناتها وزيد وزوجته وعليّ وأمّا فاطمة فما ولدت الّا بعد البعثة، فلا يحتاج الى التنبيه.

وقد روى ابن إسحاق عن عائشة قالت: لما أكرم الله نبيّه (ص) بالنبوة أسلمت خديجة وبناته ـ الخ.

قال ابن هشام[1]: قال ابن إسحاق: ثمّ كان أوّل ذكر من الناس آمن برسول الله (ص) وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وهو ابن عشرة سنين يومئذ، وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله (ص) قبل الإسلام.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: ثمّ أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص)، وكان أوّل ذكر أسلم وصلّى بعد علي بن أبي طالب.

قال الحلبي[2]: ثمّ أسلم علي بن أبي طالب، ففي المرفوع عن سلمان: انّ النبي (ص) قال:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٦٢.
(٢) السيرة الحلبية ١ / ٢٦٨.

أوّل هذه الأُمّة وروداً على الحوض أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب.

وجاء أنه لما زوّجه فاطمة قال لها: زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة، وانّه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. وكان لم يبلغ الحلم كما سيأتي حكاية الإجماع عليه، وكان سنّه ثمان سنين، وكان عند النبي (ص) قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره، لأن قريشاً كان أصابهم قحط شديد، وكان أبو طالب كثير العيال.

الى أن قال: وفي خصائص العشرة للزمخشري: انّ النبي (ص) تولى تسميته بعلي (ع) وتغذيته أيّاماً من ريقه المبارك بمصّه لسانه، فعن فاطمة بنت أسد أُمّ عليّ انّها قالت: لما ولدته سماه عليّاً وبصق في فيه، ثمّ ألقمه لسانه، فما زال يمصّه حتّىٰ نام. قالت: فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له محمداً فألقمه لسانه فنام، فكان كذلك ما شاء الله عز وجل. هذا كلامه.

ثمّ قال الحلبي[1]: فليتأمل.

وعنها رضي الله تعالى عنها: انّها في الجاهلية أرادت أن تسجد لهبل وهي حامل بعلي (ع)، فتقوس في بطنها فمنعها من ذلك.

وروى الزيني دحلان نظير ما روى الحلبي في السيرة من مصّه لسان النبي ﷺ وعدم سجوده لهبل.

وقال صاحب التاج[2] في مناقب علي بن أبي طالب: وأسلم وهو غلام له ثمان سنين رضي الله عنه وكرم الله وجهه الذي لم يسجد لصنم قط ـ الخ.

وقال الشبلنجي[3]: ولد بمكة داخل بيت الله الحرام على قول يوم الجمعة ثالث عشر رجب. الى أن قال: ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه. ثمّ قال: قاله ابن صباغ. وأُمّه فاطمة بنت أسد. الى أن قال: نقل عنها انّها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي (ع) في

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٢٦٨.

(٢) الجامع للاصول ٣/٣٣٧ في الهامش.

(٣) نور الأبصار ص ٧٦.

بطنها لم يمكنها يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها من ذلك، ولذلك يقال عند ذكره كرم الله وجهه ـ الخ.

وقال محمد صالح الكشفي[١]: كان علي بن أبي طالب (ع) كل ما أرادت أن تسجد لصنم مدّ علي رجله في بطنها، فما أمكنت أن تسجد بقدرة الله ـ الخ.

وكان علي (ع) أصغر اخوته، فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين، وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك، وبين عقيل وطالب ذلك أيضاً، فكل أكبر من الذي بعده بعشر سنين، فأكبرهم طالب ثمّ عقيل ثمّ جعفر ثمّ علي.

وقد قال (ص) لعقيل لما أسلم: يا أبا يزيد انّي أحبك حبّين، حباً لقرابتك منّي وحباً لما كنت أعلم لحب عمي إياك.

وكان عقيل أسرع الناس جواباً وأبلغهم في ذلك، قال معاوية يوماً: أين ترىٰ عمك أبا لهب من النار؟ قال: إذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك مفترشاً عمتك حمالة الحطب، والراكب خير من المركوب.

ولمّا وفد على معاوية وقد غضب من أخيه علي (ع) لما طلب منه عطاءه وقال له: اصبر حتّىٰ يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك. فقال له: لأذهبن الى رجل هو أوصل الي منك، فذهب الى معاوية فأعطاه مائة ألف درهم، ثمّ قال له معاوية: اصعد المنبر فاذكر ما أولاك علي (ع) وما أوليتك، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيها الناس اني أُخبركم أني أردت عليّاً على دينه فاختار دينه، وانّي أردت معاوية فاختارني على دينه.

وفي رواية: انّ معاوية قال لجماعة يوماً بحضرة عقيل: هذا أبو زيد لولا علمه بأني خير له من أخيه لما قام عندنا وتركه. فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياى، وأسأل الله تعالى خاتمة الخير.

توفي عقيل في خلافة معاوية.

---

(١) مناقب المرتضوية ص ١٦١.

وقال الطبري والحلبي والنسائي والعبارة له في خصائصه[١]: أخبرنا محمد بن عبيد بن محمد الكوفي، قال حدثنا سعيد بن خيثم، عن أسد بن وداعة، عن أبي يحيى بن عفيف، عن أبيه، عن جده عفيف قال: جئت في الجاهلية الى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فأتيت العباس بن عبدالمطلب وكان تاجراً، فأنا عنده جالس حيث أنظر الى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت، إذ جاء شابّ فرمى ببصره الى السماء ثمّ قام مستقبل الكعبة، ثمّ لم ألبث الّا يسيراً حتّىٰ جاء غلام فقام عن يمينه، ثمّ لم ألبث الّا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم. قال العباس: أمر عظيم، تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبدالله ابن أخي، أتدري من هذا الغلام، هذا عليّ ابن أخي، أتدري من هذه الامرأة، هذه خديجة بنت خويلد زوجته، انّ ابن أخي هذا أخبر من أنّ ربّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ولا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وقال سليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي في ينابيع المودة: موفق بن أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: أول شيء علمته من أمر النبي (ص) قدمت مكة فنزلت دار العباس بن عبدالمطلب، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا ومعه مراهق وامرأة، فاستلم الحجر ثمّ استلمه الغلام والمرأة، ثمّ طافوا بالبيت سبعاً، فقلنا: يا عباس انّ هذا الدين لم نعرفه فيكم. قال: هذا ابن أخي محمد والغلام علي بن أبي طالب والمرأة زوجته خديجة بنت خويلد، ما على وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين الّا هؤلاء الثلاثة.

وفي أسد الغابة[٢]: روى باسناده عن عفيف الكندي الى أن قال: قال العباس: انّ ابن أخي أخبرني أن ربه رب السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، لا والله ما على وجه الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. أخرجه الثلاثة.

---

(١) خصائص النسائي ص ٢٣، تاريخ الطبري ٢ / ٣١١، السيرة الحلبية ١ / ٢٧٠.
(٢) اسد الغابة ٣/٤١٤.

وفي الاصابة[١] روى حديث عفيف الكندي هكذا الى أن قال: لا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. ثمّ قال: وله طريق آخر أخرجها البخاري في تاريخه والبغوي وابن أبي خيثمة وابن مندة وصاحب الغيلانيات ـ الخ.

وروى قبل ذلك عن البغوي وأبي يعلى والنسائي وروى الحاكم في المستدرك حديث عفيف الكندي ـ الخ.

وفي الاستيعاب في الجزء الثالث ص ١٦٣ روى باسناده عن عفيف الكندي الى أن قال: قال العباس: ولم يتبعه على أمره الّا امرأته وابن عمه هذا الفتى ـ الخ.

وروى عن العفيف أيضاً بطرق أخرى سوى ما ذكر، منها ما رواه باسناده عنه الى أن قال: ولا والله ما أسلم على وجه الأرض أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة ـ الخ.

وروى الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الأول من المسند ص ٢٠٩ باسناده عن عفيف الكندي الى أن قال: قال العباس: ولم يتبعه على أمره الّا امرأته وابن عمه هذا الفتى ـ الخ.

وممن روى الحديث عن عفيف الكندي المتقي الهندي في منتخب كنز العمال بهامش المسند ج ٥ ص ٣٩ وص ٢٣٨ وأبو محمد الحسيني البصري الهندي في كتاب انتهاء الافهام ص ١٧ والنسائي في خصائصه ص ٢ وابن كثير في التاريخ ج ٣ ص ٢٥ وعلي بن حجر في لسان الميزان ص ٣٩٥ ونور الدين في مجمع الزوائد ج ٢٩ ص ١٠٣ ومحمد بن سعد في الطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٧ والجاحظ في كتابه العثمانية ص ٢٨٧ وابن عبدالبر في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٩.

وممن روى حديث عفيف الكندي أيضاً محب الدين الطبري في رياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ وفي ذخائر العقبى ص ٥٩ وأخطب خوارزم في المناقب ص ٣٢ وسليمان بن إبراهيم في ينابيع المودة ص ٦١ وصاحب درر السمطين في الكتاب ص ٨٤ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٤.

والمقصود من اطالة البحث وذكر المدارك: أن أول من صلّى مع رسول الله ﷺ من الذكور هو علي بن أبي طالب، لا ما توهمه بعض القوم من أنه كان أبا بكر، كما أن التوجيه بأن أول من

---

(١) الاصابة لابن حجر العسقلاني ٢/٤٨٠.

صلّى من الرجال كان هو أبو بكر ومن الصبيان هو علي بن أبي طالب غير وجيه، لأنه لم يذكر في حديث من الأحاديث المروية في كتب القوم صلاة أبي بكر مع النبي (ص) في أول البعثة الى سبع سنين، فكيف يكون هو أول من صلّى من الرجال.

وقال الحلبي وفي أسد الغابة[١]: انّ أبا طالب رأى النبي (ص) وعليّاً يصلّيان وعليّ عن يمينه، فقال لجعفر: صلّ جناح ابن عمك، فصلى عن يساره وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي بقليل. قال بعضهم: انّما صحّ إسلام علي ـ أي معهم ـ انّهم أجمعوا على انّه لم يبلغ الحلم، ومن ثمّ نقل عنه أنه قال:

سبقتكموا الى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلم

أي كان عمره ثمان سنين على ما سبق، لأن الصبيان كانوا إذ ذاك مكلفين، لأن القلم انّما رفع عن الصبي عام خيبر.

وعن البيهقي: انّ الأحكام تعلقت بالبلوغ في عام الخندق ـ وفي لفظ: في عام الحديبية ـ وكان قبل ذلك منوطاً بالتمييز. انتهى ما نقله الحلبي في السيرة ملخصاً وقال الزيني دحلان[٢]: وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي عن أُم سلمة قالت:

قال علي (ع):

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائماً وقاعداً
ومن يرى عن التراب حائداً

ولم يتقدم من علي شرك أبداً، لأنه كان مع رسول الله (ص) في كفالته كأحد أولاده تبعه في جميع أموره وهكذا رواه الحلبي في ج ١ ص ٣٠٥.

وفي الحديث: ثلاثة ما كفروا بالله قط: مؤمن آل يس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وآسية امرأة فرعون.

---

(١) أسد الغابة ١ / ٢٨٧، السيرة الحلبية ١ / ٢٦٩.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٩٢.

وفي حديث آخر: سباق الإسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب.

وفي الاستيعاب لابن عبدالبر[١]: انّ العباس قال لعفيف الكندي لما قال له: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلّي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره الّا امرأته وابن عمه هذا الغلام ـ الخ.

قال ابن صباغ المالكي في الفصول المهمة[٢]: وأكثر الأقوال وأشهرها أنه لم يبلغ الحلم، وانّه أول من أسلم وآمن برسول الله (ص) من الذكور بعد خديجة قاله الثعالبي في تفسير قوله تعالى ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والأنصار ﴾[٣]، وهو قول ابن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري وزيد بن أرقم ـ الخ.

وروى محمد بن يوسف الكنجي الشافعي[٤] عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): سباق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون حبيب النجار مؤمن آل ياسين، وحزقيل مؤمن آل فوعون، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم ـ الخ.

وقال: اختلف العلماء في أول من صلّى من هذه الأُمة بعد النبي (ص). الى أن قال: ومنهم مَنْ وفق بين الأقوال فقال: أول من صلّى من النساء خديجة، ومن الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الاماء أُمّ أيمن بركة مولاة النبي. والمختار من الروايات عندي قول ابن عباس، ويدل عليه قول عبدالرحمن بن جعل الجهمي يقول فيه حين بويع لعلي:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة ... على الدين معروف العفاف موفقاً
عفيفاً عن الفحشاء أبيض ماجداً ... صدوقاً وللجبار قدماً مصدقاً
أبا حسن فارضوا به وتمسكوا ... فليس لمن فيه يرى العيب منطقا

---

(١) الاستيعاب ٣ / ٣٣.
(٢) الفصول المهمة ص ٣٢.
(٣) سورة التوبة / الآية ١٠٠.
(٤) كفاية الطالب ص ١٢٣.

علي وصيّ المصطفى وابن عمه وأول من صلّى لذي العرش واتقى

وقال الفضل بن العباس في قصيدة له:

وكان ولي الأمر بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه

وصيّ رسول الله حقاً وصهره وأول من صلّى وما ذم جانبه

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ما يدل على ما قاله الشافعي:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن

وأول من صلّى من الناس واحداً سوى خيرة النسوان لله ذو المِنن

وقال سبط بن الجوزي[١]: فأمّا نصوص الكتاب فآيات، منها قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعِين﴾[٢].

روى مجاهد عن ابن عباس انّه قال: أول من ركع مع النبي علي بن أبي طالب، فنزلت فيه هذه الآيات ـ الخ.

وروى أبو نعيم في الحلية[٣] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) وضرب بين كتفيه: يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة: أنت أول المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية يوم القيامة.

وروى سليمان بن إبراهيم الحنفي عن الترمذي بسنده عن أنس بن مالك قال: بعث النبي (ص) عشاء يوم الإثنين، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء. هذا حديث غريب وعن ابن ماجة وأحمد في مسنده وأبو نعيم الحافظ والثعلبي والحمويني أنهم أخرجوا جميعاً بأسانيدهم عن عبادة بن عبدالله قال: قال علي (ع): أنا عبدالله، وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي الّا كذّاب، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين.

---

(١) تذكرة الخواص ص ٢٣.

(٢) سورة البقرة / الآية ٤٣.

(٣) حلية الأولياء ١ / ٦٦.

ابن المغازلي والحمويني أخرجا بسنديهما عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله (ص): صلت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين، لأنه لم يكن من الرجال غيره.

أيضاً موفق بن أحمد أخرج هذا الحديث بسنده عن عكرمة عن ابن عباس. وأيضاً عن أنس موفق بن أحمد والحمويني أخرجا بسنديهما عن أبي رافع مولى النبي (ص) قال: قال رسول الله: صلّيت أنا أول يوم الإثنين، وصلّت خديجة آخر يوم الإثنين، وصلّى علي يوم الثلاثاء من الغد، وصلّينا مستخفياً قبل أن يصلّي معنا أحد سبع سنين وأشهر.

موفق بن أحمد بسنده عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: أول من أسلم من الناس بعد خديجة علي بن أبي طالب، قال: أنشد بعض أهل الكوفة أيام صفين في مدحه شعراً:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان مشتبهاً ... جزاك ربك منا فيه إحساناً
نفسي الفدا لأولى الناس كلهم ... بعد النبي عليّ الحبر مولانا
أخ النبي ومولى المؤمنين معاً ... وأول الناس تصديقاً وإيماناً

عبدالله بن أحمد بن حنبل بسنده عن مقسم عن ابن عباس قال: انّ عليّاً أول من أسلم.

عبدالله بسنده عن الحسن البصري وغيره قال: انّ عليّاً أول من أسلم بعد خديجة.

عبدالله وموفق بن أحمد بسنده عن زيد بن أرقم قال: أول من صلّى مع النبي علي.

عبدالله بسنده عن عبدالله بن يحيى عن علي (ع) قال: صليت مع النبي (ص) ثلاث سنين قبل أن يصلّي معه أحد.

عبدالله عن حبة العرني قال عليّ: اللهم اني لا أعرف أن عبداً لك من هذه الأُمة عبدك قبلي غير نبيك ـ قال ذلك ثلاث مرات ـ ثمّ قال: لقد صليت قبل أن يصلّي أحد.

ابن المغازلي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿والسابقون السابقون﴾ قال: سبق يوشع بن نون مؤمن آل فرعون الى موسى، وسبق صاحب يس الى عيسى، وسبق عليّ الى محمد (ص).

ابن المغازلي بسنده عن عبدالرحمن مولى أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله (ص):

صلّت الملائكة عليَّ وعلىٰ علي سبع سنين، وذلك انّه لم يصلّ معي أحد غيره.

ابن المغازلي بسنده عن سلمان قال: قال رسول الله (ص): أول وروداً عليَّ الحوض وأولهم إسلاماً علي بن أبي طالب.

أيضاً أخرجه موفق بن أحمد عن سلمان الثعلبي بسنده عن عفيف الكندي قال: كنت تاجراً فقدمت مكة أيام الحج، فنزلت في دار عباس بن عبدالمطلب فبينا أنا والعباس إذ جاء شابّ واستقبل الكعبة، وجاءه غلام فقام عن يمينه، وجاءت امرأة فقامت خلفه، فركعوا وسجدوا ـ الخ.

وأيضاً هذا الحديث ـ أي حديث عفيف الكندي ـ في كتاب الاصابة وذخائر العقبى مذكور.

الثعلبي بسنده عن عبادة بن عبدالله قال: سمعت عليّاً يقول: أنا عبدالله وأخو رسول الله (ص) الخ.

موفق بن أحمد بسنده عن معمر قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله (ص): صلّت الملائكة عليَّ وعلىٰ عليّ سبع سنين، وذلك أنه لم ترفع شهادة أن لا اله الّا الله الى السماء الّا منّي ومن عليّ.

موفق بن أحمد بسنده عن عروة قال: أسلم علي (ع) وهو ابن ثمان سنين.

الحموييني بسنده عن أبي رافع عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي: أنت أول من آمن بي، وأنت أول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المسلمين والمال يعسوب الكفار.

الديلمي في الفردوس في باب اللام في الجزء الثاني عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله (ص) انّ الملائكة صلّت عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين قبل أن يسلم بشر.

الديلمي في الفردوس من الجزء الأول في باب الألف عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): أول من صلّى معي عليّ بن أبي طالب.

وفي المناقب بالاسناد عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال

رسول الله (ص) انّ الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولاً وأنزل عليَّ سيد الكتب، فقلت: الهي وسيدي انك أرسلت موسى الى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيراً يشد به عضده ويصدّق به قوله، وانّي أسالك يا سيدي والهي أن تجعل لي من أهلي وزيراً تشد به عضدي، فاجعل لي عليّاً وزيراً وأخاً، واجعل الشجاعة في قلبه وألبسه الهيبة على عدوّه، وهو أوّل من آمن بي وصدّقني وأوّل من وحّد الله معي، وانّي سألت ذلك ربي عز وجل فأعطانيه فهو سيد الأوصياء، اللحوق به سعادة والموت في طاعته شهادة، واسمه في التوراة مقرون الى اسمي، وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي، وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي، وهو وهما والأئمة من بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين، وهم أبواب العلم في أُمتي، من تبعهم نجا من النار ومن اقتدى بهم هدي الى صراط مستقيم لم يهب الله محبتهم لعبد الّا أدخله الله الجنة.

وقال الحسن بن علي (ع) في خطبته كما تقدمت: فكان أبي أولهم إيماناً، فهو سابق السابقين، وفضّل الله السابقين. انتهى ما نقله سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة.

وروى أحمد بن عبدالله الطبري في ذخائر العقبى[1] وعن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة وجماعة إذ ضرب النبي (ص) منكب عليّ فقال: يا عليّ أنت أوّل المؤمنين إيماناً وأوّلهم إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

وعن أبي ذر قال سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع): أنت أوّل من آمن بي وصدّق.

وعن معاذة العدوية قالت: سمعت عليّاً (ع) على المنبر يقول: أنا الصدّيق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر.

وعن ابن عباس: السباق ثلاثة: سبق يوشع بن نون الى موسى، وصاحب يس الى عيسى، وعليّ الى النبي (ص).

وقد وردت الأحاديث في أنّ أبا بكر أوّل من أسلم، وهي محمولة على أنّه أوّل من أظهر إسلامه، وأمّا عليّ فهو أوّل من بدر الى الإسلام. وقد استوفينا الكلام في هذا الفصل في كتابنا

---

(١) ذخائر العقبى ص ٥٨.

الرياض النضرة في فضائل العشرة.

وعن علي (ع) قال: عبدت الله تبارك وتعالى قبل أن يعبده أحد من هذه الأُمة خمسة سنين. أخرجه أبو عمر.

وعن ابن عباس قال: انّ لعلي (ع) أربع خصال ليست لأحد من هذه الأُمة: منها انّه أوّل عربيّ وعجميّ صلّى مع النبي.

وقال ابن حجر في الصواعق: أخرج الديلمي عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس: انّ النبي (ص) قال: السباق ثلاثة: فالسابق الى موسى يوشع بن نون، والسابق الى عيسى صاحب يس، والسابق الى محمد علي بن أبي طالب.

قال أحمد بن محمد بن عبدالله في العقد الفريد: أسلم علي (ع) وهو ابن خمسة عشرة سنة، وهو أول من شهد أن لا اله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله.

أقول: ولقد أنصف مؤلف كتاب حياة محمد العلّامة محمد حسين هيكل حيث أطلق القول بتقدم إسلام علي بن أبي طالب بعد السيدة الطاهرة خديجة. ولكن مؤلف كتاب محمد، محمد رضا قد جانب الانصاف وما رعاه، والتحقيق انّه عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين أبداً كما اختاره جماعة من القوم ودلت عليه الأخبار المستفيضة.

وقال ابن هشام والحلبي والطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل[1]: وقال ابن إسحاق: أول ذكر أسلم بعد علي زيد بن حارثة، ثمّ أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه وكان مآلفاً لقومه محبباً فيهم، وكان أعلمهم بأنساب قريش وما كان فيها، وكان تاجراً يجتمع اليه قومه، فجعل يدعو من يثق به من قومه، فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم الى النبي (ص) حين استجابوا له، فأسلموا وصلّوا وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الإسلام، ثمّ تتابع الناس في الإسلام حتّىٰ فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس ـ الخ.

---

(١) الكامل ٢ / ٥٩، السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٦٤، السيرة الحلبية ١ / ٢٧١، تاريخ الطبري ٢ / ٣١٦.

ظهور الإسلام بعد مبعثه (ص) بثلاث سنين

قال الطبري وابن الأثير وابن هشام والعبارة له في السيرة[1]: قال ابن إسحاق ثمّ دخل الناس في الإسلام ارسالاً من الرجال والنساء حتّىٰ فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به، ثمّ انّ الله عزّ وجلّ أمر رسوله (ص) أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو اليه، وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به الى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه، ثمّ قال الله تعالى له ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَر وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكين﴾[2] وقال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبين * واخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعكَ مِنَ المؤْمِنِين﴾[3] ﴿وقُلْ إِنِّي أَنا النَذِيرُ المُبِين﴾[4] فاصدع افرق بين الحق والباطل.

قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله (ص) إذا صلّوا ذهبوا في بعض الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله (ص) في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتّىٰ قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحى بعير فشجّه، فكان أول دم أهريق في الإسلام.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣١٨، الكامل ٢ / ٥٩.
(٢) سورة الحجر / الآية ٩٤.
(٣) سورة الشعراء / الآية ٢١٤ و ٢١٥.
(٤) سورة الحجر / الآية ٨٩.

قال ابن الأثير والطبري[١] والعبارة له في التاريخ: عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ خرج رسول الله (ص) حتّىٰ صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه. فقالوا: من هذا الذي يهتف. قالوا: محمد. فقال: يا بني فلان يا بني عبدالمطلب يا بني عبدمناف، فاجتمعوا اليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك ما جمعتنا الّا لهذا، ثمّ قال فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبْ﴾[٢] الى آخر السورة.

وقال ابن الأثير[٣]: وقال جعفر بن عبدالله بن أبي الحكم: لما أنزل الله على رسوله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً، فجلس في بيته كالمريض، فأتته عماته (ص) يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئاً، ولكن أمرني الله أن أنذر عشيرتي الأقربين. فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم فانّه غير مجيبك. فدعاهم فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبدمناف، فكان خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك، فتكلم فدع الصباة واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وان أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرٍّ مما جئتهم به. فسكت رسول الله ﷺ فلم يتكلم في ذلك المجلس، ثمّ دعاهم ثانية وقال: الحمد لله وأحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا اله إلّا هو وحده لا شريك له. ثمّ قال: انّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا اله الّا هو اني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وانّها الجنة أبداً والنار أبداً.

فقال أبو طالب: ما أحب الينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك،

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٩، الكامل ٢ / ٦٠.

(٢) سورة اللهب / الآية ١.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢ / ٦١.

وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وانّما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم الى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبدالمطلب. فقال أبو لهب: والله لنمنعنه ما بقينا.

وروى محمد بن سعد في الطبقات[١] عن نافع عن سالم عن علي (ع) قال: أمر رسول الله (ص) خديجة وهو بمكة فاتخذت له طعاماً، ثمّ قال لعلي: ادع لي بني عبدالمطلب. فدعا أربعين، فقال لعلي: هلم طعامك. قال علي: فأتيتهم بثريدة، ان كان الرجل منهم ليأكل مثلها فأكلوا منها جميعاً حتّىٰ أمسكوا. ثمّ قال: اسقهم، فسقيتهم بإناء هوَ رِي أحدهم فشربوا منه جميعاً حتّىٰ صدروا.

فقال أبو لهب: لقد سحركم محمد، فتفرقوا ولم يدعهم، فلبثوا أياماً ثمّ صنع لهم طعاماً مثله ثمّ أمرني فجمعتهم، فطعموا ثمّ قال لهم: من يؤازرني على ما أنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة. فقلت: أنا يا رسول الله، وانّي لأحدثهم سنّاً وأحمشهم ساقاً وسكت القوم، ثمّ قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك. قال: دعوه فلن يألوا ابن عمه خيراً.

ورواه الطبري عن ابن عباس: انّ النبي (ص) أمر عليّاً أن يصنع طعاماً للقوم، فصنع لهم طعاماً مرتين نحو ما رواه محمد بن سعد عن سالم، فلما طعموا وشربوا في المرة الثانية قال لهم النبي على ما رواه ابن الأثير في الكامل وعلاء الدين الخازن في التفسير وهكذا رواه البغوي في التفسير على ما رواه الحلبي عنه في السيرة ج ١ ص ٣٢٢ والطبري في التاريخ[٢]: يا بني عبدالمطلب انّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم. قال: فاحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وانّي لأحدثهم سنّاً أنا يا نبي الله أكون وزيرك. فأخذ برقبتي ثمّ قال: انّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٨٧.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٩.

وتطيع.

وروى النسائي والطبري[١] عن ربيعة بن ماجد أن رجلاً قال لعلي (ع): يا أمير المؤمنين ورثت إبن عمك دون عمك؟ فقال: هاؤم ـ ثلاث مرات ـ حتّىٰ اشرأبّ الناس ونشروا آذانهم، ثمّ قال: جمع رسول الله (ص) ـ أو دعا رسول الله ـ بني عبدالمطلب منهم رهطه كلهم. الى أن قال: ثمّ قال: يا بني عبدالمطلب اني بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي، فلم يقم اليه أحد، فقمت اليه وكنت أصغر القوم. قال: فقال اجلس. قال: ثمّ قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم اليه فيقول لي اجلس، حتّىٰ كان في الثالثة فضرب بيده على يدي. قال: فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي وهكذا رواه النسائي في خصائصه ص ٢٦ ورواه أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١١٨ باسناده عن علي (ع) الى أن قال: فقال (ص) لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي يكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي الى أن قال: فقال علي (ع): أنا.

وقال ابن كثير في تفسيره[٢]: قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبدالله الأسدي عن علي (ع) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ جمع النبي من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا. قال: وقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل لم يسمّه شريك: يا رسول الله أنت كنت بحراً من يقوم بهذا؟ قال: ثمّ قال الآخر ثلاثاً. قال فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي: أنا.

ثمّ بعد نقله لطريقين آخرين قال: (طريق آخر) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ـ الى أن قال: عن عبدالله بن الحارث قال: قال علي (ع) لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال لي رسول الله: اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبناً. قال: ففعلت. ثمّ قال لي: ادع بني هاشم. قال: فدعوتهم وانّهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل. قال: وفيهم

---

(١) الخصائص للنسائي ص ٨٣، تاريخ الطبري ٢ / ٣٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٦٣.

عشرة كلهم يأكل الجذعة بادامها قال: فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله (ص) من ذرويها، ثمّ قال: كلوا، فأكلوا حتّىٰ شبعوا وهي على هيئتها لم يزدردوا منها الّا اليسير. قال: ثمّ أتيتهم بالإناء فشربوا حتّىٰ رووا. قال: ففضل فضل، فلما فرغوا أراد رسول الله (ص) أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا: ما رأينا كاليوم في السحر، فسكت رسول الله ﷺ.

ثمّ قال لي: اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام، فصنعت، قال: فدعاهم، فلمّا أكلوا وشربوا قال: فبدروه وقالوا مثل مقالتهم الأُولىٰ، فسكت رسول الله (ص).

ثمّ قال لي: اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام، فصنعت. قال: فجمعتهم، فلمّا أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله بالكلام فقال: أيكم يقضي عنّي ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله. قال: وسكتُّ أنا لسن العباس. ثمّ قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلمّا رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله (ص).

ثمّ قال ابن كثير: وهذه طرق متعددة لهذا الحديث. الى أن قال: ولم يكن في بني هاشم إذ ذاك أشدّ إيماناً وإيقاناً وتصديقاً لرسول الله (ص) من علي، ولهذا بدرهم الى التزام ما طلب منهم رسول الله (ص).

وقال الزيني دحلان والحلبي والعبارة له في السيرة[1]: وروي أنه لما نزل قوله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ جمع بني عبدالمطلب في دار أبي طالب وهم أربعون وفي الامتاع خمسة وأربعون رجلاً وامرأتان، فصنع لهم علي (ع) طعاماً، فقدمت لهم الجفنة وقال: كلوا بسم الله، فأكلوا حتّىٰ شبعوا وشربوا حتّىٰ نهلوا.

وفي رواية حتّىٰ رووا، وفي رواية قال: ادنوا عشرة عشرة، فدنا القوم عشرة عشرة، ثمّ تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثمّ ناولهم، وكان الرجل منهم يأكل الجذعة، فلما أراد رسول الله (ص) أن يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال: لقد سحركم محمد، فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله (ص).

فلمّا كان الغد قال: يا علي عُد لنا بمثل ما صنعت بالأمس من الطعام والشراب، قال علي:

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٠٠، السيرة الحلبية ١ / ٢٨٥.

ففعلت ثمّ جمعتهم له (ص)، فأكلوا حتّىٰ شبعوا وشربوا حتّىٰ نهلوا، ثمّ قال لهم: يا بني عبدالمطلب انّ الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (وأنا) أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، شهادة أن لا اله إلّا الله وانّي رسول الله، فمن يجيبني الى هذا الأمر ويوازرني ـ أي يعاونني على القيام به ـ قال علي: أنا يا رسول الله، وأنا أحدثهم سناً، وسكت القوم.

وزاد بعضهم في الرواية: يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجبه أحد منهم، فقال علي: أنا يا رسول الله. قال: اجلس، ثمّ عاد القول على القوم ثانياً فصمتوا، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: اجلس، ثمّ عاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: اجلس، فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي. وابن أبي الحديد المعتزلي في ج ١٣ ص ٢٤٤ قوله (ص) هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي.

ثمّ أوردا تضعيف ابن تيمية لهذه الزيادة وانّها كذب، لأن في سندها أبو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه، وانّ الزيادة من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على أهل السنة ـ الخ.

وبما قدمناه ظهر ما في كلام ابن تيمية ومن تابعه من العناد واللجاج، لأن الطريق لا ينحصر فيه أولاً، كما أن الناقل عن علي (ع) لا ينحصر بواحد ثانياً، واعتماد أئمة أهل التاريخ والتفسير والسير عليه يردّه ثالثاً.

وقال سليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان: سل النبي (ص) عن وصيه. فقال سلمان: يا رسول الله من وصيك؟ فقال: يا سلمان من وصي موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: وصيّي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب.

الثعلبي أخرج حديث الوصية لعلي (ع) عن البراء بن عازب في تفسير ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.

ابن المغازلي أخرج حديث الوصية لعلي (ع) بسنده عن ابن عباس وعن جابر بن عبدالله

وعن بريدة وعن أبي أيوب الأنصاري.

موفق بن أحمد بسنده أخرج حديث الوصية لعلي (ع) عن بريدة قال: قال النبي (ص) لكل نبي وصي ووارث وان عليّاً وصيّي ووارثي.

أيضاً موفق بن أحمد بسنده عن أُم سلمة قالت: قال رسول الله (ص): انّ الله اختار من كل نبي وصياً وعلي وصيّي في عترتي وأهل بيتي وأُمتي.

(الحمويني) أخرجه عن أبي ذر قال: قال رسول الله (ص): أنا خاتم النبيين، وأنت يا علي خاتم الوصيين الى يوم الدين.

وروى أحمد بن عبدالله الطبري عن بريدة قال: قال رسول الله (ص): لكل نبي وصي ووارث وانّ عليّاً وصيّي ووارثي ـ أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة.

والعلّامة المتتبع مؤلف حياة محمد (ص) وإن نقلها في الطبعة الأولى ولكنه ما رأيناها فيما بأيدينا من الطبعة الثالثة وغيرها نعم ذكر فيها هكذا: فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر فأعرضوا عنه وهمّوا بتركه، لكن عليّاً نهض وهو ما زال صبياً دون الحلم، فقال: أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على ما حاربت؛ فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم، وجعل نظرهم يتنقل من أبي طالب الى ابنه ثمّ انصرفوا مستهزئين ـ انتهى كلامه.

دفاع أبي طالب عن النبي (ص)

روى محمد بن سعد[1] بسنده عن الزهري قال: دعا رسول الله (ص) الى الإسلام سرّاً وجهراً، فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، حتّىٰ كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكرين لما يقول؛ فكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يشيرون اليه أن غلام بني عبدالمطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتّىٰ عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ١٩٩.

آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله (ص) عند ذلك وعادوه.

قال ابن الأثير وابن هشام والطبري[١] والعبارة للطبري في التاريخ: فصدع رسول الله (ص) بأمر الله، وبادى قومه بالإسلام، فلمّا فعل ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بعض الرد فيما بلغني حتّىٰ ذكر آلهتهم وعابها، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته الّا من عصم الله منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون.

وحدب اليه أبو طالب عمه ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله (ص) على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده عنه شيء، فلما رأت قريش أن رسول الله (ص) لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا أن أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه، مشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ومن مشى اليه منهم، فقالوا: يا أبا طالب انّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آبائنا، فإمّا أن تكفه عنا وإمّا أن تخلي بيننا وبينه، فانّك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله (ص) على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه.

قال: ثمّ شرى الأمر بينه وبينهم حتّىٰ تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله (ص) بينها وتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه، ثمّ انّهم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب انّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا وقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتّىٰ تكفه عنا أو ننازله وإياك حتّىٰ يهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا. ثمّ انصرفوا عنه.

فعظم علىٰ أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله (ص) لهم ولا خذلانه.

وحين قالت قريش لأبي طالب هذه المقالة بعث الى رسول الله (ص) فقال له: يابن أخي

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٢، الكامل ٢ / ٦٣، السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٢.

ان قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله (ص) انّه قد بدا لعمه فيه بداء وانّه خاذله ومسلّمه وانّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله: يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّىٰ يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، ثمّ استعبر رسول الله (ص) فبكى ثمّ قام. فلمّا ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يابن أخي، فأقبل عليه رسول الله (ص)، فقال: اذهب يابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

قال: ثمّ انّ قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبىٰ خذلان رسول الله (ص) وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا اليه بعمارة بن الوليد قالوا: هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى قريش وأشعره وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته واتخذه ولداً فهو لك وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانّما رجل كرجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني أن تعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ، فاصنع ما بدا لك. فاشتد الأمر عند ذلك وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً.

وروى الطبري[1] عن السدي انّ ناساً من قريش اجتمعوا فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا الى أبي طالب فنكلمه فيه فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه الذي يعبد فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتّىٰ إذا مات عمه تناولوه. قال: فبعثوا رجلاً منهم يدعى المطلب، فاستأذن لهم على أبي طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك. قال: أدخلهم، فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٣.

قال: فبعث اليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله (ص) قال: يابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك. وقال: أي عم أوَلا أدعوهم الى ما هو خير لهم منها. قال: والى ما تدعوهم؟ قال: أدعوهم الى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم. قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك ليعطينكها وعشر أمثالها. قال: تقول «لا اله الاّ الله». قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه. فقال: لو جئتموني بالشمس حتّىٰ تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها. قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابى وقالوا: والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا ﴿وانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِروا على آلِهَتِكُم إِن هذا لشيءٌ يُرادُ﴾[1] الى قوله ﴿إلّا اخْتلاقٌ﴾ ـ الخ.

وقال محمد بن سعد[2]: ويقال المتكلم بهذا عقبة بن أبي معيط، وقالوا: لا نعود اليه أبداً وما خير من أن نغتال محمداً. فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله (ص) وجاء أبو طالب وعمومته الى منزله فلم يجدوه، فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب ثمّ قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثمّ ليبتغي إذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية يعني أبا جهل ـ فانّه لم يغب عن شرّ إن كان محمد قد قتل. فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال: يا زيد أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفاً. فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتّىٰ أراه، فخرج زيد سريعاً حتّىٰ أتى رسول الله (ص) وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول الله (ص) الى أبي طالب فقال: يا ابن أخي أين كنت، أكنت في خير؟ قال: نعم. قال: ادخل بيتك. فدخل رسول الله، فلمّا أصبح أبو طالب غدا على النبي (ص) فأخذ بيده فوقف على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون، فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فأخبرهم الخبر وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما أبقيت

---

(١) سورة صٓ / الآية ٦.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٠٢.

منكم أحداً حتّىٰ نتفانى نحن وأنتم فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل.

وقال الزيني دحلان[١]: واجتمعوا مرة أخرى عند أبي طالب فأوصاهم فقال: يا معشر العرب أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع والواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الّا أحرزتموه ولا شرفاً الّا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب، وانّي أوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ يعني الكعبة ـ فان فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم فانّ في صلة الرحم منسأة ـ أي فسحة ـ في الأجل وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعي واعطوا السائل، فإنّ فيها شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام، وأوصيكم بمحمد خيراً، فانّه الأمين في قريش والصدّيق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشآن، وأيم الله كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً واذاً أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أخطاهم عنده، وقد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

وفي رواية: دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله الّا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الّا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي.

وقال لهم مرة: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا ـ الخ.

وروى الطبري[٢] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لمّا مرض أبو طالب دخل عليه

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٥.

رهط من قريش فيهم أبو جهل، فقال: انّ ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت اليه فنهيته، فبعث اليه فجاء النبي (ص) فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل. قال: فخشي أبو جهل إن جلس الى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله (ص) مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك، يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول. قال: وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله (ص) وقال: يا عم انّي أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله. فقال القوم: كلمة واحدة نعم وأبيك عشراً، قالوا: فما هي؟ فقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: لا اله إلاّ الله. قال: فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشيءٌ عُجابٌ﴾[1]. قال: نزلت هذا الموضع الى قوله ﴿لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾[2] الخ.

قال الطبري وابن هشام[3] والعبارة له في السيرة: قال ابن إسحاق: ثمّ انّ قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله (ص) منهم بعمه أبي طالب، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه، فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه الى ما دعاهم اليه الّا ما كان من أبي لهب، فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جهدهم وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله (ص) فيهم ومكانه منهم ليشد رأيهم وليحدبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها

---

(١) سورة ص /الآية ٥.

(٢) سورة ص /الآية ٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٧، تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٧.

فإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فانّ محمداً هوالمصطفى من سرها وكريمها

قال ابن هشام: ثمّ انّ الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم، فقال: يا معشر قريش انّه قد حضر هذا الموسم وانّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً. قالوا: فأنت يا أبا عبدشمس فقل وأقم لنا رأياً نقل به. قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحّار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبدشمس؟ قال: والله انّ لقوله لحلاوة، وان أصله لعزق، وان فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الّا عرف أنه باطل، وان أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقوله هو سحر يفرق بين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الّا حذّروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة في ذلك من قوله ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَن أَزِيد * كَلّا انَّهُ كانَ لآِياتِنا عنيداً﴾[1].

ثمّ قال قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله (ص) لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها، فلمّا خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه

---

(١) سورة المدثر / الآية ١١ ـ ١٦.

غير مسلم رسول الله (ص) ولا تاركه لشيء أبداً حتّىٰ يهلك دونه، فقال أبو طالب:

ولمـــا رأيت القـــوم لا ود فـــيهم ... وقد قـطعوا كـل العـرى والوسـائل
وقـــد صـارحـونا بـالعداوة والأذى ... وقـد طـاوعوا أمـر العـدو المـزايـل
وقـــد حـــالفوا قـــوماً عـلينا أظـنة ... يـــعضون غـــيظاً خـــلفنا بـالأنامل
صـبرت لهـم نـفسي بسـمراء سمـحة ... وأبيض عـضب مـن تـراث المـقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت مـــن أثـوابـه بـالوصائل
قـــياماً مـــعاً مســـتقبلين رتـــاجه ... لدى حيث يـقضي حـلفه كـل نـافل
أعوذ برب النـاس مـن كـل طـاعن ... عـــلينا بســـوء أو مـــلحّ بـــباطل
ومـــن كـــاشح يســـعى لنـا بمـعيبة ... ومـــن مـلحق بـالدين مـا لم نحـاول
وبالبيت حق البيت مـن بـطن مكـة ... وبـــــــالله انّ الله ليس بـــــغافل
وبـــــالحجر المســـود إذ يمســـحونه ... إذا اكـــتنفوه بـــالضحى والأصـائل
وموطىء إبراهـيم في الصـخر رطـبة ... عـــلى قـــدميه حـــافياً غـير نـاعل
كـــذبتم وبـــيت الله نـــترك مكـــة ... ونـــظعن إلّا أمـــركم في بـــلابل
كـــذبتم وبـــيت الله نـــبزى محـــمداً ... ولمـــا نـــطاعن دونـــه ونـــناضل
ونســـلمه حـــتّىٰ نـــصرع حـــوله ... ونـــذهل عـــن أبـــنائنا والحـــلائل
ويـــنهض قـــوم بـــالحديد إليكـــم ... نهوض الروايا تحت ذات الصـلاصل
وحتّىٰ ترى ذا الضعن يـركب ردعـه ... مـن الطـعن فـعل الأنكب المـتحامل
وانـــا لعـــمر الله أن جـــد مـــا أرى ... لتـــلتبسَنْ أســـيافنا بـــالأماثل
بكـــيِّ فـتى مـثل الشهـاب سميدع ... أخـــي ثـقة حـامي الحـقيقة بـاسل
فمـــن مـــثله في النـــاس أي مـــؤمل ... إذا قـــاسه الحكـــام عـند التـفاضل
حـــليم رشـيد عـادل غـير طـائش ... يـــوالي إلهـــاً ليس عـــنه بـــغافل
فـــوالله لولا أنْ أجـــيء بسـبته ... تجـــر عـــلى أشـــياخنا في المـحافل
لكـــنا اتـــبعناه عـــلى كـــل حـــالة ... من الدهر جـداً غـير قـول التهـاذل

لقد علموا أن ابننا لا مكذَّب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنه سولة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل
رجال كرام غير ميل نماهم لي الخير آباء كرام المحاصل

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به قال: قحط أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك اليه، فصعد رسول الله المنبر فاستسقى، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق. فقال رسول الله (ص) أللهم حوالينا ولا علينا. فانجاب السحاب عن المدينة، فصار حواليها كالاكليل، فقال رسول الله، لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره. فقال له بعض أصحابه: كأنك يارسول الله أردت لقوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال (ص): أجل.

أقول: وغير خفي على من أمعن النظر وأنعم الفكر فيما أسلفنا من كلمات أبي طالب ونصرته النبي (ص) انّه كان مؤمناً بالله ومصدقاً للنبي فيما جاء به من عند الله وانّه وإن لم يسلم ظاهراً وأخفي أمره عندهم لأجل مساعدة النبي ونصرته، ولكن كان قلبه مطمئناً بالإيمان. مضافاً الى ما تقدم من انّ آباء النبي (ص) لم يكونوا مشركين على ما اختاره الجماعة من أئمة القوم ومحققيهم كالإمام فخر الدين وجلال السيوطي والتلمساني وغيرهم.

وانّ ما صدر من جماعة ولعله المشهور بين القوم من انّ أبا طالب مات كافراً، قلة حياء وأدب كما قاله السنوسي والتلمساني بالنسبة الى آباء النبي (ص) على ما حكاه عنه الزيني دحلان في السيرة النبوية، لأن أبا طالب من أب النبي (ص) كالصنو من الصنو والذراع من العضد، وانّهما من شجرة واحدة وحقيقة فاردة، والأخبار الواردة على خلاف ذلك مردودة، لعدم مساعدة الاعتبار لها عقلاً ونقلاً، وعلماء الإمامية متفقون على ذلك ولا نعلم لأحد منهم خلافاً.

قال ابن هشام[١]: قال ابن إسحاق: ثمّ انّ قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله (ص) ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله سفهاءهم، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله (ص) مظهر لأمر الله لا يستخفى به مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم.

تعذيب المستضعفين من المسلمين

في الكامل[٢] قال: وهم الذين سبقوا الى الإسلام ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم يمنعون بها، فأما من كان له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار اليه، فلما رأوا امتناع من له العشيرة وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب في دينه ويعصمه الله.

منهم بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر، وكان أبوه من سبي الحبشة وأُمّه حمامة سبية أيضاً وكنيته أبو عبدالله، فصار بلال لأُميّة بن خلف الجمحي، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول: لا تزال هكذا حتّىٰ تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب وهو يقول: أحد أحد. فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثمّ يقول لأُميّة: احلف بالله لئن قتلتموه علىٰ هذا لأتخذنه حسناناً، فرآه أبو بكر يعذب فقال لأُميّة: ألا تتقي الله في هذا المسكين. فقال: أنت أفسدته فأبعدته. فقال: عندي غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به، قال: قبلت، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فأعتقه، فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص).

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسي، وهو بطن من مراد، وعنس هذا بالنون، أسلم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٠٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٦٦.

هو وأبوه وأُمه وأسلم قديماً ورسول الله (ص) في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً، أسلم هو وصهيب في يوم واحد، وكان ياسر حليفاً لبني مخزوم، فكانوا يخرجون عماراً وأباه وأُمه الى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّ الرمضاء، فمر بهم النبي (ص) فقال: صبراً يا آل ياسر فانّ موعدكم الجنة. فمات ياسر في العذاب، وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها في قبلها بحربة في يديه فماتت، وهي أول شهيد في الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع صخراً أحمر على صدره أخرى وبالتغريق أُخرى، فقالوا: لا نتركك حتّىٰ تسبّ محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً. ففعل، فتركوه فأتى النبي ﷺ يبكي فقال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، كان الأمر كذا وكذا. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فقال: يا عمار إن عادوا فعد، فأنزل الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1]، فشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص)، وقتل بصفين مع عليّ وقد جاوز التسعين، قيل بثلاث، وقيل بأربع سنين.

ومنهم خباب بن الأرت، وخباب تميمي، وكان إسلامه قديماً، قيل سادس ستة قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم، فأخذه الكفار وعذبوه عذاباً شديداً، فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء، ثمّ بالرضف وهي الحجارة المحماة بالنار ولووا رأسه فلم يجبهم الى شيء مما أرادوا منه، وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص)، ونزل الكوفة ومات سنة ست وثلاثين.

ومنهم صهيب بن سنان الرومي، ولم يكن رومياً وانّما نسب اليهم لأنهم سبوه وباعوه، وقيل لأنه كان أحمر اللون، وهو من النمر بن قاسط، كنّاه رسول الله (ص) أبا يحيى قبل أن يولد، وكان ممن يعذب في الله، فعذب عذاباً شديداً.

وأما عامر بن فهيرة فأسلم قديماً قبل دخول رسول الله (ص) دار الأرقم، وكان من المستضعفين، يعذب في الله فلم يرجع عن دينه.

وذكر أيضاً جماعة أخرى قد عذبوهم ولم يرجعوا عن دينهم، منهم فكيهة واسمه أفلح وقيل

---

(١) سورة النحل / الآية ١٠٦.

يسار، وكان عبداً لصفوان بن أُمية بن خلف، أسلم مع بلال فأخذه أُمية بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجر ثمّ ألقاه في الرمضاء.

ومنهم لبينة جارية بني مؤمل، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب، وكان عمر يعذبها حتّىٰ تفتن ثمّ يدعها.

ومنهم زنيرة، وكانت لبني عدي، وكان عمر يعذبها، وقيل كانت لبني مخزوم، وكان أبو جهل يعذبها حتّىٰ عميت.

وزِنّيْرَة بكسر الزاء وتشديد النون وتسكين الياء وفتح الراء.

ومنهم النهدية مولاة لبني النهد، فصارت لامرأة من بني عبدالدار، فأسلمت وكانت تعذبها.

ومنهم أُم عبيس بالباء الموحدة، وقيل عنيس، وهي أُم لبني زهرة، فكان الأسود بن عبديغوث يعذبها، فابتاعها أبو بكر فأعتقها.

وكان أبو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له: أتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك؟ ويقبح رأيه وفعله ويسفه حلمه ويضع شرفه، وإن كان تاجراً يقول: ستكسد تجارتك ويهلك مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتّىٰ يعذب.

إبتلاء المستهزئين وهلاكتهم

قال ابن الأثير في الكامل[1]: وهم جماعة من قريش، فمنهم عمه أبو لهب كان شديداً عليه وعلى المسلمين عظيم التكذيب له دائم الأذى، مات أبو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعدسة.

ومنهم الأسود بن عبديغوث، وهو ابن خال النبي (ص)، وكان من المستهزئين وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى، وكان يقول للنبي (ص): أما كلمت اليوم من السماء يا محمد، وما أشبه ذلك، فخرج من أهله فأصابه

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠.

السموم فاسودّ وجهه، فلمّا عاد اليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيراً حتّىٰ مات عطشاً.

ومنهم الحرث بن قيس، كان أحد المستهزئين الذين يؤذون رسول الله (ص) وكان يأخذ حجراً يعبده، فإذا رأى حجراً أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني، وكان يقول: قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا الّا الدهر، وفيه نزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاه﴾[1]، وأكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتّىٰ مات.

ومنهم الوليد بن المغيرة، وكان الوليد يكنى أبا عبدشمس، وهو العدل لأنه كان عدل قريش كلها، لأن قريشاً كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوها وحده، وهو الذي جمع قريشاً وقال: انّ الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد (ص) فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا ساحر، ويقول هذا كاهن، ويقول هذا شاعر، ويقول هذا مجنون، وليس يشبه واحداً مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر، لأنه يفرق بين المرء وزوجته، ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر، وهو ابن خمس وتسعين سنة، ودفن بالحجون، وكان مر برجل من خزاعة يريش نبلاً فوطىء على سهم منها فخدشه ثمّ انتقض ذلك الخدش فمات.

ومنهم أُميّة وأُبيّ ابنا خلف، وكانا على شر ما عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذيبه، جاء أُبيّ اليه بعظم فخذ ففتّه في يده وقال: زعمت انّ ربك يحيي هذا العظم. فنزلت ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم﴾[2].

ومنهم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وكان ممن يؤذي رسول الله (ص) ويعين أبا جهل على أذاه، قتله حمزة يوم بدر.

ومنهم العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص، وكان من المستهزئين، وهو القائل لما مات القاسم ابن النبي (ص): انّ محمداً أبتر لا يعيش له ولد ذكر، فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

---

(١) سورة الجاثية / الآية ٢٣.

(٢) سورة يس / الآية ٧٨.

الأَبْتَرَ﴾[١] فركب حماراً له فلما كان بشعب من شعاب مكة ربض به حماره فلدغ في رجله فانتفخت حتّىٰ صارت كعنق البعير، فمات منها بعد هجرة النبي (ص) ثاني شهر دخل المدينة وهو ابن خمس وثمانين سنة.

ومنهم النضر بن الحرث، وكان أشد قريش في تكذيب النبي (ص) والأذى له ولأصحابه، وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى، وسمع بذكر النبي قرب مبعثه فقال: إن جاءنا نذير لنكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم فنزلت ﴿وأَقْسَموا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِم﴾[٢] الآية، وكان يقول: انّما يأتيكم محمد بأساطير الأولين، فنزلت فيه عدة آيات، أسره المقداد يوم بدر وأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه، فقتله علي بن أبي طالب صبراً بالأثيل.

ومنهم أبو جهل بن هشام، كان أشد الناس عداوة للنبي (ص) وأكثر أذى له ولأصحابه، وقتل ببدر، قتله إبنا عفراء وأجهز عليه عبدالله بن مسعود، وقال أبو جهل: لئن سب محمد آلهتنا سببنا إلهه، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا الله عَدْواً بِغَيْرِ عِلْم﴾[٣].

ومنهم نَبيه ومُنبه إبنا الحجاج السهميان، وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله والطعن عليه، وكانا يلقيانه فيقولان له: أما وجد الله من يبعثه غيرك، انّ ههنا من هو أسن منك وأيسر، فقُتل مُنبه قتله علي بن أبي طالب (ع) ببدر، وقتل أيضاً العاص بن مُنبه بن الحجاج قتله أيضاً عليّ ببدر، وهو صاحب ذي الفقار، وقيل مُنبه بن الحجاج صاحبه، وقيل نَبيه.

ومنهم زهير بن أبي أُمية أخو أُم سلمة لأبيها، وأُمها عاتكة بنت عبدالمطلب، وكان ممن يظهر تكذيب رسول الله (ص) ويردّ ما جاء به ويطعن عليه، الّا انّه أعان على نقض الصحيفة، واختلف في موته، فقيل سار الى بدر فمرض فمات، وقيل أسر ببدر فأطلقه رسول

---

(١) سورة الكوثر / الآية ٣.
(٢) سورة فاطر / الآية ٤٢.
(٣) سورة الأنعام / الآية ١٠٨.

الله فلما عاد مات بمكة، وقيل غير ذلك.

ومنهم عقبة بن أبي معيط، ويكنى أبا الوليد، وكان من أشد الناس أذى لرسول الله (ص) وعداوة له وللمسلمين، وأسر عقبة ببدر فقتل صبراً، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري.

ومنهم الأسود بن المطلب، وكان من المستهزئين، ويكنى أبا زمعة، وكان أصحابه يتغامزون بالنبي (ص) وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ويصفرون ويصفقون، فدعا عليه رسول الله أن يعمى ويثكل بولده، فجلس في ظل شجرة فعمى، فشغله عن رسول الله، وقتل ابنه معه ببدر كافراً قتله أبو دجانة، وقتل إبن ابنه عتيب قتله حمزة وعليّ اشتركا في قتله، وقتل إبن ابنه الحرث بن زمعة بن الأسود قتله عليّ.

ومنهم مطعم بن عدي، وكان ممن يؤذي النبي (ص) ويشتمه ويسمعه ويكذبه، وأسر ببدر وقتل كافراً صبراً قتله حمزة.

ومنهم مالك بن الطلاطلة، وكان من المستهزئين، وكان سفيهاً، فدعا عليه رسول الله (ص) فأشار اليه جبريل الى رأسه فامتلأ قيحاً فمات.

ومنهم ركاثة بن عبديزيد بن هاشم بن عبدالمطلب، وكان شديد العداوة. الى أن قال: هؤلاء أشد عداوة لرسول الله (ص)، ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعتبة وشيبة وغيرهما، وكان جماعة من قريش من أشد الناس عليه فأسلموا تركنا ذكرهم لذلك. انتهى ما نقله ابن الأثير في الكامل ملخصاً.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: انّ أشد ما لقي رسول الله (ص) من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس الّا كذّبه وآذاه لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله (ص) الى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه ﴿يا أَيُّها المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِر﴾.

إسلام حمزة بن عبدالمطلب

قال ابن هشام والطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل[1]: ثمّ انّ أبا جهل مر برسول الله

---

(١) الكامل ٢ / ٨٣، السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١١، تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٣.

وهو جالس عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه، ومولاة لعبدالله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثمّ انصرف عنه فجلس في نادي قريش عند الكعبة فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب أن أقبل من قنصه متوشحاً قوسه وكان إذا رجع لم يصل الى أهله حتّىٰ يطوف بالكعبة، وكان يقف على أندية قريش ويسلم عليهم ويتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدهم شكيمة، فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله (ص) ورجع الى بيته، فقالت: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام، فانّه سبه وآذاه ثمّ انصرف عنه ولم يكلمه محمد.

قال: فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به، حتّىٰ دخل المسجد فرآه جالساً في القوم، فأقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس فشجّه شجّة منكرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول فاردد عليَّ إن استطعت. وقامت رجال بني مخزوم لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فاني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة على إسلامه.

فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله (ص) عز، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

قال ابن هشام[1]: انّ عتبة بن ربيعة كان سيداً، وقال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله (ص) جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيها أيّها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله (ص) يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلّمه. فقام اليه عتبة حتّىٰ جلس الى رسول الله (ص) فقال: يابن أخي انك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وانك قد آتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله (ص): قل يا أبا الوليد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١٣.

أسمع، قال: يا ابن أخي إن كنت بما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّىٰ تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت انّما تريد به شرفاً سودناك علينا حتّىٰ لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتّىٰ نبرئك منه، فانّه ربما غلب التابع على الرجل حتّىٰ يداوى منه ـ أو كما قال له.

حتّىٰ إذا فرغ عتبة ورسول الله (ص) يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاستمع منّي. قال: افعل. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمّ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُون * بَشِيراً وَنَذِيراً فأَعْرَضَ أكثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُون * وَقالُوا قُلُوبُنا في أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إلَيه﴾[1] ثمّ مضى رسول الله فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثمّ انتهى رسول الله (ص) الى السجدة منها فسجد. ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة الى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمّا جلس اليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي اني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ. فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

وقال الحلبي[2]: ثمّ انتهى رسول الله (ص) الى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضوا فَقُلْ أَنْذَرتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُود﴾[3]، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عن ذلك،

---

(١) سورة فصلت / الآية ١ ـ ٥.
(٢) السيرة الحلبية ١ / ٣٠٣.
(٣) سورة فصلت / الآية ١٣.

ثمّ انتهى الى السجدة فيها فسجد. الى أن قال: وفي رواية أن عتبة لما قام من عند النبي (ص) أبعد عنهم ولم يعد عليهم، فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الّا قد صبا الى محمد وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه، فأتوه فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئناك الّا انك صبوت الى محمد فأعجبك أمره. فقص عليهم القصة فقال: والله الذي نصبها مبنية ـ يعني الكعبة ـ ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه فأنشدته الرحم أن يكف، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب. فقالوا له: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: والله ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ... الخ.

ثمّ قال الحلبي: وعن ابن عباس أن قريشاً ـ أي أشرافهم ومشيختهم ـ منهم الأسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وأُمية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل.

وفي الينبوع أتى الوليد بن ربيعة في أربعين رجلاً من الملأ ـ أي من السادات ـ منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله (ص) ويأمره بإشكائهم ما يشكون منه ـ أي أن يزيل شكواهم منه ـ ويجيبهم الى أمر فيه الألفة والإصلاح فأحضره (ص). الى أن قال: وقالوا: فإن كنت انّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّىٰ تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت انّما تطلب الشرف فنحن نسودك ونشرفك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك تابعاً من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طبك.

وفي رواية: انّهم لمّا اجتمعوا ودعوه (ص) فجاءهم مسرعاً طمعاً في هدايتهم حتّىٰ جلس اليهم وعرضوا عليه الأموال والشرف والملك، فقال (ص): ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، وإن تقبلوا منّي ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله تعالى حتّىٰ يحكم الله بيني وبينكم.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: دعت قريش النبي (ص) الى أن يعطوه مالاً فيكون به أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء ويكف عن شتم آلهتهم ولا يذكرها بسوء، فقد ذكر أن عتبة بن ربيعة قال: إن كان ما بك الباه فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً، وقالوا له: ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك، وقالوا: إن لم تفعل فانّا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبده خيراً مما نعبد كنت أخذت منه بحظك، وإن كان الذي نعبد خيراً مما تعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا. فقال لهم: حتّىٰ أنظر ما يأتي من ربي، فجاء الوحي بقوله تعالى ﴿قُلْ يا أَيُّها الكافِرُونَ * لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدونَ * وَلا أَنْتُم عابِدُونَ ما أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عابِدٌ ما عَبَدتُم﴾[1] السورة.

وعن جعفر الصادق (ع) انّ المشركين قالوا له: اعبد معنا آلهتنا يوماً نعبد معك إلهك عشرة، واعبد معنا آلهتنا شهراً نعبد معك إلهك سنة، فنزلت ـ أي لا أعبد ما تعبدون يوماً، ولا أنتم عابدون ما أعبد عشرة، ولا أنا عابد ما عبدتم شهراً، ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة. انتهى ما نقله الحلبي في السيرة.

أول من جهر بالقرآن من أصحاب النبي (ص)

قال ابن الأثير والطبري والعبارة له في التاريخ[2]: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله (ص) بمكة عبدالله بن مسعود: قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله (ص) فقالوا: والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا. قالوا: انّا نخشاهم عليك، انّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. فقال دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتّىٰ أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها

---

(١) سورة الكافرون / الآية ١ ـ ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٤، الكامل ٢ / ٨٣.

حتّىٰ قام عند المقام ثمّ قال ﴿بِسمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيم﴾ رافعاً بها صوته ﴿الرَّحمنُ * عَلَّمَ القُرآنَ * خَلَقَ الإِنْسانَ * عَلَمهُ البَيان﴾[1] ثمّ استقبلها يقرأ فيها. قال: وتأملوا وجعلوا يقولون: ما يقول ابن أمّ عبد. ثمّ قالوا: انّه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتّىٰ بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثمّ انصرف الى أصحاب محمد (ص) وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم اليوم، لئن شئتم لأغادينهم غداً بمثلها. قالوا: لا، حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون.

---

(١) سورة الرحمن / الآية ٤.

المسلمون في أرض الحبشة

الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن الأثير[1]: ولمّا رأى رسول الله (ص) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل وعمّه أبي طالب، وانّه لا يقدر على أن يمنعهم قال: لو خرجتم الى أرض الحبشة، فانّ فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتّىٰ يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه. فخرج المسلمون الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة النبي معه، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته معه سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، وغيرهم تمام عشرة رجال، وقيل أحد عشر رجلاً وأربع نسوة.

وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة، فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة.

وقال الطبري[2]: فلما فعل ذلك بالمسلمين أمر رسول الله (ص) أن يخرجوا الى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه، وكان يثنى عليه مع

---

(١) الكامل ٢ / ٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٨.

ذلك صلاح، وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها يجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً، فأمرهم بها رسول الله (ص)، فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخاف عليهم الفتن، ومكث هو فلم يبرح، فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم.

ثمّ قال: فاختلف في عدد من خرج الى أرض الحبشة وهاجر اليها هذه الهجرة، وهي الهجرة الأولى، فقال بعضهم كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وقال آخرون: كان الذين لحقوا بأرض الحبشة وهاجروا اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها اثنين وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه.

الى أن قال: فجعلهم ابن إسحاق عشرة، وقال: وكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغني.

قال: ثمّ خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتّىٰ اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها منهم من خرج بأهله معه ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه، ثمّ عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ومن كان منهم معه أهله وولده ومن ولد له بأرض الحبشة، ومن كان منهم لا أهل معه.

وقال ابن هشام[1]: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه.

وروى محمد بن سعد[2] عن الزهري قال: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدث به ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم فقال لهم رسول الله (ص): تفرقوا في الأرض. فقالوا: أين نذهب يا رسول الله. قال: ههنا ـ وأشار الى الحبشة ـ وكانت أحب الأرض اليه أن يهاجر قبلها، فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين، منهم من هاجر معه بأهله ومنهم من هاجر بنفسه، حتّىٰ قدموا أرض

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٠٣.

الحبشة.

وروى أيضاً عن الحارث بن الفضيل ورجل آخر انّهما قالا: فخرجوا متسللين سراً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتّىٰ انتهوا الى الشعيبة منهم الراكب والماشي ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤا سفينتين للتجار حملوهم فيها الى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبيء رسول الله (ص) وخرجت قريش في آثارهم حتّىٰ جاؤا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً. قالوا: وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها أمناً على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه.

الهجرة الثانية الى أرض الحبشة

وروى محمد بن سعد[١] عن جماعة أنهم قالوا: لمّا قدم أصحاب النبي مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله (ص) في الخروج الى أرض الحبشة مرة ثانية وكانت خرجتهم الاخرة أعظمها مشقة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى واشتد عليهم ما بلغهم من النجاشي من حسن جواره لهم، وكان عدة من خرج في هذه الهجرة ثلاثة وثمانين رجلاً ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب، فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي في أحسن جوار.

وقال ابن الأثير[٢]: وأقام المسلمون بمكة يؤذون، فلما رأوا رجعوا مهاجرين الى الحبشة ثانياً فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون الى أرض الحبشة، فكمل بها تمام اثنين وثمانين رجلاً، والنبي (ص) مقيم بمكة يدعو الى الله سراً وجهراً.

وقال ابن هشام[٣]: قال ابن إسحاق بسنده عن أُم سلمة زوج النبي (ص) قال: قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمناً على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذىٰ

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٠٧.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٧.

ولا نسمع شيئاً نكرهه.

إرسال قريش الرسولين إلى النجاشي في طلب المهاجرين

قال ابن الأثير[١]: لما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا وانّ النجاشي قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي اُمية ومعهما هدية اليه والى أعيان أصحابه. فسارا حتّىٰ وصلا الى الحبشة، فحملا الى النجاشي هدية والى أصحابه هداياهم، وقالا لهم: انّ ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا أشراف قومهم الى الملك ليردوهم اليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم. وخافا أن يسمع النجاشي كلام المسلمين أن لا يسلمهم، فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان. ثمّ انّهما حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قد قالاه، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين اليهما فغضب من ذلك وقال: لا والله لا اُسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتّىٰ أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كانا صادقين سلمتهم اليهما وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم.

ثمّ أرسل النجاشي الى أصحاب النبي (ص) فحضروا وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولا تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: أيّها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، حتّىٰ بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله ولا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام. وعدّد عليه أمور الإسلام.

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٩.

قال: فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك ما جاء به عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه شطراً من كهيعص، فبكى النجاشي وأساقفته وقال النجاشي: انّ هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا والله لا أُسلمهم اليكما أبداً.

فلمّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما يبيد خضراءهم، فقال له عبدالله بن أبي أُمية وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فان لهم أرحاماً، فلما كان الغد قال للنجاشي: انّ هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً. فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح، فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: ما عدا عيسى ما قلت هذا العود، وقال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون، ما أحب انّ لي جبلاً من ذهب وانني آذيت رجلاً منكم. وردّ هدية قريش وقال: ما أخذ الله الرشوة منّي حتّىٰ آخذها منكم، ولا أطاع الناس فيَّ حتّىٰ أطيعهم فيه. وأقام المسلمون بخير دار ... الخ.

وقال الطبري[١]: ولمّا استقر بالذين هاجروا الى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي واطمأنوا، تآمرت قريش فيما بينها في الكيد بمن ضوى اليها من المسلمين، فوجهوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي الى النجاشي مع هدايا كثيرة أهدوها اليه والى بطارقته، وأمروهما أن يسألا النجاشي تسليم من قبله بأرضه من المسلمين اليهم، فشخص عمرو وعبدالله اليه في ذلك، فنفذا لما أرسلهما قومهما، فلم يصلا الى ما أمل قومهما من النجاشي فرجعا مقبوحين.

وروى أبو نعيم في الحلية[٢] بسنده عن أبي بردة عن أبيه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٥.

(٢) حلية الأولياء ١ / ١١٤.

ننطلق مع جعفر بن أبي طالب الى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فجمعوا للنجاشي هدية فقدمنا وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية فقبلها وسجدا له. ثمّ قال عمرو بن العاص: انّ أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك. قال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالوا: نعم، فبعث الينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم. فانتهينا الى النجاشي وهو جالس في محله وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين، وقد قال له عمرو وعمارة: انّهم لا يسجدون لك، فلمّا انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد الّا لله عزّ وجلّ. قال النجاشي: وما ذاك؟ قال: انّ الله تعالى بعث فينا رسولاً وهو الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام، قال ﴿مِنْ بَعْدِي اسمه أَحْمَدُ﴾[1] فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشي قوله، فلمّا رأى ذلك عمرو بن العاص قال: أصلح الله الملك انّهم يخالفونك في ابن مريم. فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله عز وجل هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر ولم يفترضها ولد. فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله (ص) وانّه الذي بشر به عيسى عليه السلام ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتّىٰ أقبل نعله، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما.

ثمّ روى ما رواه ابن الأثير في الكامل وابن هشام في السيرة[2] مع هذه الزيادة: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له: اقرأ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص، فبكى النجاشي والله حتّىٰ اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتّىٰ اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم. ثمّ قال النجاشي: انّ هذا هو الذي جاء به .. الخ.

---

(١) سورة الصف / الآية ٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٦٠، الكامل لابن الأثير ٢ / ٨١.

قال الحلبي[١] نقلاً عن البغوي: فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع: وقالوا: زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب، فقرأ عليهم سورة الكهف، فقال النجاشي: هذا والله الذي جاء به موسى، وفي رواية: انّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

وهذا كما قيل يدل على انّ عيسى كان مقرراً لما جاء موسى، وفي رواية بدل موسى عيسى، ويؤيده ما في لفظ انّه قال ما زاد هذا على ما في الانجيل الّا هذا العود كان في يده أخذه من الأرض.

وفي لفظ انّ جعفر قال للنجاشي: سلهما أعبيد نحن أم أحرار، فإن كنا عبيد أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم، فقال عمرو: بل أحرار. فقال جعفر: سلهما أَهَل أهرقنا دماء بغير حق فيقتصّ منا، أم بل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه. فقال عمرو: لا. فقال النجاشي لعمرو وعمارة: هل لكما عليهما دين؟ قالا: لا. قال: انطلقا فوالله لا أُسلمهم اليكما أبداً... الخ.

وروى أبو نعيم في الحلية[٢] بسنده عن أبي هريرة انّه قال: كان جعفر يحب المساكين ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه وكان رسول الله (ص) يسميه أبا المساكين.

وروى بسنده عن ابن عمر قال: كنت مع جعفر في غزوة مؤتة، فالتمسنا جعفراً فوجدنا في جسده بضعاً وسبعين من بين طعنة ورمية.

وأيضاً عن ابن عمر قال: فقدنا جعفراً يوم مؤتة، فطلبناه في القتلى فوجدنا به بين طعنة ورمية بضعاً وتسعين، ووجدنا ذلك في ما أقبل من جسده.

وروى عن عباد بن عبدالله أنه قال: والله لكأني أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثمّ عقرها، ثمّ قاتل حتّىٰ قتل، ثمّ روى عنه بيتين:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيّبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنى عذابها ... على أن لاقيتها ضرابها

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٤١.

(٢) حلية الأولياء ١ / ١١٧.

رجوع المهاجرين في الهجرة الأولى إلى مكة

كان سبب رجوعهم على ما رواه الطبري وابن الأثير ومحمد بن سعد[١]: انّهم سمعوا إسلام المشركين وسجودهم مع النبي (ص) بعد قرائته لسورة النجم، فلما رجعوا وقربوا من مكة بلغهم خلاف ما سمعوا، فأتمروا بينهم في الرجوع الى أرض الحبشة. ثمّ قالوا: قد بلغنا ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهداً من أراد بأهله ثمّ يرجع.

وروى محمد بن سعد[٢] عن أبي بكر بن عبدالرحمن قال: دخلوا مكة ولم يدخل أحد منهم الّا بجوار، الّا ابن مسعود فانّه مكث يسيراً ثمّ رجع الى أرض الحبشة ... الخ.

أقول: وقد أعرضنا عن قصة الغرانيق لعدم صحتها أصلاً وعدم انطباقها لقواعد الإسلام رأساً، لأنها من غرائب الأوهام وعجائب الموضوعات، وأئمة القوم ومحققوهم قد أعرضوا عنها على ما حكاه عنهم الحلبي في السيرة[٣] حيث قال: ومن ثمّ قيل هذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا انّها باطلة وضعها الزنادقة، ومن ثمّ أسقطها القاضي البيضاوي.

ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض، فقد قال: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وانّما أولع به المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب.

وقال البيهقي: رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم.

وقال الإمام النووي نقلاً عنه: وأمّا ما يرويه الأخباريون والمفسرون انّ سبب سجود المشركين مع رسول الله (ص) ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم، فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل، لأن مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله (ص) ولا أن يقوله الشيطان على لسان رسول الله، ولا يصح تسليط الشيطان على

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٠٦، الكامل ٢ / ٧٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٠٦.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٣٢٦.

ذلك والّا يلزم عدم الوثوق بالوحي.

قال الفخر الرازي: هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها، قال الله تعالى ﴿ما يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾[١].

وقال بصحتها جمع، منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر، وقال رد عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه. هذا كلامه انتهى ما نقله الحلبي ومن أراد أزيد من ذلك بياناً فليراجع الى ما ألّفه العلّامة الشيخ محمد رضا حيث أنه أوضح بطلانها وأزال بنيانها بما لا مزيد عليه.

إسلام بعض الصحابة

قال الطبري[٢]: وأسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم وكان رجلاً جلداً جليداً منيعاً، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة عبدالمطلب، وجد أصحاب رسول الله (ص) في أنفسهم قوة، وجعل الإسلام يفشو في القبائل.

وقال ابن الأثير[٣]: ثمّ أسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة، وقيل أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وقيل أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة، وكان رجلاً جلداً منيعاً، وأسلم بعد هجرة المسلمين الى الحبشة، وكان أصحاب النبي (ص) لا يقدرون يصلون عند الكعبة حتّىٰ أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتّىٰ صلّى عندها وصلّى معه أصحاب النبي (ص) وكان قد أسلم قبله حمزة بن عبدالمطلب فقوى المسلمون بهما وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله والمسلمين.

قالت أُم عبدالله بنت أبي حشمة[٤] وكانت زوج عامر بن ربيعة: انّا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته اذ أقبل عمر وهو على شركه حتّىٰ وقف عليَّ وكنا نلقى منه البلاء أذى وشدة، فقال: أتنطلقون يا أُم عبدالله؟ قالت: قلت نعم والله لنخرجن في أرض

---

(١) سورة النجم / الآية ٣ ـ ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٥.

(٣) الكامل لابن الأثير ٢ / ٨٤.

(٤) هكذا نقلها الحلبي وابن هشام في السيرتين.

الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتّىٰ يجعل الله لنا فرجاً. قالت: فقال صحبكم الله، ورأيت له رقة وحزناً. قالت: فلما عاد عامر أخبرته وقلت: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم. فقال لا يسلم حتّىٰ يسلم حمار الخطاب، لما كان يرى من غلظته وشدته على المسلمين، فهداه الله تعالى فأسلم فصار على الكفار أشد منه على المسلمين.

وكان سبب إسلامه أن أُخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو العدوي، وكانا مسلمين يخفيان إسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبدالله النحام العدوي قد أسلم أيضاً وهو يخفي إسلامه فرقاً من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة يقرؤها القرآن، فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد النبي والمسلمين وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلاً، فلقيه نعيم بن عبدالله فقال: أين يا عمر؟ فقال: أريد محمداً الذي فرّق أمر قريش وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله. فقال نعيم: والله لقد غرّتك نفسك، أترى بني عبدمناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً، أفلا ترجع الى أهلك فتقيم أمرهم. قال: وأي أهلي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأُختك فاطمة، فقد والله أسلما. فرجع عمر اليهما وعندهما خباب بن الأرت يقرؤهما القرآن، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذيها وقد سمع عمر قراءة خباب، فلمّا دخل قال: ما هذه الهنيمة؟ قالا: ما سمعت شيئاً. قال: بلى وقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه. وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت اليه أُخته لتكفه فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أُخته وختنه: قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت. ولمّا رأى عمر ما بأُخته من الدم ندم وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن فيها الآن حتّىٰ أنظر الى ما جاء به محمد (ص). قالت: انّا نخشاك عليها، فحلف أنه يعيدها. قالت له وقد طمعت في إسلامه: انك نجس على شركك ولا يمسها الّا المطهرون. فقام فاغتسل، فأعطته الصحيفة وقرأها وفيها «طه» وكان كاتباً، فلمّا قرأها بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.

الى أن قال: فأخذ سيفه وجاء الى النبي (ص) وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فقام

رجل منهم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً سيفه، فأخبر النبي (ص) بذلك فقال حمزة: إئذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن أراد شراً قتلناه بسيفه. فأذن له فنهض اليه النبي (ص) حتّىٰ لقيه فأخذ بمجامع ردائه ثمّ جذبه جذبة شديدة وقال: ما جاء بك، ما أراك تنتهي حتّىٰ تنزل عليك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله جئت لأُؤمن بالله وبرسوله، فكبّر تكبيرة عرف من في البيت أن عمر أسلم، فلمّا أسلم قال: أي قريش أنقل للحديث؟ قيل: جميل بن معمر الجهمي، فجاءه فأخبره بإسلامه فمشى الى المسجد وعمر وراءه وصرخ: يا معشر قريش ألا أن عمر بن الخطاب قد صبا، فيقول عمر من خلفه: كذب ولكني أسلمت. فقاموا فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتّىٰ قامت الشمس واعى، فقعدوهم على رأسه فقال: افعلوا ما بدا لكم، فلو كنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا ـ يعني مكة ـ فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حلة، فقال ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر. قال: فمه رجل اختار لنفسه أمراً، فماذا تريدون، أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلّوا عن الرجل وكان الرجل العاص بن وائل السهمي.

قال عمر: لما أسلمت أتيت باب أبي جهل بن هشام، فضربت عليه بابه فخرج اليَّ وقال: مرحباً بابن أخي ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد أسلمت وآمنت بمحمد وصدقت ما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به. وقيل في إسلامه غير ذلك.

وقال ابن هشام[1]: وقال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغني انّ أُخته فاطمة بنت الخطاب ـ وكانت عند سعيد بن زيد، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبدالله النحام رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر متوشحاً بسيفه يريد رسول الله (ص) ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٦٧.

رجال ونساء الى أن قال: فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم.

قال ابن إسحاق بسنده الذي نقله ابن هشام عنه: انّ إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دور آل عبد بن عمران المخزومي.

قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك. قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحد. قال: فقلت لو انّي جئت فلاناً الخمار ـ وكان بمكة يبيع الخمر ـ لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده، فقلت: لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين. قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي، وكان إذا صلّى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين الأسود والركن اليماني. قال: فقلت حين رأيته لو اني استمعت من محمد الليلة حتّىٰ أسمع ما يقول، فقلت: لئن دنوت منه أسمع منه لأروعنه، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً ورسول الله قائم يصلّي يقرأ القرآن، حتّىٰ قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه الّا ثياب الكعبة.

قال: فلمّا سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك حتّىٰ قضى رسول الله ﷺ صلاته ثمّ انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكانت طريقه حتّىٰ يجيز على المسعى ثمّ يسلك بين دار عباس بن عبدالمطلب وبين دار ابن أزهر بن عبدعوف الزهري ثمّ على دار الأخنس بن شريق حتّىٰ يدخل بيته، وكان مسكنه ﷺ في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية بن أبي سفيان.

قال عمر: فتبعته حتّىٰ إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته، فلما سمع رسول الله ﷺ حتّىٰ عرفني فظن رسول الله انّما اتبعته لأوذيه فنهمني ـ أي زجرني ـ ثمّ قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة. قلت: جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله.

قال الحلبي[١]: وسبب إسلامه على ما حدث بعضهم قال: قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي؟ قلنا: نعم. قال: كنت من أشد الناس على رسول الله (ص)، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش وهو نعيم بن عبدالله النحام بالحاء المهملة، وكان يخفي إسلامه خوفاً من قومه، وأخبرني أن أُختي ـ يعني أُم جميل واسمها فاطمة وقيل زينب وقيل آمنة ـ قد صبت أي أسلمت وكذا زوجها سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، فرجعت مغضباً وقد كان رسول الله (ص) يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند رجل به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أُختي رجلين ممن أسلم، أحدهما خباب بن الأرت بالمثناة من فوق والآخر لم أقف على اسمه ـ وفي السيرة الهشامية الاقتصار على خباب.

الى أن قال: فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك قد صبوت، وضربتها بشيء كان في يدي فسال الدم، فلمّا رأت الدم بكت وقالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت ... الخ.

وروى الحلبي أيضاً[٢] عن عمر في سبب إسلامه قال: خرجت أتعرض لرسول الله (ص) قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني الى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت في نفسي: والله هو شاعر كما قالت قريش، فقرأ ﴿إِنهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَليلاً ما يُؤْمِنُون﴾[٣]. قال: قلت كاهن فقرأ ﴿وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَليلاً ما تَذَكَّرُون﴾[٤] الى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.

وقال الزيني دحلان[٥]: قال ابن إسحاق: أسلم عمر بن الخطاب عقب الهجرة الأولى الى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس، وقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام.

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٢٩.
(٢) السيرة الحلبية ١ / ٣٣٢.
(٣) سورة الحاقة / الآية ٤٠ ـ ٤١.
(٤) سورة الحاقة / الآية ٤٢.
(٥) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٣٢.

الى أن قال: وكان عمر يحدث عن إسلامه قال: بلغني إسلام أُختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد. قال: وكنت أشد الناس على رسول الله (ص) فبينا أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة. الى أن قال: فقامت المرأة ففتحت لي فدخلت عليها، فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبأت ـ أي خرجت عن دينك ـ ثمّ ضربتها.

وفي رواية: انّ عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الأرض وجلس على صدره، فجاءت أُخته لتكفه عن زوجها، فلطمها لطمة شجّ بها وجهها فسال الدم، فلمّا رأت الدم بكت وغضبت وقالت: أتضربني يا عدو الله على أن أوحّد الله، فقد أسلمنا على رغم أنفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلاً فافعل. قال عمر: فاستحييت حين رأيت الدم، فقمت وجلست على السرير وأنا مغضب، فإذا كتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب أعطنيه أنظره؟ فكان عمر قارئاً. الى أن قال: فلمّا مررت بالرحمن والرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي وجعلت أُفكر من أي شيء اشتق ـ أي أخذ ـ ثمّ رجعت الى نفسي وأخذت الصحيفة فإذا فيها ﴿سَبَّحَ للهِ ما فِي السَّموات والأرض﴾[1] فجعلت أقرأ وأُفكر حتّىٰ بلغت ﴿آمِنُوا باللهِ وَرَسُولِه وَأَنْفِقوا مِمّا جَعَلَكُم مُسْتَخلَفين فِيه﴾[2] الى قوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين﴾[3]، فقلت: أشهد أن لا اله الاّ الله وأن محمداً رسول الله.

وفي رواية: أخرجوا إليَّ صحيفة فيها ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم﴾ فقلت: أسماء طيبة طاهرة ﴿طه * ما أنزَلنا عَلَيْكَ القُرْآن لِتَشقى * إلّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَق الأرضَ والسمٰواتِ العُلى * الرحمنُ على العَرْشِ استَوى * لَهُ ما فِي السَّمواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما وما تَحتَ الثَّرى * وإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِرَّ وأخفى * اللهُ لا إله إلّا هُوَ لَهُ الأَسماءُ الحسنى﴾[4] فعظمت في صدري وقلت: من هذا فرّت قريش، فلما بلغ ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها

---

(١) سورة الحديد / الآية ١.
(٢) سورة الحديد / الآية ٧.
(٣) سورة الحديد / الآية ٨.
(٤) سورة طه الآية / ١ ـ ٨.

مَنَ لا يُؤْمِنُ بِها واتَّبعَ هَواهُ فَتَرْدى﴾[١] تشهّد.

وفي رواية: كان مع سورة طه ﴿إِذا الشَّمْسُ كُوِّرَت﴾[٢] وأن عمر انتهى الى قوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحضَرتْ﴾[٣].

ويمكن الجمع بأن وجد السور الثلاث في صحيفة أو صحيفتين، فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين. ولما بلغ ﴿إِنَّنِي أَنا اللهُ لا إلهَ إلّا أَنا فاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصلاةَ لِذِكْرِي﴾[٤] قال: ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره، دلّوني على محمد الى أن قال: قالوا هو في أسفل الصفا وهي دار الأرقم كان (ص) مختفياً فيها بمن معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيران.

قال عمر: فقرعت الباب فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب. قال: وقد عرفوا شدتي على رسول الله ولم يعلموا بإسلامي، فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب، فقال ﷺ: افتحوا له فإن يرد الله به خيراً يهده، وقال حمزة لمّا رأى وجل القوم: افتحوا له فإن يرد الله به خيراً يسلم ويتبع وإن يرد غير ذلك كان قتله علينا هيّناً، ففتحوا له. قال: دخلت وأخذ رجلان بعضدي، قيل انّ حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتّىٰ دنوت من النبي (ص) فقال: أرسلوه، فأرسلوني فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة.

وفي رواية: فاستقبله النبي (ص) في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزّه هزة، فارتعد عمر من هيبة النبي (ص)، فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه فقال: أما أنت بمنته يا عمر حتّىٰ ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ... الخ.

وروى أبو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر: انّ أبا جهل جعل لمن يقتل محمداً مائة ناقة حمراء أو سوداء أو ألف أوقية من فضة.

وفي رواية: انّ أبا جهل بن هشام قال: يا معشر قريش انّ محمداً قد شتم آلهتكم وسفه

---

(١) سورة طه / الآية ١٦.
(٢) سورة التكوير / الآية ١.
(٣) سورة التكوير / الآية ١٤.
(٤) سورة طه / الآية ١٤.

أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار، ألا من قتل محمداً فله عليَّ مائة ناقة حمراء أو سوداء وألف أوقية من فضة. فقال عمر: أنا لها، وتعاهد معهم على ذلك.

وفي رواية: فقلت له: يا أبا الحكم الضمان صحيح. قال: نعم، فخرجت متقلداً بالسيف متنكباً كنانتي أريد رسول الله (ص)، فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه، فقمت أنظر إليه فإذا صائح يصيح من جوف العجل «يا آل ذريح أمر نجيح، رجل يصيح، بلسان فصيح، يدعو الى شهادة أن لا اله إلّا الله وأن محمداً رسول الله (ص)»، فقلت في نفسي: انّ هذا الأمر ما يراد به الّا أنا. ثمّ مررت بصنم فإذا هاتف من جوفه يقول:

«يا أيّها الناس ذوو الأجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسند الحكم إلى الأصنام ... أصبحتم كراتع الأنعام
أما ترون ما أرى أمامي ... من ساطعٍ يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظرين من تهام ... وقد بدا للناظر الشامي
محمد ذو البر والاكرام ... أكرمه الرحمن من أمامي
قد جاء بعد الشرك بالإسلام ... يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلاة للأرحام ... ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقاً إلى الإسلام ... بلا فتورٍ وبلا أحجام»

قال عمر: فقلت والله ما أراه إلّا أرادني، ثمّ مررت بالضمار فإذا هاتف من جوفه يقول:

أودى الضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب وقبل بعث محمد
انّ الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريشٍ مهتدي

... الخ.

قال عمر: فوالله لقد علمت انّه أرادني، فلقيني نعيم بن عبدالله النحام ـ وكان يخفي إسلامه خوفاً من قومه ـ فقال: أين تذهب؟ قلت: أريد هذا الصابي الذي فرّق أمر قريش فأقتله.

الى أن قال: وقيل إن الذي لقيه سعد بن أبي وقاص، وكان قد أسلم قبل عمر فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً. قال: أنت أصغر وأحقر من ذلك، تريد أن تقتل

محمداً وتدعك بنو عبدمناف تمشي على الأرض فقال له عمر: ما أراك إلّا قد صبأت فأبدأ بك فأقتلك. فقال سعد: أشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمداً رسول الله. فسلّ عمر سيفه وسلّ سعد سيفه وشدّ كل منهما على الآخر كاد أن يختلطا قال سعد لعمر: ما لك لا تصنع هذا بختنك ـ يريد سعيد بن زيد ـ وبأُختك. قال: صبأ قال: نعم، وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله، فتركه عمر وسار الى أُخته. انتهى ما نقله الزيني دحلان ملخصاً.

وقال الكازروني اليماني في كتاب مولد النبي: وأمّا سبب إسلام عمر ففيه أقوال: أحدها ما روي انّ قريشاً اجتمعت فتشاوروا في أمر النبي (ص). الى أن قال: ثمّ انّ عمر مضى في طلب رسول الله (ص) فلما خرج الى الصفا لقيه سعد بن أبي وقاص فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً. قال: أنت؟ قال: نعم، قال: اذاً أنت ألأم وأصغر من ذلك. قال عمر: لعلك قد صبأت الى محمد فأبدأ بك فأقتلك. قال: بل أنت أقصر يداً من ذلك، أتريد أن تقتل محمداً ويدعك بنو عبدمناف تمشي على الأرض. قال سعد: إعلم اني قد صبأت الى رسول الله (ص) وقد آمنت به، وأشهد أن لا إله إلّا الله وانّه رسول الله. فسلّ عمر سيفه وكشف سعد عن سيفه، وكان أصحاب رسول الله (ص) لا يخرج أحد منهم الّا بسيف ذي حديدة صارمة مخافة المشركين ... الخ.

قال السيوطي في خصائصه الكبرى[1]: أخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي عن أنس قال: خرج عمر متقلداً بالسيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال له: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً. قال: كيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة. فقال له عمر: ما أراك إلّا قد صبوت وتركت دينك. قال: أفلا أدلّك على العجب، انّ أُختك وختنك قد صبوا وتركا دينك، فمشى عمر ذامراً ـ أي غضباناً ـ حتّىٰ أتاهما وعندهما خباب فلما سمع خباب بحس عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال: ما هذه الهنيمة التي قد سمعتها عندكم، وكانوا يقرؤن طه، فقالا: ما عدا حديثاً تحدثنا به ـ أي ما جاوز الأمر عن حديث كنا نتحدث به ـ قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال له ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك. فوثب عمر على ختنه فوطأه

---

(١) الخصائص الكبرى ١ / ١٣١.

وطأً شديداً، فجاءت أُخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها، فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه. فقالت له أُخته: انك رجس وانّه لا يمسه الّا المطهرون فقم فتوضأ، فقام فتوضأ، ثمّ أخذ الكتاب فقرأ طه حتّىٰ انتهى الى ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلّا أَنا فَاعْبُدنِي وَأَقِمِ الصلاةَ لِذِكْرِي﴾[1] ... الخ.

وأخرج البزار والبيهقي والطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عمر بن الخطاب قال: كنت من أشد الناس على رسول الله (ص)، فبينا أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذْ لقيني رجل من قريش فقال لي: أين تريد يابن الخطاب؟ فقلت: إلهي وإلهي وإلهي ـ أي أريد نصرة آلهتي، قال: عجباً لك يا ابن الخطاب، انّك تزعم كذلك وقد كان دخل عليك الأمر في بيتك. قال: قلت وما ذاك؟ قال: أُختك قد أسلمت. قال: فرجعت مغضباً حتّىٰ قرعت الباب، وقد كان رسول الله (ص) إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شيء له ضمهما رسول الله الى الرجل الذي في يده السعة فينالا من فضلة طعامه، وقد كان ضم الى زوج أُختي رجلين، فلما قرعت الباب قيل: من هذا؟ قلت: عمر، فتبادروا واختفوا منّي وقد كانوا يقرؤن صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها. فقامت أُختي تفتح الباب، فقلت: يا عدوة نفسها صبوتِ، وضربتها بشيء في يدي على رأسها فسال الدم، فلمّا رأت الدم بكت فقالت: يابن الخطاب ماكنت فاعلاً فافعله فقد صبوت.

قال: ودخلت حتّىٰ جلست على السرير، فنظرت الى الصحيفة وسط البيت، فقلت: ما هذا ناولينيها؟ فقالت: لست من أهلها، أنت لا تطهر من الجنابة وهذا كتاب لا يمسه إلّا المطهرون، فما زلت بها حتّىٰ ناولتنيها، ففتحتها فإذا فيها ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه، فألقيت الصحيفة، ثمّ رجعت الى نفسي فتناولتها فإذا ﴿سَبَّحَ للهِ ما في السَّموات والأرض﴾[2]، فلمّا مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت، ثمّ رجعت الى نفسي فقرأتها حتّىٰ بلغت ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ الى آخر الآية، فقلت: أشهد أن لا

---

(١) سورة طه / الآية ١٤.

(٢) سورة الحديد / الآية ١.

اله إلَّا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فخرجوا إليَّ متبادرين وكبّروا ... الخ.

وأخرج أحمد عن عمر بن الخطاب قال: خرجت أتعرض لرسول الله (ص) قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني الى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ ﴿إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ قَليلاً ما تُؤْمِنون﴾[1]. فقلت: كاهن. قال: ﴿ولا بِقَولِ كاهِنٍ قَليلاً ما تَذَكَّرون * تَنزيلٌ مِنْ رَبِّ العالمين﴾[2] الى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.

وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده عن جابر قال: قال عمر: ضرب أُختي المخاض ليلاً، فخرجت حتّىٰ أتيت الكعبة، فجاء النبي (ص) فصلّى، فسمعت شيئاً لم أسمع مثله، ثمّ انصرف فتبعته، فقال: يا عمر ما تتركني ليلاً ولا نهاراً. فخشيت أن يدعو عليَّ، فقلت: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله.

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال: كنت جالساً مع أبي جهل وشيبة بن ربيعة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن ما مضى من آبائكم يتهافتون في النار، ألا ومن قتل محمداً فله عليَّ مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة، قال عمر: فخرجت متقلداً بالسيف متنكباً كنانتي أريد النبي (ص) فررت على عجل يذبحونه، فقمت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل «يا آل ذريح أمر نجيح، رجل يصيح، بلسان فصيح، يدعو الى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله». قال عمر: فعلمت أنه أرادني، ثمّ مررت ... الخ. إنتهى ما نقله السيوطي.

---

(١) سورة الحاقة / الآية ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الحاقة / الآية ٤٢ ـ ٤٣.

إجتماع المشركين على منابذة بني عبد مناف وكتابة الصحيفة

قال ابن هشام[1]: قال ابن إسحاق: فلمّا رأت قريش أن أصحاب رسول الله قد نزلوا بلداً به أمناً وقراراً، وانّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله (ص) وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، إجتمعوا واتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثمّ تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثمّ علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ويقال النضر بن الحرث، فدعا عليه رسول الله (ص) فشلّ بعض أصابعه.

قال ابن إسحاق: فلمّا فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، فاجتمعوا اليه وخرج من بني هاشم أبو لهب الى قريش فظاهرهم، فقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتّىٰ جهدوا لا يصل إليهم شيء إلّا سرّاً مستخفياً من أراد صلتهم من قريش. وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام معه غلامه يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله (ص) ومعه في الشعب، فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام الى بني هاشم، والله لا تبرح أنت وطعامك حتّىٰ أفضحك بمكة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٧٥.

فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد فقال: ما لك وله. فقال: يحمل الطعام الى بني هاشم. فقال أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها، خل سبيل الرجل.

قال: فأبى أبو جهل حتّىٰ نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئاً شديداً وحمزة بن عبدالمطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله (ص) وأصحابه فيشمتوا بهم.

وقال ابن الأثير والطبري[1] والعبارة له في التاريخ: ووجد أصحاب رسول الله (ص) قوة، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، وحمى النجاشي من ضوى الى بلده منهم، اجتمعت قريش فأتمرت بينها أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا الى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثمّ علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فلمّا فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه في شعبه، وخرج من بني هاشم أبو لهب الى قريش وظاهرهم عليه، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتّىٰ جهدوا لا يصل الى أحد منهم شيء إلّا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

وذكر: أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد عمته خديجة بنت خويلد ... الخ.

وروى محمد بن سعد[2] عن جماعة أنهم قالوا: لمّا بلغ قريشاً فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم، كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله (ص) وأصحابه، وأجمعوا على قتل رسول الله (ص)، وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألّا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم، وكان الذي كتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدري فشلّت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة ـ وقال بعضهم: بل كانت عند أُم الجلاس بنت مخرمة الحنظلية خالة

---

(١) تاريخ الطبري ١ / ٣٣٥، الكامل ٢ / ٨٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٠٨.

أبي جهل ـ وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم سنة سبع من حين تنبىء رسول الله (ص)، وانحاز بنو المطلب بن عبدمناف الى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم، وخرج أبو لهب الى قريش فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب وقطعوا عنهم الميرة والمادة، فكانوا لا يخرجون إلّا من موسم الى موسم، حتّىٰ بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب، فمن قريش من سرّه ذلك ومنهم من ساءه وقال: انظروا ما أصاب منصور بن عكرمة. فأقاموا في الشعب ثلاث سنين، ثمّ أطلع الله رسوله (ص) على أمر صحيفتهم وانّ الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر اسم الله عزّ وجلّ.

وروى أيضاً عن عكرمة قال: كتبت قريش بينهم وبين رسول الله كتاباً وختموا عليه ثلاثة خواتيم، فأرسل الله عز وجل على الصحيفة دابّة فأكلت كل شيء إلّا اسم الله تعالى.

وروى عن جابر عن محمد بن علي وعكرمة قالا: أُكل كل شيء كان في الصحيفة إلّا «باسمك اللهم».

وروى عن جابر أيضاً قال: حدثني شيخ من قريش من أهل مكة وكانت الصحيفة عند جده قال: أُكل كل شيء في الصحيفة من قطيعة غير «باسمك اللهم».

وقال الحلبي[1]: قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله (ص) وقالوا: قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا، وقالوا لقومه: خذوا منّا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا أنفسكم، فأبى قومه. فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب وإخراجهم من مكة الى شعب أبي طالب والتضييق عليهم بمنع حضور الأسواق ولا يناكحوهم، وأن لا يقبلوا لهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتّىٰ يسلموا رسول الله (ص) للقتل. وفي لفظ: لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئاً ولا تبتاعوا منهم شيئاً ولا تقبلوا منهم صلحاً ـ الحديث. وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة توكيداً على أنفسهم، وقيل كانت عند خالة أبي جهل، وقد يجمع بأنه يجوز أن تكون كانت عندها قبل أن تعلق في الكعبة على أنه سيأتي أنه يجوز أن الصحيفة تعددت.

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٣٦.

وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالأبطح ويسمى محصباً، وهو بأعلى مكة عند المقابر، فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشِعب إلّا أبا لهب فانّه ظاهر عليهم، وكان سنه (ص) حين دخل الشعب ستة وأربعين. وفي الصحيح انّهم في الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر.

وفي كلام السهيلي: كانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام يقتاته، فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجّار غالوا على أصحاب محمد حتّىٰ لا يدركوا شيئاً معكم، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتّىٰ يرجع الى أطفاله وهو يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به، فيغدوا التجّار على أبي لهب فيربحهم. هذا كلامه.

ثمّ قال الحلبي: ولا منافاة بين خروج أحدهم السوق إذا جاءت العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الأسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى.

وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة، وفي رواية أن خروج بني هاشم وبني المطلب الى الشعب لم يكن بإخراج قريش لهم، وانّما خرجوا إليه لأن قريشاً لمّا قدم اليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائباً وردّت معه هديتهم وفقد صاحبه الذي هو عمارة ابن الوليد وبلغهم إكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين كما سيأتي وظهور الإسلام في القبائل، كبر ذلك عليهم واشتد أذاهم على المسلمين، واجتمع رأيهم أن يقتلوا النبي (ص) علانية، فلمّا رأى أبو طالب ذلك جمع بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله (ص) الشعب ويمنعوه، ففعلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيئاً واحداً لم يفترقوا حتّىٰ دخلوا معهم في الشعب وانخذل عنهم بنو عمهم عبدشمس ونوفل ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته:

جزى الله عنا عبد شمسٍ ونوفلاً عقوبة شر عاجلاً غير آجل

وقال في قصيدة أخرى:

جزى الله عنا عبد شمسٍ ونوفلاً وتيماً ومخزوناً عقوقاً ومأثما

فلمّا علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهوداً ومواثيق على أن لا يجالسوهم. الحديث.

وفيه أنه سيأتي أن خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انّما كان بعد الهجرة الثانية، وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب الى الشعب. انتهى ما نقله الحلبي.

وقال الزيني دحلان[1]: فلمّا رأت قريش ذلك اجتمعوا وأتمروا أن يكتبوا كتاباً. الى أن قال: وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلّت يده وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصي فشلّت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره، وقيل بخط النضر بن الحرث فشلّت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافراً، وقيل بخط هشام بن عمرو ابن الحرث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها كما سيأتي وقد أسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة، وقيل بخط طلحة ابن أبي طلحة العبدري، وقيل بخط منصور بن عبدشرحبيل. وجمع باحتمال أن يكونوا كتبوا منها نسخاً وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلّقوا صحيفة منها في الكعبة.

الى أن قال: وكان يصلحهم في الشعب هشام بن عمرو العامري، أسلم بعد ذلك، وكان من أشد الناس قياماً في نقض الصحيفة كما سيأتي، وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام، أدخل عليهم في ليلة ثلاث أحمال طعاماً، فعلمت قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلّموه فقال: إني غير عائد لشيء خالفتكم فيه فانصرفوا عنه، ثمّ عاد الثانية فأدخل حملاً أو حملين فغالظته وهمّوا بقتله، فقال لهم أبو سفيان بن حرب: دعوه رجل وصل أهله ورحمه، أما انّي أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا، وكان ممن يصلحهم بالطعام أيضاً حكيم بن حزام.

الى أن قال: وكان أبو طالب مدة إقامتهم بالشعب يأمره (ص) فيأتي فراشه كل ليلة حتّىٰ يراد به من أراد به شراً وغائلة، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى ويأمره هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها. وهذا على ما جرت به العادة من الاحتراس بالأمور العادية وإلّا فهو (ص) محفوظ ومعصوم من القتل.

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٣٧.

وولد عبد الله بن عباس وهم بالشعب.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ يعني سنة ثمان من البعثة ـ تعاهد قريش وتقاسمت على معاداة رسول الله (ص). الى أن قال: فكتبوا في ذلك صحيفة وكتب فيها جماعة من قريش وعلقوها بالكعبة، ثمّ غدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً، وأبدت قريش لبني عبدالمطلب الجفاء، وثار بينهم شر وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلّا على قتل هذا الصابي، فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن، دخل لنصرة الله ونصرة رسوله وبين مشرك لحميته، فدخلوا شعبهم وهو شعب أبي طالب في ناحية مكة، وآذوا النبي (ص) والمؤمنين أذىً شديداً، وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المادة، فلم يدعوا أحداً من الناس يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق به، وكانوا يخرجون من الشعب الى الموسم، فكانت قريش تباكرهم الى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، فبقوا على ذلك ثلاث سنين حتّىٰ بلغ القوم الجهد الشديد وحتّىٰ سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب، وكان المشركون يكرهون ما فيه بني هاشم من البلاء، حتّىٰ كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم، وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة التي تعاهدوا فيها على محمد (ص) ورهطه، حتّىٰ أراد رجال منهم أن يبرؤا منها، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله (ص) ليلاً أو سرّاً، وكان النبي إذا أخذ مضجعه أو رقد جعله أبو طالب بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه، ويصبح قريش وقد سمعوا أصوات صبيان بني هاشم من الليل يتضاغون من الجوع، فيجلسون عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً فيقول الرجل لأصحابه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقولون: بخير. فيقول: لكن اخوانكم هؤلاء الذين في الشعب بات صبيانهم يتضاغون من الجوع، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد (ص) ورهطه، ومنهم من يكره ذلك. فأقامت قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم وبني المطلب سنتين أو ثلاثاً، حتّىٰ جهد القوم جهداً شديداً لا يصل اليهم شيء إلّا سرّاً أو مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش،

حتّىٰ روي أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً الى عمته خديجة بنت خويلد ... الخ.

سبب خروج بني هاشم وبني المطلب من الشعب ونقض الصحيفة

قال ابن هشام والطبري وابن الأثير والعبارة له في الكامل[1]: وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش، وكان أحسنهم بلاءاً فيه هشام بن عمرو بن الحرث، وكان يأتي بالبعير قد أوقره طعاماً ليلاً ويستقبل به الشعب ويخلع خطامه ويدخل الشعب. فلما رأى ما هم فيه وطول المدة عليهم مشى الى زهير بن أبي أُمية أخي أُم سلمة ـ وكان شديد الغيرة على النبي (ص) والمسلمين ـ وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت، أما أني أحلف بالله لو كانوا أخوال الحكم ـ يعني أبا جهل ـ ثمّ دعوته الى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبداً. فقال: فماذا أصنع وانّما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها؟ فقال: قد وجدت رجلاً. قال: ومن هو؟ قال: أنا. قال زهير: ابغنا ـ أي اطلب ـ ثالثاً.

فذهب الى المطعم بن عدي فقال له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبدمناف وأنت شاهد ذلك موافق فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم أسرع. قال: ما أصنع انّما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانياً. قال: مَنْ هو؟ قال: أنا. قال: ابغنا ثالثاً. قال: قد فعلت. قال: مَنْ هو؟ قال: زهير بن أبي أُمية. قال: ابغنا رابعاً.

فذهب الى أبي البختري بن هشام وقال له نحواً مما قال للمطعم. قال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أنا وزهير ومطعم. قال: ابغنا خامساً.

فذهب الى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلّمه وذكر له قرابتهم. قال: وهل على هذا الأمر معين؟ قال: نعم وسمّى له القوم، فاتّعدوا خطم الحجون الذي بأعلى مكة، فاجتمعوا

---

(١) الكامل ٢ / ٨٨، السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٤، تاريخ الطبري ٢ / ٣٤١.

هنالك وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة، فقال زهير: أنا أبدؤكم، فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير، فطاف بالبيت ثمّ أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتّىٰ تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل: كذبت والله لا تشق. قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا بها حين كتبت. قال أبو البختري: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها. قال مطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وأبو طالب في ناحية المسجد، فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلّا ما كان «باسمك اللهم»، كانت تفتح بها كتبها، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلّت يده.

وقيل كان سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كتبت وعلّقت بالكعبة إعتزل الناس بني هاشم وبني المطلب، وأقام رسول الله (ص) وأبو طالب بالشعب ثلاث سنين، فأرسل الله الأرضة وأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحم وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى، فجاء جبريل الى النبي (ص) فأعلمه بذلك، فقال النبي لعمه أبي طالب وكان أبو طالب لا يشك في قوله، فخرج من الشعب الى الحرم، فاجتمع الملأ من قريش قال: انّ ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها فإن كان صادقاً علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا وإن كاذباً علمنا أنكم على حق وانّا على باطل. فقاموا سراعاً وأحضروها، فوجدوا الأمر كما قال رسول الله ﷺ، وقويت نفس أبي طالب واشتدَّ صوته وقال: قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة، فنكسوا رؤوسهم ثمّ قالوا: انّما تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام أولئك النفر في نقضها.

وقال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من الظلم وقطيعة رحم أبياتاً:

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منهم كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

ألا هـل أتى بحـرينا صـنع ربـنا ... عـلى نـأيهم والله بـالناس أرود
فـيخبرهم أن الصـحيفة مـزّقت ... وان كـل مـا لم يـرضه الله مـفسد
تـراوحـها إفك وسـحر مجـمع ... ولم يلف سحراً آخر الدهر يـصعد
جزى الله رهطاً بالحجون تـتابعوا ... عـلى مـلأ يهـدى لحـزم ويـرشد
قعود لدى خطم الحـجون كـأنهم ... مـقاولة بـل هـم أعـز وأمجـد
أعـان عـليها كـل صـقر كـأنه ... إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد
جريء على جلّ الخـطوب كـأنه ... شهـاب بكـفّي قـابس يـتوقد
عـظيم الرمـاد سيد وابـن سـيد ... يحض على مقرى الضيوف ويحشد
طويل النجاد خارج نصف ساقه ... على وجهه يسقي الغـمام ويسـعد
من الأكرمين من لؤي بن غـالب ... إذا سـيم خسـفاً وجـهه يـتربد
ويـبنى لأبـناء العشـيرة صـالحاً ... إذا نحـن طـفنا في البـلاد ويمـهد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثمّ أصبحوا ... عـلى مـهل وسـائر النـاس رقـد
وكـنّا قـديماً لا نـقرّ ظـلامة ... ونـدرك مـا شـئنا ولا نـتشدّد

وقال محمد بن سعد[1]: فقال أبو طالب لكفار قريش: انّ ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط: انّ الله قد سلّط على صحيفتكم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور وظلم أو قطيعة رحم وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته اليكم فقتلتموه أو استحييتموه. قالوا: أنصفتنا. فأرسلوا الى الصحيفة ففتحوها فإذا هي كما قال رسول الله (ص)، فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم، فقال أبو طالب: على مَ نحبس ونحصر وقد بان لكم الأمر؟ ثمّ دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا. ثمّ انصرفوا الى الشعب وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم، فيهم مطعم بن عدي وعدي بن قيس وزمعة بن الأسود وأبو البختري بن هاشم وزهير بن أبي أُمية، ولبسوا السلاح ثمّ خرجوا الى بني هاشم

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٠.

وبني المطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم، ففعلوا. فلما رأت قريش ذلك سقط في أيديهم وعرفوا أن لن يسلموهم. وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة.

وروى محمد بن سعد[١] بسنده عن جابر عن محمد بن علي (ع) قال: مكث رسول الله (ص) وأهله في الشعب سنتين، وقال الحكم مكثوا سنين.

وقال الكازروني اليماني: ثمّ انّ الله عزّ وجلّ برحمته أرسل على صحيفة قريش التي كتبوها وفيها تظاهرهم على بني هاشم الأرضة، فلم تدع فيها اسماً لله عز وجل إلّا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فأخبر الله عزّ وجلّ بذلك رسوله محمد (ص) فأخبر أبا طالب، فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدّثك هذا وليس يدخل علينا أحد ولا تخرج أنت الى أحد ولست في نفسي من أهل الكذب؟ فقال له رسول الله (ص) أخبرني ربّي بهذا. فقال له عمه: انّ ربك لحقّ وأنا أشهد انّك صادق.

فجمع أبو طالب أهله ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله (ص) كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة، فانطلق أبو طالب برهطه حتّىٰ دخلوا المسجد والمشركون من قريش في ظل الكعبة، فلما أبصروا تباشروا به وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا اليهم رسول الله (ص) فيقتلوه فلما انتهى اليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم وفي حياته فرقتكم وفسادكم. فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منّا، هلمّوا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا. فجاؤا بها ولا يشكون إلّا أنهم سيدفعون رسول الله (ص) إليهم إذا نشروها، فلما جاؤا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم، فإن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني أن الله عزّ وجلّ قد بعث على صحيفتكم الأرضة فلم تدع لله فيها اسماً إلّا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فإن كان كاذباً فلكم عليَّ أن أدفعه إليكم تقتلونه، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم المواثيق وأخذوا عليه، فلمّا نشروها فإذا هي كما قال رسول الله (ص)، واستبشر أبو طالب وأصحابه

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٠.

وقالوا: أينا أولى بالقطيعة والبهتان. فقال المطعم بن عدي وهشام بن عمرو: نحن برآء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة، وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش، فقال أبو طالب في ذلك أشعاراً:

وقد جرّبوا فيما مضى غب أمرهم ... وما عالم أمراً كمن لا يجرب

الى أن قال:

فأمس بن عبدالله فيما مصدق ... على سخط من قومنا غير معتب

فلا تحسبونا مسلمين محمداً ... لدى غرمه منا ولا متغرب

وفي رواية: انّ الله تعالى أطلع نبيه (ص) على أمر صحيفتهم، وانّ الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقى ما كان من ذكر الله عزّ وجلّ في موضعي الصحيفة.

وقال الحلبي والزيني دحلان والعبارة له في السيرة[1]: فقال أبو طالب: يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم، فأتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح. وانّما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها، فأتوا بها وهم لا يشكون أن أبا طالب يدفع اليهم النبي، فوضعوها بينهم، وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم. فقال: انّما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم، انّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسماً لله تعالى الّا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم، وفي رواية: أكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم لله تعالى، فإن كان كما يقول فأفيقوا عمّا أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم. فقالوا: رضينا، ففتحوها فوجدوها كما قال (ص)، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك. وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

وقد جاء انّ أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به النبي (ص): على مَ نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة، ودخل ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحلّ ما يحرم عليه منّا. ثمّ انصرف هو

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٤٣، السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٣٨.

ومن معه الى الشعب، وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة.

الى أن قال: وقال لهم زهير: أنا أبدؤكم وأكون أول من يتكلم، فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثمّ أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتّىٰ تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق. فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. فقال أبو البختري: صدق زمعة، فقال مطعم بن عدي: صدقتما وكذب مَنْ قال غير ذلك، نبرأ الى الله منها ومما كتبت فيها، فقال هشام ابن عمرو مثل ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، واضطرب الأمر وكثر القيل والقال، فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقها ـ وفي رواية: قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثمّ خرجوا الى بني هاشم والمطلب وأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا.

هذا هو الصحيح في ذكر القصة انّ السعي من هؤلاء الرهط في نقضها انّما كان بعد اخبار النبي (ص)، وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوة بناء على أن مكثهم كان سنتين، أو في السنة العاشرة بناء على أنه كان ثلاث سنين.

وقال الحلبي[1]: فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها. وهذا دليل على أن الأرضة لحست اسم الله تعالى وأثبتت ما فيها من العهود والمواثيق، وإلّا فبعد إمحاء ذلك لا معنى لشقها. انتهى ما نقله الزيني دحلان والحلبي في السيرتين.

وقال السيوطي في خصائصه[2]: فلمّا عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله (ص) فاجتمعوا وأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتّىٰ يسلموا رسول الله (ص) للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً حتّىٰ يسلموه للقتل، فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٤٥.

(٢) الخصائص الكبرى ١ / ١٥٠.

والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركون طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلّا بادروهم إليه فاشتروه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبدمناف ومن بني قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق وكانت معلقة في سقف البيت، فلم تترك اسماً لله فيها إلّا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم، وأطلع الله رسوله (ص) على الذي صنع بصحيفتهم، فذكر ذلك رسول الله لأبي طالب، فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني.

فانطلق يمشي بعصابة من بني عبدالمطلب حتّىٰ أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء فأتوا ليعطوا رسول الله (ص)، فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم علينا فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح. وانّما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكّون أن رسول الله (ص) مدفوعاً إليهم، فوضعوها بينهم فقال أبو طالب: انّما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف، إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيّانا وتظاهركم علينا بالظلم، فإنْ كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا، فوالله لا يسلم حتّىٰ نموت من عند آخرنا، وإنْ كان الذي قال باطلاً دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم. قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة ووجدوا الصادق المصدوق (ص) قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال قالوا: والله إنْ كان هذا قط الّا سحر من صاحبكم. فقال أولئك النفر من بني عبدالمطلب: ان الأولى بالكذب والسحر غيرنا، فإنّا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الجبت والسحر، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم، طمس الله ما كان فيها من اسم الله وما كان من بغي تركه، أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من

بني عبدمناف وبني قصي: نحن برآء من هذه الصحيفة، وخرج النبي (ص) ورهطه فعاشوا وخالطوا الناس.

وعن ابن سعد بسنده عن زكريا بن عمرو عن شيخ من قريش: أن قريشاً لمّا كتبت الصحيفة ومضت ثلاث سنين أطلع الله نبيه (ص) على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ماكان فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله، فذكر ذلك رسول الله (ص) لأبي طالب فقال: والله ما كذبني ابن أخي قط. انتهى ما نقله السيوطي في خصائصه الكبرى.

وفاة أبي طالب وخديجة

قال ابن الأثير[١]: توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد خروجهم من الشعب، فتوفي أبو طالب في شوال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً. وقيل كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل ثلاثة أيام.

فعظمت المصيبة على رسول الله (ص) بهلاكهما، فقال رسول الله: ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتّىٰ مات أبو طالب، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب الى ما لم يكونوا يصلوا إليه في حياته، حتّىٰ ينثر بعضهم التراب على رأسه، وحتّىٰ أن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلّي.

وروى الطبري وابن هشام[٢] عن ابن إسحاق انّه قال: توفي أبو طالب وخديجة في عام واحد، وذلك قبل هجرته (ص) الى المدينة بثلاث سنين، فتتابعت على رسول الله (ص) المصائب لوفاة خديجة، حيث أنها كانت له وزير صدق على الإسلام، ولوفاة عمه أبي طالب حيث أنه كان له (ص) عضداً وحرزاً في أمره وناصراً على قومه.

فلما توفي أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتّىٰ اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً. قال: لما نثر ذلك

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٩٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٣، السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٧.

السفيه على رأس رسول الله (ص) التراب دخل رسول الله بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله يقول لها: لا تبكي يا بنية فانّ الله مانع أباك، ويقول بين ذلك: ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّىٰ مات أبو طالب.

وقال الحلبي[1]: انّهما ماتا في عام واحد بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يوماً، وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين بعد مضي عشرة سنين من بعثته (ص).

وأفاد صاحب الهمزية: انّ موت خديجة كان بعد موت أبي طالب، وقيل كانت وفاة خديجة قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة، وقيل بعده بثلاثة أيام.

ويؤيد ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير، والمشهور أنه مات قبل خديجة بثلاثة أيام، ودفنت بالحجون ونزل في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت.

وذكر الفاكهاني المالكي في شرح الرسالة: انّ صلاة الجنازة من خصائص هذه الأمة، لكن ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور، حيث قال: وروى أن آدم عليه السلام لمّا توفي أتى بحنوط وكفن من الجنة، ونزلت الملائكة فغسّلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه، وتقدم ملك منهم فصلّى عليه وصلّت الملائكة خلفه، ثمّ أقبروه وألحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث (ع) الذي هو وصيه معهم، فلما فرغوا قالوا: هكذا فاصنع بولدك وإخوتك فإنها سنتكم. هذا كلامه.

ويبعد أنه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور له، ويحتمل أن المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير، لكن يبعده ما في العرائس عن ابن عباس: أن آدم لما مات قال ولده شيث لجبريل: صلّ عليه فقال له جبريل: بل أنت تقدم فصلّ على أبيك، فصلّى عليه وكبّر ثلاثين تكبيرة. وقد أخرج الحاكم نحوه مرفوعاً وقال: صحيح الاسناد.

ومنه تعلم أن الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على أن المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء، وحينئذ لا يحسن القول بأن صلاة

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٤٦.

الجنازة من خصائص هذه الأُمة إلّا أن يقال: لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة أن تكون معروفة لقريش، إذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك، وسيأتي عنهم أنهم لم يفعلوا ذلك أيضاً. ولو كانت معروفة لصلّى (ص) على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة أُم المؤمنين الذي هو زوجها. الى أن قال: صلاة الجنازة فرضت في السنة الأولى من الهجرة، وأول من صلّى عليه أسعد بن زرارة، وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم، وكانوا يكفّنونهم ويصلّون عليهم، وهو أن يقول وليّ الميت بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثمّ يقول: عليك رحمة الله، ثمّ يدفن.

وكان رسول الله يسمّي ذلك العام عام الحزن، ولزم بيته وأقلّ الخروج، وكانت مدة إقامتها معه (ص) خمساً وعشرين سنة على الصحيح.

وفي الشهر الذي ماتت فيه خديجة وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة، وكانت قبله عند سكران ابن عمها وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثمّ رجع بها الى مكة فمات عنها، فلمّا انقضت عدتها تزوجها رسول الله وأصدقها أربع مائة درهم.

وعقد (ص) على عائشة وهي بنت ست أو سبع سنين في شوال ... الخ.

وقال الزيني دحلان[1]: وتوفي أبو طالب بعد خروجهم من الشعب، وكانت وفاته في رمضان سنة تسع أو عشرة من النبوة، ثمّ بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وستين سنة، وحزن (ص) عليها وعلى عمه أبي طالب حزناً شديداً حتّىٰ سمّى ذلك العام عام الحزن.

وقالت خولة بنت حكيم: يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، فقال: أجل أُم العيال وربّة البيت.

وقال عبيد الله بن عمير: وجد عليها حتّىٰ خشي عليه، وكانت مدة إقامته معها خمساً وعشرين سنة.

ثمّ في شوال من ذلك العام تزوج (ص) سودة بنت زمعة ودخل بها، وعقد على عائشة ولم

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٣٩.

يدخل بها إلّا بعد الهجرة.

الى أن قال: وعائشة حينئذ بنت ست أو سبع سنين، فدخل بها وعمرها تسع سنين.

ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على رسول الله (ص) ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وفي السنة العاشرة من نبوته (ص) مات أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة، وفي هذه السنة توفيت خديجة بعد أبي طالب بأيام وهي بنت خمس وستين سنة.

ولمّا توفي أبو طاب وخديجة ـ وكان بينهما شهر وخمسة أيام ـ اجتمعت على رسول الله (ص) مصيبتان، فلزم بيته وأقلّ الخروج، ونالت قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع. الى أن قال: وفي هذه السنة تزوج رسول الله (ص) بعائشة وسودة، وكانت عائشة بنت ست سنين حينئذ.

وقال الشبلنجي[1]: وفي السنة العاشرة من النبوة أول ذي القعدة مات عمه أبو طالب بعد ما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً. وفي المواهب اللدنية: وكان سنّهُ سبعاً وثمانين سنة.

وروي عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله (ص) فوجد عنده عبدالله بن أُمية وأبا جهل بن هشام، فقال: يا عم قل «لا إلٰه إلّا الله» كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال له أبو جهل: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله (ص) يعرضها عليه ويقول: يا عم قل «لا إله إلّا الله» أشهد لك بها عند الله، ويقولان له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب، حتّىٰ كان آخر كلمة تكلّم بها أبو طالب: أنا أموت على ملّة عبدالمطلب، ثمّ مات.

وروي عن علي أنه قال: لما مات أبو طالب أخبرت رسول الله (ص) بموته، فبكى ثمّ قال: اذهب فاغسله وكفّنه وواره غفر الله له ورحمه.

الى أن قال: وفي هذه السنة العاشرة من النبوة كانت وفاة خديجة الكبرى، فتوالت على

---

(١) نور الأبصار ص ١٦.

رسول الله (ص) في هذه السنة مصيبتان موت عمه أبي طالب وخديجة. انتهى ما نقله الشبلنجي.

وقال الصبان[١]: ثمّ مات أبو طالب فخديجة في عام واحد، فتتابعت على رسول الله (ص) مصيبتان، وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان (ص) سمى ذلك العام عام الحزن، وكان موت خديجة في رمضان ودفنت بالحجون. ولمّا مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ... الخ.

قال محمد بن سعد[٢]: قالوا ولمّا توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد وكان بينهما شهر وخمسة أيام اجتمعت على رسول الله (ص) مصيبتان، فلزم بيته وأقلّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به ... الخ.

وقد تقدّم فيما مضى تحقيق القول في إيمانه عليه السلام وأنه مات مؤمناً بالله ومصدّقاً بما جاء به رسول الله (ص) من عند الله، كما أن آباء النبي قد ماتوا مؤمنين من لدن آدم الى أبيه عبدالله على ما اختاره جماعة من القوم، كجلال الدين السيوطي والإمام فخر الدين الرازي والتلمساني وغيرهم، على ما حكاه عنهم الزيني دحلان في السيرة النبوية.

ويدل على ماذهب إليه الإمامية ـ مضافاً الى ما تقدم من انّ أبا طالب كان مؤمناً بالله ومصدقاً بما جاء به رسول الله من عند ربه ـ ما رواه ابن هشام في السيرة[٣] عن ابن إسحاق أنه قال: ولمّا اشتكى أبو طالب وبلغ قريش ثقله، قالت قريش بعضها لبعض: انّ حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا الى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا. الى أن قال: ثمّ قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتّىٰ يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثمّ تفرقوا.

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٢١.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٨.

قال: فقال أبو طالب لرسول الله (ص): والله يابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً. قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله (ص) في إسلامه، فجعل يقول: يا عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة.

الى أن قال: فلمّا تقارب من أبي طالب الموت قال: نظر العباس إليه يحرك شفتيه. قال فأصغى إليه باذنه، قال فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ـ يعني كلمة التوحيد ـ قال فقال رسول الله (ص): لم أسمع. قال: وأنزل الله تعالى في الرهط الذي كانوا اجتمعوا اليه وقال لهم ما قال وردّوا عليه ما ردّوا ﴿ص والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الذِينَ كَفَرُوا في عِزَّةٍ وشِقاق﴾[1] الى قوله تعالى ﴿أَجَعلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنَّ هذا لَشيءٌ عُجابٌ * وانْطَلَقَ الملأُ مِنْهم أن امْشُوا وَاصْبِروا على آلِهَتِكُم إنَّ هذا لشيءٌ يُراد * ما سَمِعْنا بِهذا في المِلَّةِ الآخرة﴾[2] يعنون النصارى بقولهم انّ الله ثالث ثلاثة ﴿إنْ هذا إلّا اخْتِلاق﴾[3] ثمّ مات أبو طالب. انتهى ما نقله ابن هشام في السيرة.

إسلام وفد نجران

قال الحلبي[4]: ثمّ قدم عليه وفد نجران وهم قوم من النصارى، ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلاً للنصارىٰ، وكانوا نحواً من عشرين رجلاً حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة، فوجدوه (ص) في المسجد، فجلسوا اليه سألوه وكلموه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم، فلما فرغوا من مسألة رسول الله (ص) كما أرادوا دعاهم رسول الله الى الله تعالى وتلى عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثمّ استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به في كتابهم، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب

---

(١) سورة ص / الآية ١ ـ ٢.
(٢) سورة ص / الآية ٥ ـ ٧.
(٣) سورة ص / الآية ٧.
(٤) السيرة الحلبية ١ / ٣٤٥.

بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون ـ أي تنظرون الأخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل ـ فلم تطمئن مجالسكم عنده حتّىٰ فارقتم دينكم فصدّقتموه بما قال، لا نعلم ركباً أحمق ـ أي أقل عقلاً ـ منكم. فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه. ويقال نزل فيهم قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتاب﴾[١] الى قوله ﴿لا نَبْتَغي الجاهلين﴾[٢] ونزل قوله تعالى ﴿وَاذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ الى الرَسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّا عَرَفُوا مِنَ الحقّ﴾[٣] ... الخ.

بدء انتشار الإسلام
خروج رسول الله إلى الطائف

قال ابن الأثير[٤] فلمّا اشتدّ عليه الأمر بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة الى ثقيف يلتمس منهم النصر، فلمّا انتهى اليهم عمد الى ثلاثة نفر منهم وهم يومئذ سادة ثقيف وهم اخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير، فدعاهم الى الله وكلّمهم في نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه ... الخ.

وقال الطبري[٥]: ولمّا مات أبو طالب خرج رسول الله (ص) الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، وذكر أنه خرج اليهم رسول الله (ص) وحده ... الخ.

وقال ابن هشام[٦]: قال ابن إسحاق: ولمّا مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة أبي طالب، فخرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج

---

(١) سورة القصص / الآية ٥٢.
(٢) سورة القصص / الآية ٥٥.
(٣) سورة المائدة / الآية ٨٣.
(٤) الكامل لابن الأثير ٢ / ٩١.
(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٤.
(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٠.

اليهم وحده ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: وفي السنة العاشرة خرج رسول الله (ص) الى الطائف والى ثقيف ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من النبوة، فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهراً لا يدع أحداً من أشرافهم إلّا جاءه وكلّمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم، فقالوا: يا محمد اُخرج من بلدنا ... الخ.

وقال الحلبي[١]: خروج النبي (ص) الى الطائف، سمّيت بذلك لأن رجلاً من حضرموت نزلها فقال لأهلها: ألا أبني لكم حائطاً يطيف ببلدكم، فبناه فسمّى الطائف، وقيل غير ذلك.

ولمّا مات أبو طالب ونالت قريش من النبي (ص) ما لم تكن نالته منه في حياته كما تقدم، خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما نفي من قريش وقرابته وعترته، وخصوصاً من أبي لهب وزوجته اُم جميل حمالة الحطب من الهجور والسبّ والتكذيب. وخروجه (ص) الى الطائف كان في شوال سنة عشر من النبوة وحده، وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الإسلام رجاء أن يسلموا أو أن يناصروه على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، قال في الأمتاع: لأنهم كانوا أخواله.

وقال الزيني دحلان[٢]: فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته وهمّوا بإخراجه ﷺ والفتك به، خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر من قريش ... الخ.

وقال محمد بن سعد[٣]: لمّا توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله (ص) واجترؤا عليه، فخرج الى الطائف ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من حين نبيء رسول الله (ص). الى أن قال: فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلّا جاءه وكلّمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا: يا محمد اُخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الأرض، وأغروا به سفاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتّىٰ أن رجلي رسول الله

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٥٣.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٤٠.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١١.

لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتّىٰ لقد شج في رأسه شجاج، فانصرف رسول الله (ص) من الطائف راجعاً الى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة ... الخ.

وقال الزيني دحلان والحلبي[1]: وقالوا له: أُخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الأرض وأغروا به ـ أي سلّطوا عليه ـ سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتّىٰ اجتمع عليه الناس وقعدوا له صَفَّيْن على طريقه، فلمّا مرّ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلّا رضخوهما بالحجارة حتّىٰ أدموا رجليه (ص). وفي لفظ: حتّىٰ اختضبت نعلاه بالدماء. وكان (ص) إذا أزلقته الحجارة ـ أي وجد ألمها ـ قعد الى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة ـ أي بناء على أنه كان معه ـ يقيه بنفسه، حتّىٰ لقد شجّ في رأسه شجاج فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دماً عمد الى حائط من حوائطهم ـ أي بستان من بساتينه ـ فاستظلّ في حبَلة بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروفة ـ شجرة كرم قيل لها حبلة لأنها تحمل بالعنب، وقد فسّر نهيه (ص) عن حبل الحبلة ببيع العنب قبل أن يطيب، قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه أحد في تأويل الحديث. فجاء الى ذلك المحل وهو مكروب موجع.

الى أن قال: فلمّا دخل الحائط رجعوا عنه. قال: وذكر أنه (ص) دعا بدعاء «اللّهم انّي أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، الى من تكلني وإن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي» ... الخ.

وإذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله (ص) فلمّا رأياه وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس معدود في الصحابة مات قبل الخروج الى بدر، فقالا: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثمّ اذهب به الى ذلك الرجل فقل له كُلْ منه، ففعل عداس، ثمّ أقبل به حتّىٰ وضعه بين يدي رسول الله (ص) ثمّ قال له: كُلْ، فلمّا وضع رسول الله (ص) فيه يديه الشريفة قال «بسم الله» ثمّ أكل، فنظر عداس في وجهه قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٤١، السيرة الحلبية ١ / ٣٥٤.

رسول الله: من أي البلاد أنت وما دينك يا عداس؟ قال: نصراني وأنا من أهل نِينَوى بكسر النون الأول وفتح الثانية وقيل بضمّها قرية شاطىء دجلة في أرض الموصل. فقال له رسول الله: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متي. وعند ذلك قال عداس له (ص): وما يدريك ما يونس بن متي، فاني والله خرجت منها ـ يعني نينوى ـ وما فيها عشرة يعرفون ما متي، فمن أين عرفت ابن متي؟ فقال رسول الله: ذلك أخي كان نبيّاً وأنا نبيّ.

الى أن قال: فعند ذلك أكبّ عداس على رسول الله (ص) يُقَبِّلْ رأسه ويديه وقدميه، فقال أحدهما ـ أي عتبة وشيبة ـ للآخر: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلمّا جاءهما عداس قال له أحدهما: ويلك ما لك تُقَبِّلْ رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلّا نبيّ. قال: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك.

الى أن قال: وعند منصرفه (ص) من الطائف نزل نخلة، وهي محلة بين مكة والطائف، فمرّ به نفر سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين وهي مدينة بالشام أو اليمن.

وقال محمد بن سعد[1]: فانصرف رسول الله (ص) من الطائف راجعاً الى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل ولا امرأة، فلما نزل نخلة قام يصلّي من الليل، فصرف اليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين، فاستمعوا عليه وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله (ص) حتّىٰ نزلت عليه ﴿وإذْ صَرَفنا إليكَ نَفَراً مِنَ الجنِّ يَسْتَمِعونَ القُرآن﴾[2] فهم هؤلاء الذين كانوا صرفوا اليه بنخلة، وأقام بنخلة أياماً.

وقال الطبري[3]: ثمّ انّ رسول الله (ص) انصرف من الطائف راجعاً الى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتّىٰ إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلّي، فمرّ به نفر من الجن الذين ذكر الله عزّ وجلّ. قال محمد بن إسحاق: وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن نصيبين اليمن، فاستمعوا

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٢.
(٢) سورة الأحقاف / الآية ٢٩.
(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٦.

له، فلمّا فرغ من صلاته ولّوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقصّ الله عزّ وجلّ خبرهم عليه ﴿واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ الى قوله ﴿ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيم﴾[١] وقال ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجنّ﴾[٢] الى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

وقال ابن الأثير: ثمّ انصرف رسول الله (ص) راجعاً الى مكة، حتّىٰ إذا كان في جوف الليل قام قائماً يصلّي، فمرّ به نفر من الجن وهم سبعة نفر من جن نصيبين رائحين الى اليمن، فاستمعوا له، فلمّا فرغ من صلاته ولّوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا.

قال ابن هشام[٣]: ثمّ انّ رسول الله (ص) انصرف من الطائف راجعاً الى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتّىٰ إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلّي، فمرّ به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا له، فلمّا فرغ من صلاته ولّوا الى قومهم منذرين ... الخ.

قال محمد بن سعد[٤]: فقال زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم ـ يعني قريشاً ـ وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد انّ الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وانّ الله ناصر دينه ومظهر نبيه. ثمّ انتهى الى حراء فأرسل رجلاً من خزاعة الى مطعم بن عدي: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فانّي قد أجرت محمداً فدخل رسول الله (ص) ومعه زيد بن حارثة، حتّىٰ انتهى الى المسجد الحرام، فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش انّي قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله (ص) الى الركن فاستلمه وصلّى ركعتين وانصرف الى بيته ومطعم بن عدي وولده مطيفون به (ص).

---

(١) سورة الأحقاف / الآية ٣١.
(٢) سورة الجن / الآية ١.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٣.
(٤) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٢.

وقال ابن الأثير[١]: وذكر بعضهم أن رسول الله (ص) لمّا عاد من ثقيف أرسل الى المطعم بن عدي ليجيره حتّىٰ يبلغ رسالة ربه، فأجاره وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه، فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمجير أم متابع؟ قال: بل مجير. قال: قد أجرنا من أجرت. فدخل النبي (ص) مكة وأقام بها، فلمّا رآه أبو جهل قال: هذا نبيّكم يا عبدمناف. فقال عتبة بن ربيعة: وما ينكر أن يكون منّا نبي وملك. فأخبر رسول الله (ص) بذلك فأتاهم فقال: أمّا أنت يا عتبة فما حميت لله وانّما حميت لنفسك، وأما أنت يا أبا جهل فو الله لا يأتي عليك غير بعيد حتّىٰ تضحك قليلاً وتبكي، وأما أنتم يا معشر قريش فو الله لا يأتي عليكم غير كثير حتّىٰ تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون. فكان الأمر كذلك.

وقال الطبري[٢]: ثمّ قدم رسول الله (ص) مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلّا قليلاً مستضعفين ممن آمن به.

وذكر بعضهم: انّ رسول الله (ص) لمّا انصرف من الطائف مريداً مكة مرّ به بعض أهل مكة فقال له رسول الله: هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بها؟ قال: نعم. قال: ائت الأخنس بن شريق فقل له: يقول لك محمد هل أنت مجيري حتّىٰ أبلغ رسالة ربي؟ قال: فأتاه فقال له ذلك، فقال الأخنس: انَّ الحليف لا يجير على الصريح. قال: فأتى النبي (ص) فأخبره. قال: تعود؟ قال: نعم. قال: ائت سهيل بن عمرو فقل: انّ محمداً يقول لك هل أنت مجيري حتّىٰ أبلغ رسالات ربي؟ فأتاه فقال له ذلك. قال: فقال انّ بني عامر بن لؤي لا يجير على بني كعب. قال: فرجع الى النبي (ص) فاخبره. قال تعود؟ قال: نعم. قال: ائت المطعم بن عدي فقل له: إن محمداً يقول لك هل أنت مجيري حتّىٰ أبلغ رسالات ربي؟ قال: نعم فليدخل. قال: فرجع الرجل اليه فأخبره، وأصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد.

الى أن قال: فقال رسول الله (ص) أمّا أنت يا عتبة بن ربيعة فو الله ما حميت لله ولرسوله

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٧.

ولكن حميت لأنفك، وأمّا أنت يا أبا جهل بن هشام فو الله لا يأتي عليك غير كثير من الدهر حتّىٰ تضحك قليلاً وتبكي كثيراً، وأمّا أنتم يا معشر الملأ من قريش فو الله لا يأتي عليكم غير كثير من الدهر حتّىٰ تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون.

دعوة رسول الله (ص) القبائل الى الله تعالى

قال الكازروني اليماني: ولمّا دخل رسول الله (ص) مكة في جوار المطعم بن عدي وأقام بها، كان يقف بالموسم على القبائل فيقول: يا بني فلان انّي رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وخلفه أبو لهب فيقول: لا تطيعوه.

وأتى رسول الله (ص) كندة في منازلهم فدعاهم الى الله عزّ وجلّ فأبوا، وأتى كلباً في منازلهم فلم يقبلوا منه، وأتى بني حنيفة في منازلهم فردّوا عليه أقبح رد، وأتى عامر بن صعصعة، وكان لا يسمع بقادم من العرب له اسم وشرف إلّا دعاه وعرض عليه ما عنده.

قال جابر بن عبدالله: مكث رسول الله (ص) بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم يقول: مَنْ يؤويني مَنْ ينصرني حتّىٰ أبلغ رسالة ربي وله الجنة، حتى بعثنا الله له فآويناه وصدقناه.

وقال الطبري وابن هشام وابن الأثير والعبارة له في الكامل[1]: وكان رسول الله (ص) يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، فأتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم فأبوا عليه، فأتى كلباً الى بطن منهم يقال لهم بنو عبدالله فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم فلم يقبلوا ما عرض عليهم، ثمّ انّه أتى بني حنيفة وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم، ثمّ أتى بني عامر فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم: أرأيت إنْ نحن تابعناك فأظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء. قال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك. فلمّا رجعت بنو عامر الى

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٨، السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٣، الكامل ٢ / ٩٣.

شيخ لهم كبير فأخبروه خبر النبي (ص) ونسبه فوضع يده على رأسه ثمّ قال: يا بني عامر هل من تلاف، والذي نفسي بيده ما تقولها اسماعيلي قط وانّها لحقّ، وأين كان رأيكم عنه.

ولم يزل رسول الله (ص) يعرض نفسه على كل قادم له اسم وشرف ويدعوه الى الله، وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم الى الإسلام ... الخ.

قال محمد بن سعد[١]: قالوا: أقام رسول الله بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس الى الإسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحاجّ في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز، يدعوهم الى أن يمنعوه حتّىٰ يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه حتّىٰ أنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيُّها الناس قولوا «لا إله إلّا الله» تفلحوا.

الى أن قال: فكان من سمّى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله (ص) ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعبس، وبنو نضر، وبنو البكاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وغدرة، والحضارمة. فلم يستجب منهم أحد.

وقال الزيني دحلان والحلبي والعبارة له في السيرة[٢]: انّ رسول الله (ص) أخفى رسالته ثلاث سنين، ثمّ أعلن بها في الرابعة على ما تقدم، ودعا الى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم ـ أي بمنى والموقف ـ يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في أسواق المواسم، وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز، فقد تقدم انّ العرب كانت إذا حجّت تقيم بعكاظ شهر شوال، ثمّ تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوماً، ثم تجيء الى سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج. وكان (ص) يدعوهم الى أن يمنعوه حتّىٰ يبلغ رسالات ربه، فعن جابر قال: كان النبي (ص) يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول: ألا رجل يعرض عليَّ قومه فانّ قريشاً قد منعوني أن أبلّغ كلام ربي، وعن بعضهم: رأيت رسول

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٦.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٢، السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٤٦.

الله (ص) قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى يقول: يا أيها الناس إنَّ الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. ووراءه رجل يقول: يا أيّها الناس انَّ هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم، فسألت من هذا الرجل؟ فقيل: أبو لهب.

وفي رواية عن أبي طارق قال: رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول: يا أيّها الناس قولوا «لا إله إلّا الله» تفلحوا، وخلفه رجل له غديرتان ـ أي ذؤابتان ـ يرجمه بالحجارة حتّىٰ أدمى كعبه يقول: يا أيّها الناس لا تسمعوا منه فانّه كذّاب فسألت عنه فقيل: انّه غلام عبدالمطلب، فقلت: من الرجل الذي يرجمه؟ فقيل: هو عمه عبدالعزى ـ يعنى أبا لهب.

وفي السيرة الهشامية عن بعضهم قال: انّي لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله (ص) يقف في منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان انّي رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوني وتمنعوني حتّىٰ أُبيّن عن الله عزّ وجلّ ما بعثني به. قال: وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله (ص) من قوله قال ذلك الرجل: يا بني فلان انّما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. فقلت لأبي: مَنْ هذا الرجل يتبعه يردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبدالعزى بن عبدالمطلب.

وذكر ابن إسحاق: أنه (ص) عرض نفسه على كندة وكلب ـ أي الى بطن منهم يقال لهم بنو عبدالله ـ فقال: انّ الله قد أحسن اسم أبيكم أي عبدالله، ثمّ عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم، وعرض على بني حنيفة وبنى عامر بن صعصعة، فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثمّ أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر الى الله يضعه حيث شاء. قال: فقال أنقاتل العرب دونك ـ وفي رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك، أي نجعل نحورنا هدفاً لنبلهم ـ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك، وأبوا عليه. فلمّا رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن حتّىٰ لا يقدر أن

يوافي معهم الموسم، فلمّا قدموا عليه سألهم عمّا كان في موسمهم فقالوا: جاءنا فتى من قريش أحد بني عبدالمطلب يزعم أنه نبي يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا، فوضع الشيخ يده على رأسه ثمّ قال: يا بني عامر هل لها من تلاف ـ أي تدارك ـ والذي نفس فلان بيده ما يقولها ـ أي ما يدعي النبوة ـ كاذباً أحد من بني إسماعيل قط، وانّها لحقّ، وانّ رأيكم غاب عنكم.

وذكر الواقدي: انّه (ص) أتي بني عبس وبني سليم وغسان وبني محارب وفزارة وبني نضر ومرة وغدرة والحضارمة، فيردّون عليه (ص) أقبح الرد ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، ولم يكن أحد من العرب أقبح رداً عليه من بني حنيفة، وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذّاب، وقيل لهم بنو حنيفة لأن أُمّهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها وثقيف ومن ثمّ جاء شر القبائل بنو حنيفة وثقيف.

ثمّ ذكر الحلبي قصة مفروق بن عمرو ومجيء أبي بكر اليه وسؤاله عن أبي بكر فإلى مَ يدعو يا أخا قريش، فتقدم رسول الله (ص) فقال: أدعو الى شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وانّي رسول الله، والى أن تؤوني وتنصروني، فانّ قريشاً قد تظاهرت ـ أي تعاونت ـ على أمر الله وكذّبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد. قال مفروق: والى مَ تدعو أيضاً يا أخا قريش فقال رسول الله (ص): ﴿قُلْ تَعالَوا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُمْ أَنْ لا تُشرِكُوا بِهِ شَيْـئاً وَبِالوالِدَين إحْساناً ولا تَقْتُلوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ نَحنُ نَرزُقُكُم وإياهُم ولا تَقْرَبُوا الفواحشَ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَن ولا تَقتُلُوا النَّفسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلّا بِالحقِّ ذلِكُمْ وَصّيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَعقِلُون﴾[1] قال مفروق: ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم عرفناه. ثمّ قال: والى مَ تدعو أيضاً؟ فتلا رسول الله (ص): ﴿إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنكَرِ والبَغيَ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾[2] فقال مفروق: دعوت والله الى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا

---

(١) سورة الانعام / الآية ١٥١.

(٢) سورة النحل / الآية ٩٠.

عليك.

الى أن قال: وفي أسد الغابة[١] أن مفروق بن عمرو من الصحابة، ونقل عن أبي نعيم أنه قال: لا أعرف لمفروق إسلاماً.

ولا زال (ص) يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ويقول: لا أكره أحداً على شيء، مَنْ رضي الذي أدعوه إليه فذلك، ومن كره لم أكرهه، انّما أريد منعي من القتل حتّىٰ أبلغ رسالات ربي. فلم يقبله أحد من تلك القبائل ويقولون: قوم الرجل أعلم به، أترون انّ رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه. انتهى ما نقله الزيني دحلان والحلبي ملخصاً.

---

(١) أسد الغابة ٤ / ٤٠٩.

قصة الإسـراء

المعراج وكيفية فرض الصلاة في ليلة الإسراء

قال الكازروني اليماني: قال الواقدي: كان المسرى في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في السنة الثانية عشر من النبوة قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، وقيل ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب الى بيت المقدس، وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب، وقيل كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وشهرين، وذلك سنة ثلاث وخمسين من عام الفيل.

واختلفت الروايات في الاسراء، فقال أبو العباس: الأحاديث في المعراج كثيرة يحتمل انّه (ص) ليلة الاسراء كان في بيت أم هاني وهو بين الصفا والمروة، وفي بعض الروايات انّ البراق كانت واقفة بين الصفا والمروة فركبها ثم. ومَنْ روى انّه أسري به من بيته فانّه أضاف بيت أم هاني الى نفسه، لأنه كان بيت أبي طالب وكان (ص) تربّى فيه. ومَنْ روى أنه أسري به من المسجد الحرام ومسجد الكعبة فانّه أراد الحرام الذي هو مسجد، فيضاف الى الكعبة، فأضاف الكل الى الحرم، والحرم يجوز أن يطلق عليه اسم المسجد الحرام، قال الله تعالى ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحرامَ قِياماً لِلناس﴾[1] أريد به الحرم.

وقيل في المعراج: انّ الله تعالى أراد أن يشرق بأنوار محمد (ص) السماوات كما أشرق

---

(١) سورة الزخرف / الآية ٩٧.

ببركاته الأرضين، فسرى به الى المعراج. وقيل: سئل أبو العباس الدينوري: لِمَ أُسْرِيَ بالنبي أولاً الى بيت المقدس قبل أن عُرج به الى السماء؟ فقال: علم الله تعالى أن كفار قريش يكذبونه فيما يخبرهم به من أخبار السماء، فأراد أن يخبرهم بخبر من الأرض قد بلغوها وعاينوها وعلموا أنّ النبي (ص) لم يدخل بيت المقدس قط، فلمّا أخبرهم بأخبار بيت المقدس لم يمكنهم أن يكذبوه في أخبار السماء بعد أن صدقوه في أخبار الأرض.

واختلفوا في المعراج، والكتاب والسنّة ينطق أنَّ الله عزّ وجلّ أسرى بنبيه ﷺ في اليقظة على البراق حتّىٰ انتهى الى بيت المقدس وباب من أبواب بيت المقدس يعرف بباب المعراج وفيه الحلقة التي شدّ فيه جبريل البراق، ثمّ أُسري به الى السماء بجسده وروحه في اليقظة لا رؤياً. ومن قال غير ذلك فقد كذب وفجر وضلّ وردّ كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ... الخ.

قال الحلبي[1]: إعلم أنه لا خلاف في الاسراء به (ص)، إذ هو نص القرآن على سبيل الإجمال، وجاءت بتفصيله وشرح أعاجيبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين، واتفق العلماء على أن الاسراء كان بعد البعثة، أي الاسراء الذي كان بجسده (ص)، فلا ينافي حديث البخاري عن أنس بن مالك انّ الاسراء كان قبل أن يوحىٰ اليه (ص)، لأن ذلك كان في نومه بروحه، فكان هذا الاسراء توطئة له وتيسيراً عليه، كما كان بدء نبوته (ص) الرؤيا الصادقة.

وفي كلام الشيخ عبدالوهاب الشعراني: انّ اسراءاته (ص) كانت أربعاً وثلاثين واحدٌ بجسمه والباقي بروحه، وتلك الليلة التي كانت بجسمه (ص) كانت ليلة سبع عشرة، وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الأول، وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان، وقيل سبع وعشرين خلت من ربيع الآخر، وقيل من رجب، واختار هذا الأخير الحافظ عبدالغني المقدسي وعليه عمل الناس، وقيل في شوال، وقيل في ذي الحجة.

وفي كلام الشيخ عبدالوهاب ما يفيد أن إسراءاته (ص) كلها كانت في تلك الليلة التي وقع فيها هذا الخلاف، وذلك قبل الهجرة بسنة، وبه جزم ابن حزم وادّعى فيه الإجماع، وقيل

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٦٥.

بسنتين، وقيل ثلاث سنين.

وكل من الاسراء والمعراج كان بعد خروجه (ص) الى الطائف كما دل عليه السياق.

وعن ابن إسحاق: انّ ذلك كان قبل خروجه الى الطائف. وفيه نظر ظاهر.

واختلف في اليوم الذي يسفر عن ليلته: قيل الجمعة، وقيل السبت، وقال ابن دحية: يكون يوم الاثنين.

وقال الزيني دحلان[١]: إعلم أنه لا خلاف في الاسراء به (ص)، إذ هو نص القرآن على سبيل الإجمال، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين، ومن ثمّ حمل بعضهم اختلاف روايات الأحاديث على تعدد الاسراء وأنه وقع له (ص) ثلاث مرات أو أكثر، وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام. وكان (ص) لا يرى شيئاً في اليقظة إلّا بعد أن يريه الله إياه في المنام، فبعض تلك الاسراءات كانت في المنام سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر، وكان الاسراء بجسده وروحه سنة إحدى عشرة من البعثة، وقيل قبل الهجرة بسنة، قيل في شهر ربيع الأول، وقيل في رمضان، وقيل في شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس، وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره (ص) من الولادة والهجرة والوفاة، وقيل ليلة الجمعة.

وكان الاسراء الى بيت المقدس، والمعراج به (ص) الى السماوات ليطّلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾[٢] وإلّا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان.

وقال الشبلنجي[٣]: وفي السنة الثانية عشر من النبوة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب أُسري بالنبي (ص) وعُرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول.

قاله ابن الأثير والنووي في شرح مسلم، وقيل في ربيع الآخر قاله النووي في فتاويه،

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٤٤.

(٢) سورة الاسراء / الآية ١.

(٣) نور الأبصار ص ١٩.

وقيل في رجب وعليه العمل الآن، وقيل غير ذلك. وأمّا مناماً فوقع له ذلك ثلاثاً وثلاثين مرة على ما ذكره الشعراني.

وفرضت عليه الصلاة في تلك الليلة الصلوات الخمس، قيل كما هي الآن في عدد الركعات وهو الأصح، وقيل ركعتين ركعتين ثمّ فرض عام الهجرة بعدها إتمام الرباعية أربع والثلاثية ثلاثاً في الحضر، وكانت الصلاة أول الإسلام ركعتين بالغداة.

قال الحلبي: قبل طلوع الشمس، وركعتين بالعشي قال الحلبي قبل غروب الشمس ... الخ.

قال محمد بن سعد[١]: قالوا كان رسول الله (ص) يسأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلمّا كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ورسول الله (ص) نائم في بيته ظهراً أتاه جبريل وميكائيل فقالا: انطلق الى ما سألت الله، فانطلقا به الى ما بين المقام وزمزم، فأتى بالمعراج فاذا هو أحسن شيء منظراً، فعرجا به الى السماوات سماء سماء، فلقي فيها الأنبياء وانتهى الى سدرة المنتهى وأُريَ الجنة والنار.

قال رسول الله (ص): ولمّا انتهيت الى السماء السابعة لم أسمع إلّا صريف الأقلام، وفرضت الصلوات الخمس، ونزل جبريل فصلّى برسول الله (ص) الصلوات في مواقيتها.

وقال الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح: وعن عبدالله قال: لمّا أُسري برسول الله انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال ﴿إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[٢] قال: فراش من ذهب. قال: فأُعطي رسول الله (ص) ثلاثاً، أعطي الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أُمته شيئاً المقحمات. رواه مسلم.

وروى محمد بن سعد[٣] أيضاً عن جماعة انّهم قالوا: أُسري برسول الله ﷺ ليلة سبع

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٣.

(٢) سورة النجم / الآية ١٦.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٤.

عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب الى بيت المقدس، قال رسول الله (ص): حملت على دابة بيضاء ـ الى أن قال ـ فانتهى البراق الى موقفه الذي كان يقف فربطه فيه، وكان مربط الأنبياء قبل رسول الله (ص). قال: ورأيت الأنبياء جمعوا إليَّ، فرأيت إبراهيم وموسى وعيسى، فظننت أنه لا بد من أن يكون لهم إمام، فقدّمني جبريل حتّىٰ صلّيت بين أيديهم وسألتهم فقالوا: بعثنا بالتوحيد.

وقال بعضهم: فقد النبي (ص) تلك الليلة، فتفرقت بنو عبدالمطلب يطلبونه ويلتمسونه، وخرج العباس بن عبدالمطلب حتّىٰ بلغ ذا طوى، فجعل يصرخ يا محمد يا محمد، فأجابه رسول الله (ص): لبيك. قال: يا ابن أخي عييت قومك منذ الليلة فأين كنت؟ قال: أتيت من بيت المقدس. قال: في ليلتك؟ قال: نعم. قال: هل أصابك خير؟ قال: ما أصابني إلّا خير.

قال ابن هشام[١]: قال ابن إسحاق: ثمّ أُسري برسول الله (ص) من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها. وقال: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه (ص) عن عبدالله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة ومعاوية بن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأُم هاني بنت أبي طالب ... الخ.

وقال السيوطي في الخصائص الكبرى[٢]: قال الله تعالى ﴿سُبْحانَ الذي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[٣] الآية، ثمّ قال: اعلم أن الاسراء ورد مطولاً ومختصراً من حديث أنس وأبي بن كعب وبريدة وجابر بن عبدالله وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب وسهل بن سعد وشداد بن أوس وصهيب وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وعبدالله بن أسعد بن زرارة وعبدالرحمن بن قرط وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبي امامة وأبي أيوب الأنصاري وأبي حبة وأبي الحمراء وأبي ذر وأبي سعيد الخدري وأبي سفيان بن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٦.
(٢) الخصائص الكبرى ١ / ١٥٢.
(٣) سورة الاسراء / الآية ١.

حرب وأبي ليلى الأنصاري وأبي هريرة وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر وأم هاني وأم سلمة، وها أنا أسوق أحاديثهم على الترتيب المذكور ... الخ.

وقال ابن الأثير[١]: اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بسنة واحدة، واختلفوا في الموضع الذي أسري برسول الله ﷺ، فقيل كان نائماً في بيت أُم هاني بنت أبي طالب، وقائل هذا يقول الحرم كله مسجد، وقد روى حديث المعراج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة، قالوا: قال رسول الله (ص): أتاني جبريل وميكائيل فقالا: بأيّهم أمرنا. فقالا: أمرنا بسيدهم، ثمّ ذهبا ثمّ جاءا من قابلة. الى أن قال: ثمّ انحدرتُ أنا وجبريل الى مضجعي وكان كل ذلك في ليلة واحدة، فلمّا رجع الى مكة علم أن الناس لا يصدّقونه، فقعد في المسجد مغموماً، فمرّ به أبو جهل فقال كالمستهزىء: هل استفدت الليلة شيئاً. قال: نعم أُسري بي الليلة الى بيت المقدس. قال: ثمّ أصبحت بين ظهرانينا؟ فقال: نعم، فخاف أن يخبر بذلك عنه فيجحده النبي، فقال: أتخبر قومك بذلك؟ فقال: نعم. فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلمّوا، فأقبلوا فحدثهم النبي (ص) فمن بين مصدق ومكذّب ومصفق وواضع يده على رأسه، وارتدّ ناس ممن كان آمن به وصدّقه.

الى أن قالوا: فأخبرنا عن عيرنا. قال: مررت على عير بني فلان بالروحاء وقد أضلّوا بعيراً لهم وهم في طلبه، فأخذت قدحاً فيه ماء فشربته فاسألوهم عن ذلك، ومررت بعير بني فلان وفلان فرأيت راكباً وقعوداً بذي مر فنفر بكرهما منّي فسقط فلان فانكسرت يده فاسألوهما. قال: ومررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم مع طلوع الشمس، فخرجوا الى الثنية فجلسوا ينظرون طلوع الشمس ليكذبوه، إذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت، فقال آخر والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال فلم يفلحوا وقالوا: انّ هذا سحر مبين.

وقال الحلبي والزيني دحلان والعبارة له في السيرة النبوية[٢]: وفي رواية انّ كفار قريش لمّا

---

(١) الكامل لابن الأثير ١ / ٥١.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٤٦، السيرة الحلبية ١ / ٣٨٠.

أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له: ما آية ذلك يا محمد فانّا لم نسمع بمثل هذا قط، هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك، لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه. قال: آية ذلك انّي مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفر عيرهم حسن الدابة ـ يعنى البراق ـ فندلهم ـ أي شرد ـ بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام، ثمّ أقبلت حتّىٰ إذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثمّ غطّيت عليه كما كان، وفي رواية فعثرت الدابة ـ يعني البراق ـ فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه في القاقلة والمراد الوضوء اللغوي.

ثمّ قال (ص): وانتهيت الى عير بني فلان فنفرت من الدابة ـ يعني البراق ـ وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا. وفي رواية ثمّ انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء، فلمّا حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر، وأضلّوا بعيراً لهم قد جمعه فلان بدلالتي لهم عليه، فسلّمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد، فلمّا قدموا سألوهم عن ذلك فقالوا: كله صدق ... الخ.

قال الحلبي[1]: وفي حديث أبي سفيان قبل إسلامه لقيصر يحطّ من قدره ﷺ ألا أخبرك أيها الملك عنه خبراً تعلم منه أنه يكذب. قال: وما هو؟ قال: أنه يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة. فقال بطريق: أنا أعرف تلك الليلة. فقال له قيصر: ما علمك بها؟ قال: انّي كنت لا أبيت ليلة حتّىٰ أغلق أبواب المسجد، فلمّا كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد وهو الباب الفلاني غلبني، فاستعنت عليه بعمّالي ومن يحضرني فلم نقدر، فقالوا: انّ البناء نزل عليه فاتركوه الى الغد حتّىٰ يأتي بعض النجارين فيصلحه، فتركته مفتوحاً، فلمّا أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب ـ أي زيادة على ما كان عليه على ما تقدم ـ فإذا فيه أثر مربط الدابة أي

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٣٧١.

التي هي البراق ولم أجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق، فعلمت أنه انّما امتنع لأجل ما كنت أجده في العلم القديم أن نبياً يصعد من بيت المقدس الى السماء، وعند ذلك قلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلّا هذا الأمر.

وسيأتي ذلك عند الكلام على كتابه (ص) لقيصر.

ولا يخفى أن المراد بالصخرة الحجر الذي بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات، وهي: فأتى جبريل الصخرة التي في بيت المقدس فوضع إصبعه فيها فخرقها فشدّ البراق، لأن الذي في بابه يقال انّها فيه.

ولا يخفى انّ عدم انغلاق الباب انما كان آية وإلّا فجبريل لا يمنعه باب مغلق ولا غيره ... الخ.

وقال ابن كثير في التفسير[1]: والحق انّه (ص) أُسري به يقظة لا مناماً من مكة الى بيت المقدس راكباً البراق، فلمّا انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلّى في قبلته تحية المسجد ركعتين، ثمّ أتى بالمعراج وهو كالسلّم ذو درج يرقى فيها، فصعد فيه الى السماء الدنيا، ثمّ الى بقية السماوات السبع.

الى أن قال: اختلف الناس هل كان الاسراء ببدنه وروحه أو بروحه فقط على قولين، فالأكثرون من العلماء على أنه أُسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً، ولا ينكرون أن يكون رسول الله (ص) رأى قبل ذلك مناماً ثمّ رآه بعد يقظة، لأنه كان لا يرى رؤياً إلّا جاءت مثل فلق الصبح، والدليل على هذا قوله تعالى ﴿سُبحانَ الّذي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[2] الآية، فالتسبيح انّما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً، ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه، ولما ارتدت جماعة ممن كان أسلم، وأيضاً فانّ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال ﴿أسرى بعبده ليلاً﴾، وقد قال تعالى ﴿وَما

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٥.

(٢) سورة الاسراء / الآية ١.

جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلّا فِتْنَةً لِلنّاس﴾[١] قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله (ص) ليلة أسري به، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم. رواه البخاري.

وقال تعالى ﴿ما زاغَ البَصَرُ وَما طَغىٰ﴾[٢] والبصر من آلات الذات لا الروح، وأيضاً فانّه حمل على البراق وهو دابة بيضاء وبراقة لها لمعان وانّما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها الى مركب تركب عليه.

الى أن قال: قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه التنوير في مولد السراج المنير، وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس فتكلم عليه وأجاد وأفاد ثمّ قال: وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأُبي بن كعب وعبدالرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين وعبدالله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي امامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأُم هاني وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، منهم مَنْ ساقه بطوله ومنهم مَنْ اختصره على ما وقع في المسانيد وإنْ لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿يُرِيدونَ لِيُطْفِئوا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِم واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون﴾[٣].

قال علاء الدين الخازن في التفسير: اختلف الناس في الاسراء برسول الله ﷺ، فقيل انّما كان ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسري بروحه وجسده، ويدل عليه قوله ﴿سُبحانَ الَّذِي أَسرىٰ بِعَبدِهِ لَيلاً﴾[٤]، ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، والأحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها ... الخ.

وقال عبدالله بن أحمد أبو البركات في التفسير: وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة، وكان في

---

(١) سورة الاسراء / الآية ٦٠.
(٢) سورة النجم / الآية ١٧.
(٣) سورة الصف / الآية ٨.
(٤) سورة الاسراء / الآية ١.

اليقظة، وعن عائشة انّها قالت والله ما فقد جسد رسول الله (ص) لكن عرج بروحه، وعن معاوية مثله. وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم.

وقال النيسابوري في التفسير[١]: واعلم أن الأكثرين من علماء الإسلام اتفقوا على أنه أُسري بجسد رسول الله (ص) والأقلّون على أنه ما أُسري إلّا بروحه ... الخ.

وقال أبو السعود في التفسير[٢]: واختلف أيضاً أنه في اليقظة أو في المنام، فعن الحسن أنه كان في المنام، وأكثر الأقاويل بخلافه، والحق أنه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها. واختلف أيضاً أنه كان جسمانياً أو روحانياً، فعن عائشة أنها قالت: ما فقد جسد رسول الله (ص) ولكن عرج بروحه، وعن معاوية أنه قال: انّما عرج بروحه، والحق أنه كان جسمانياً على ما ينبيء عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب. فانَّ الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة، ولذلك تعجبت منه قريش وأحالوه، ولا استحالة فيه فانّه قد ثبت في الهندسة ... الخ.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في التفسير[٣]: (المسألة الثانية) اختلف في كيفية ذلك الاسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أُسري بجسد رسول الله (ص)، والأقلّون قالوا أنه ما أُسري إلّا بروحه، حكي عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال: ذلك رؤيا وانّه ما فقد جسد رسول الله (ص) وانّما أُسري بروحه، وحكى هذا القول أيضاً عن عائشة وعن معاوية.

واعلم أن الكلام في هذا الباب يقع في مقامين: أحدهما في إثبات الجواز العقلي، والثاني في الوقوع:

أمّا المقام الأول ـ وهو إثبات الجواز العقلي فنقول: الحركة الواقعة في السرعة الى هذا الحد ممكنة في نفسها، والله تعالى قادر على جميع الممكنات، وذلك يدل على أن حصول الحركة في

---

(١) غرائب القرآن ١٥ / ٥.
(٢) تفسير أبي السعود ٥ / ١٥٥.
(٣) تفسير الرازي ٢ / ١٤٧.

هذا الحد من السرعة غير ممتنعة، فنفتقر هيهنا الى بيان مقدمتين: المقدمة الأولى في إثبات انّ الحركة الواقعة الى هذا الحد ممكنة في نفسها، ويدل عليه وجوه:

الأول ـ انّ الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل الى آخره ما يقرب من نصف الدور، وقد ثبت في الهندسة أن نسبة القطر الواحد الى الدور نسبة الواحد الى ثلاثة وسبع، فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر الى نصف الدور نسبة الواحد الى ثلاثة وسبع، وبتقدير أنْ يقال انّ رسول الله (ص) ارتفع من مكة الى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك الّا بمقدار نصف القطر، فلمّا حصل في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان. فهذا برهان قاطع على أن الارتفاع من مكة الى ما فوق العرش في مقدار ثلث من الليل أمر ممكن في نفسه، وإذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أولى بالإمكان.

الوجه الثاني ـ وهو أنه ثبت في الهندسة أن قرص الشمس يساوي كرة الأرض مائة وستين مرة، ثمّ انّا نشاهد أن طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع، وذلك يدل على انّ بلوغ الحركة في السرعة الى حد المذكور ممكن في نفسه.

الوجه الثالث ـ أنه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى ما فوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش الى مركز العالم، فإنْ كان القول بمعراج محمد (ص) في الليلة الواحدة ممتنعاً في العقول كان القول بنزول جبريل من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعاً، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعناً في نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام، والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة، فثبت أن القائلين بامتناع حصول حركة سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول متناع نزول جبريل في اللحظة من العرش الى مكة، ولمّا كان ذلك باطلاً كان ما ذكروه أيضاً باطلاً.

فإنْ قالوا: نحن لا نقول: انّ جبريل جسم ينتقل من مكان الى مكان، وانّما نقول المراد من نزول جبريل هو زوال الحجب الجسماني عن روح محمد (ص) حتّىٰ يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضراً متجلياً في ذات جبريل.

قلنا: تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء، فأمّا جمهور المسلمين فهم مقرّون بأنّ

جبريل جسم وانّ نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الأفلاك الى مكة، وإذا كان كذلك كان الالزام المذكور قوياً.

الى أن قال:

الوجه الخامس ـ انّه جاء في القرآن انّ الرياح كانت تسير بسليمان (ع) الى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة، قال تعالى في صفة مسير سليمان ﴿غُدُوّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْر﴾[1] بل نقول الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان الى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة، وذلك يدل أيضاً على أن مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة.

الوجه السادس ـ انّ القرآن يدل على أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن الى أقصى الشام في مقدار لمح البصر، بدليل قوله تعالى ﴿قالَ الّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتاب﴾[2] الآية، وإذا كان ممكناً في حق بعض الناس علمنا أنه في نفسه ممكن الوجود.

(المقدمة الثانية) في بيان أن هذه الحركة لمّا كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب أن لا يكون حصولها في جسد محمد (ص) ممتنعاً والذي يدل عليه:

انّا بيّنّا بالدلائل القطعية أن الأجسام متماثلة في تمام ماهياتها، فلمّا صحّ حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الأجسام وجب إمكان حصولها في سائر الأجسام، وذلك يوجب القطع بأن حصول مثل هذه الحركة في جسد محمد (ص) أمر ممكن الوجود في نفسه.

إذا ثبت هذا فنقول: ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت حصول الحركة البالغة في السرعة الى هذا الحد في جسد محمد (ص) ممكن، وحينئذ يلزم من مجموع هذه المقدمات أن القول بثبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه. أقصى ما في الباب أنه يبقى التعجب، إلّا أن هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام، بل هو حاصل في جميع المعجزات، فانقلاب العصا ثعباناً تبلعُ سبعين ألف حبل من الحبال والعصي ثمّ تعود في الحال عصاً صغيرة كما كانت أمر عجيب، وخروج الناقة العظيمة من الجبل الأصمّ وإظلال الجبل

---

(١) سورة سبأ / الآية ١٢.

(٢) سورة النمل / الآية ٤٠.

العظيم في الهواء عجيب، وكذا القول في جميع المعجزات. فإنْ كان مجرد التعجب يوجب الانكار والدفع لزم الجزم بفساد القول بإثبات المعجزات، وإثبات المعجزات فرع على تسليم أصل النبوة وإنْ كان مجرد التعجب لا يوجب الإنكار والإبطال فكذا هاهنا. فهذا تمام القول في بيان أن القول بالمعراج ممكن غير ممتنع.

المقام الثاني: في البحث عن وقوع المعراج.

قال أهل التحقيق: الذي يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمد (ص) وجسده من مكة الى المسجد الأقصى القرآن والخبر:

أمّا القرآن فهو هذه الآية، وتقرير الدليل أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح، فوجب أن يكون الاسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح.

الى أن قال: والدليل عليه قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الذي يَنْهىٰ * عَبْداً إذا صَلّىٰ﴾[١]، ولا شك أن المراد من العبد هاهنا مجموع الروح والجسد. وقال أيضاً ﴿وأَنَّهُ لَـمّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُون عَلَيْهِ لِبَداً﴾[٢] والمراد مجموع الروح والجسد فكذا ها هنا.

وأمّا الخبر فهو الحديث المروي في الصحاح وهو مشهور، وهو يدل على أن الذهاب من مكة الى بيت المقدس ثمّ منه الى السماوات.

الى أن قال: أمّا العروج الى السماوات والى ما فوق العرش فهذه الآية لا تدل عليه، ومنهم مَن استدل بأول سورة والنجم، ومنهم من استدل بقوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق﴾[٣] ... الخ.

وقال أبو السعود والقاضي البيضاوي والعبارة للقاضي في التفسير[٤]: والأكثر على أنه أسرى بجسده الى بيت المقدس ثمّ عرج به الى السماوات حتّىٰ انتهى الى سدرة المنتهى، ولذلك تعجبت منه قريش وأحالوه، ولا استحالة فيه، فانّه ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص

---

(١) سورة العلق / الآية ٩ ـ ١٠.

(٢) سورة الجن / الآية ١٩.

(٣) سورة الانشقاق / الآية ١٩.

(٤) تفسير أبي السعود ٥ / ١٥٥، أنوار التنزيل ١ / ٥٧٦.

الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة، ثمّ انّ طرفها الأسفل يصل الى موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية. وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض، وانّ الله قادر على كل الممكنات، فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي (ص) أو فيما يحمله، والتعجب من لوازم المعجزات وظهورها.

وقال الطبري في التفسير[1]: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: انّ الله أسرى بعبده محمد (ص) من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ص) انّ الله حمله على البراق حتّىٰ أتاه به وصلّى هنالك بمن صلّى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات.

ولا معنى لقول مَن قال أُسري بروحه دون جسده (ص)، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته (ص) ولا حجة على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم وعند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل.

وبعد فان الله انّما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبر أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره ... الخ.

وقال العلّامة الشيخ محمد رضا في كتابه المسمّى بمحمد (ص): واختلف في كيفية الاسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أُسري بجسد رسول الله (ص) والأقلون قالوا أنه ما أُسري إلّا بروحه. الى أن قال: وحكي هذا القول أيضاً عن عائشة وعن معاوية، وحديث عائشة ليس بثابت، لأنها لم تكن حينئذ زوجته.

قال النسفي: وكان الاسراء في اليقظة، وعن عائشة انّها قالت: والله ما فقد جسد رسول الله (ص) ولكن عُرج بروحه، وعن معاوية مثله. وعلى الأول الجمهور، إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم.

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ١٣.

أقول: ومما قدّمناهُ من كلمات القوم ظهر أن الخلاف في المعراج واقع بينهم، وانّ الأكثر منهم قائلون بعروجه (ص) بجسده الشريف، والأقل منهم قد اختاروا خلافه، لكن ظاهر عبارة التحفة ما يوهم عدم الخلاف، ولذا نسب الخلاف الى الإمامية وانّ أكثرهم قائلون بعدم عروجه (ص) بجسده الشريف، مع أن الناظر فيما أسلفناه من كلماتهم يقطع بخلافهم في ذلك.

وأمّا ما نسب الى الإمامية بأنّ أكثرهم قائلون بعدم عروجه جسماً، فهو افتراء محض وبهتان عظيم، لأن المسألة بين الإمامية من المسائل الإتفاقية، وقول شرذمة قليلة ممن انتحلت الى الشيعة ساقط عن الإعتبار، لأنهم ليسوا من الإمامية، فلذلك تبرأنا منهم كما تبرؤا منا.

والذي أظن أن هذا الخلاف انّما نشأ من القوم بين بعض الفرق المنتحلة الى الشيعة، لأن الإمامية يأخذون معالم دينهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وصاحب التحفة قد اعترف فيها بأن كتب الإمامية مشحونة من كلام الائمة في ذلك يعني المعراج الجسماني، ومع ذلك قال: وخالفت أكثر فرق الشيعة في هذه المسألة. سبحانك هذا بهتان عظيم.

فاللازم ذكر بعض كلمات علمائنا الأعلام واخبارهم في ذلك ليتضح الأمر ويظهر افتراء صاحب التحفة وكذبه:

روى محمد بن يعقوب الكليني في الكافي[1] باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا عُرج برسول الله (ص) انتهى به جبرئيل الى مكان فخلى عنه، فقال له: يا جبرئيل أتخليني على هذه الحالة؟ فقال: امضه فو الله لقد وطيت مكاناً ما وطأ بشر وما مشى فيه بشر قبلك.

وباسناده[2] أيضاً عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أبا عبدالله (ع) وأنا حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله؟ فقال: مرتين، فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال: مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قط ولا نبي ... الخ.

وروى رئيس المحدّثين محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالصدوق في كتاب علل

---

(١) الكافي ١ / ٣٦٧.

(٢) الكافي ١ / ٣٦٧.

الشرائع[١] باسناده عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك. قلت: فَلِمَ أسرى بنبيه محمد (ص) الى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه. قلت: فقول الله عز وجل ﴿دَنى فَتَدَلّىٰ * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ﴾[٢] قال: ذلك رسول الله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ثمّ تدلى فنظر من تحته الى ملكوت الأرض حتّىٰ ظن انّه في القرب الى الأرض كقاب قوسين أو أدنى.

وباسناده[٣] عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: لأي علة عرج الله بنبيه (ص) الى السماء ومنها الى سدرة المنتهى ومنها الى حجب النور وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان؟ فقال: انّ الله لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان، ولكنه عزّ وجلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقوله المشبهون. سبحان الله عمّا يصفون.

وروى الطبرسي في الاحتجاج[٤] عن ابن عباس قال: خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود قالوا: انطلقوا بنا الى هذا الكاهن الكذّاب حتّىٰ نوبخه ونكذبه فانّه يقول: أنا رسول رب العالمين، وكيف يكون رسول وآدم خير منه .الى أن قال: قالت اليهود: موسى خير منك. قال النبي (ص): وَلِمَ. قالوا: لأن الله عزّ وجلّ كلّمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء. فقال النبي (ص): لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك. قالوا: وما ذاك؟ قال: هو قوله عزّ وجلّ ﴿سُبْحانَ الذي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ الى المَسْجِدِ الأَقْصىٰ الذي بارَكْنا حَوْله﴾[٥] وحملت على جناح جبرئيل حتّىٰ انتهيت الى السماء السابعة، وجاوزت سدرة

---

(١) علل الشرائع ١ / ١٣١.
(٢) سورة النجم / الآية ٩.
(٣) علل الشرائع ١ / ١٣٢.
(٤) الاحتجاج ١ / ٤٨.
(٥) سورة الاسراء / الآية ١.

المنتهى عندها جنة المأوى حتّىٰ تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: انّي أنا الله لا إله إلّا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤوف الرحيم، ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك. قالت اليهود: صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة.

قال علي بن إبراهيم القمي في التفسير[١]: فحكى أبي عن محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله (ع) قال: جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق الى رسول الله (ص) فأخذ واحد باللجام وواحد بالركاب وسوّى الآخر عليه ثيابه ... الخ.

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي في التفسير[٢]: وروت أُم هاني بنت أبي طالب: انّ النبي (ص) كان في منزلها ليلة أسري به، وقال الحسن وقتادة كان في نفس المسجد الحرام، وروى عن أُم هاني انّ الحرم كله مسجد. والمسجد الأقصى هو بيت المقدس وهو مسجد سليمان بن داود في قول الحسن وغيره من المفسرين، وانّما قيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام.

وقال الحسن: صلّى النبي (ص) المغرب في المسجد الحرام، ثمّ أُسري به الى بيت المقدس في ليلته، ثمّ رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام، فلمّا أخبر به المشركون كذبوا ذلك وقالوا: يسير مسيرة شهر في ليلة واحدة، وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه، فوصفه لهم شيئاً شيئاً بما يعرفونه، ثمّ أخبرهم أنه رأى في طريقه قعباً مغطاً مملواً ماء فشرب الماء كله ثمّ غطاه كما كان، ووصف لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع، فقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس.

الى أن قال: وعند أصحابنا وأكثر أصحاب التأويل وذكره الجبائي أيضاً أنه (ص) عرج به في تلك الليلة الى السماوات حتّىٰ بلغ سدرة المنتهى في السماء السابعة، وأراه الله من آيات السماوات والأرض ما ازداد به معرفة ويقيناً، وكان ذلك في يقظته دون منامه، والذي يشهد به القرآن ... الخ.

---

(١) تفسير القمي ٢ / ٣.

(٢) التبيان ٦ / ٤٤٦.

وقال العلّامة الطبرسي في مجمع البيان[١]: قيل نزلت الآية في إسرائه (ص) وكان ذلك بمكة، صلّى المغرب في المسجد الحرام ثمّ أُسري به في ليلته ثمّ رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام. فأمّا الموضع الذي أسرى اليه أين كان، فان الاسراء الى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم، وما قاله بعضهم أن ذلك كان في النوم فظاهر البطلان، إذ لا معجز يكون فيه ولا برهان، وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج وعروج نبينا (ص) الى السماء، رواها كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وأنس وجابر بن عبدالله وحذيفة وعائشة وأم هاني وغيرهم عن النبي (ص) وزاد بعضهم ونقص بعضهم، وينقسم جملتها الى أربعة أوجه:

أحدها ـ ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به وإحاطة العلم بصحته.

وثانيها ـ ما ورد في ذلك مما يجوزه العقول ولا تأباه الاصول، فنحن نجوزه ثمّ نقطع الى أن ذلك كان في يقظته دون منامه.

وثالثها ـ ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأصول، إلّا أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول، فالأولى أن نأوله على ما يطابق الحق والدليل.

ورابعها ـ ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله إلّا على التعسف البعيد، فالأولى أن لا نقبله.

فأما الأول المقطوع به فهو أنه أُسري به على الجملة، وأمّا الثاني فمنه ما روي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش وسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك، وأمّا الثالث فنحو ما روي أنه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذبون فيها، فيحمل على أنه رأى صفتهم أو أسمائهم، وأمّا الرابع فنحو ما روى أنه (ص) كلّم الله سبحانه جهرة ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه، والله سبحانه يتقدس عن ذلك وكذلك ما روى أنه (ص) شقّ بطنه وغسل، لأنه كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب.

وقال العلاّمة المجلسي في الرسالة الاعتقادية[٢]: ويجب عليك أن تقرّ بالمعراج الجسماني،

---

(١) مجمع البيان ٣ / ٣٩٥.

(٢) الاعتقادات للمجلسي ص ٧٨.

وانّه عرج ببدنه الشريف وتجاوز عن السماوات، ولا تصغ الى شبه الحكماء في نفي الخرق والالتيام على الأفلاك، فانّها واهية ضعيفة، والمعراج من ضروريات الدين وإنكاره كفر.

هذه جملة من الأحاديث المروية عن الأئمة التي رواها مشايخ الإمامية بأسانيدهم المعتبرة في باب المعراج، وكذا جملة من كلماتهم في ذلك، ومن أراد الإطلاع على أزيد مما نقلناه عنهم فعليه المراجعة بكتبهم المعتمدة المعدة لنقل أخبار المعراج واعتقاد مشايخهم في ذلك الباب ليتضح له حقيقة الحال ويعلم أن ما نسب اليهم صاحب التحفة وغيره إفك عظيم وانّ الإمامية بريئون مما نسب اليهم ومن الفرق الباطلة المنتحلة الى الشيعة.

والمتتبع المنصف إذا نظر الى ما نقله صاحب التحفة عن الإمامية يقطع بأنه معاند للحق، لأن ما نقله فيها من العقائد الفاسدة فمعلوم أنها مأخوذة من كتب الفرق الباطلة التي تعد عند الإمامية من الكتب الضالّة، ولذا يحكمون بحرمة بيعه وشرائه وحفظه، بل يحكمون بإتلافه وإبطاله.

وأمّا ما نقله فيها من الروايات فهي روايات معرضة عنها عند الإمامية وإن نقلها مشايخ الإمامية في كتبهم المعتمدة، لأن نقلهم لها لا يدل على اعتمادهم بها، بل كان غرضهم ضبط الأخبار وجمعها، فلذا يبحثون عنها وقد قسموها بأقسام عديدة: فمنها ضعيفة، ومنها حسنة، ومنها مرسلة، ومنها مضمرة، ومنها مرفوعة، ومنها صحيحة، الى غير ذلك من أقسام الحديث، ثمّ يبحثون عن دلالتها وجهة صدورها على فرض صحة السند، ولذا لا يعتمدون على أكثرها للخلل الكائنة فيها.

وصاحب التحفة نقل عن الكليني والصدوق وشيخ الطائفة وغيرهم ثمّ يورد عليهم الاعتراضات، مع أن كتبهم مشحونة منها، فلذا يردّونها تارة بضعف السند وجهالة الراوي وانّ الحديث الفلاني موضوع وإن ذكرها البخاري ومسلم وغيرهما.

وأمّا مسألة الخلافة التي من أجلها قد صنف التحفة فهي من المسائل التي كانت محل الخلاف من الصدر الأول الى الآن، فالإمامية يعتقدون أن الخليفة والأولى بالتصرف في الناس منهم بعد النبي (ص) علي بن أبي طالب (ع)، والقوم يزعمون أن الخليفة هو ابن

أبي قحافة ودليل الإمامية الكتاب والسنّة المتواترة وإن أعرضوا عنها تارة وأوّلوها بتأويلات بعيدة أُخرى وحكموا بموضوعية بعضها الأُخرى.

(فـوائـد)

الأولى ـ ذكر المفسرون أن سرى به وأسرى به لغتان فيه، وانّهما بمعنى واحد.

الثانية ـ ذكر أكثر المفسرين أن التنكير في لفظ الليل للدلالة على التقليل، وانّ الاسراء به كان في بعض الليل، وقيل انّ المراد منه تأكيد معنى الاسراء، وقيل انّ المراد منه أن الاسراء به كان في ليل من الليالي ولم يكن أزيد من ليلة واحدة وهذا القول إشارة الى رد من قال بأن الاسراء به كان أزيد من ليلة واحدة، ومن قال بأن الاسراء به كان في ليلة والمعراج في ليلة أُخرى.

وقال الحلبي[1]: ومما يؤيد انّهما كانا في ليلة واحدة قول الإمام البخاري في صحيحه، وهو أن فرض الصلوات الخمس كان في ليلة الاسراء. ثمّ قال الحلبي: لأن من المعلوم أن فرض الصلوات الخمس انّما هو في المعراج، وأمّا إفراده كلاً من الاسراء والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك، لأن كلاً منهما يشتمل على قصة منفردة وإن كانا وقعا معاً.

وقد خالف الدمياطي في سيرته، فذكر أن المعراج كان في رمضان والاسراء كان في ربيع الأوّل. والله أعلم، وقيل الاسراء وقع له (ص) بعد البعثة مرتين مناماً أوّلاً ويقظة ثانياً، فكانت مرة المنام توطئة وتبشيراً لوقوعه يقظة، وبذلك يجمع بين الإختلاف الواقع في الأحاديث، فبعض الرواة خلط الواقع له (ص) مناماً بالواقع له يقظة.

الى أن قال: وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن ليلاً، ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة، وكان نهاراً فقد جاء انّه (ص) كان يسأل ربه عزّ وجلّ أن يريه الجنة والنار، فلمّا كان نائماً ظهراً أتاه جبريل وميكائيل فقالا انطلق الى ما سألت الله تعالى، فانطلقا بي الى ما بين المقام وزمزم، فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً، فعرجا بي الى السماوات سماء سماء. الحديث.

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٤١٢.

الفائدة الثالثة ـ قال الحلبي: وفي زين القصص كان زمن ذهابه (ص) ومجيئه ثلاث ساعات، وقيل أربع ساعات، وقيل غير ذلك.

أقول: والذي يظهر من كلام الإمام فخر الدين الرازي وغيره أن المعراج كان في تمام الليل لا ثلثه أو نصفه، بل كان ذهابه وإيابه (ص) في ليلة واحدة بتمامها.

بيعة العقبة وإسلام الأنصار

قال الشبلنجي[1]: وفي السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار، روي انّ رسول الله (ص) كان يخرج ويتبع آثار الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في المواسم ويقول: من يؤويني، من ينصرني حتّىٰ أبلغ رسالة ربي فله الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتّىٰ أنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردّونه أقبح ردّ ويؤذونه ويقولون: قومك أعلم بك. الى أن أراد الله إظهار دينه فساقه (ص) الى هذا الحي من الأنصار وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبي (ص) وكانوا يسمّون أولاد قبيلة الأوس والخزرج، فلقي في منى بعض الخزرج عند العقبة التي بجنب منى، فقال: من أنتم؟ قالوا: من الخزرج. قال: أفلا تجلسون أكلمكم، فجلسوا فدعاهم الى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته، لأن يهود المدينة كانوا يقولون لهم انّ نبيّاً يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه. فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه، وأسلم منهم ستة، فقال لهم: تمنعون ظهري حتّىٰ أبلغ رسالة ربي؟ فقالوا: ندعوا قومنا الى ما دعوتنا اليه فإن أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم في العام القابل. وأمر بالكتمان عن أهل مكة، فلمّا وصلوا المدينة لم يبق فيها دار إلّا وفيها ذكره.

ثمّ في العام الثاني لقيه إثنا عشر، خمسة من الستة الأول والبقية من الخزرج أيضاً إلّا رجلين من الأوس، وهذه هي العقبة الثانية، فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثمّ رجعوا

---

(١) نور الأبصار ص ١٨.

وأظهر الله الإسلام فيهم.

وكان أسعد بن زرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم، ثمّ أرسلوا يطلبون من يعلّمهم القرآن، فأرسل اليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه جمع كثير، منهم سيّد الأوس سعد بن معاذ وأسيد بن خضير، وأسلم بنو عبد الأشهل كلهم في يوم واحد رجالاً ونساء.

ثمّ قدم في العام الثالث في الموسم نحو سبعين رجلاً، وهي العقبة الثالثة، فبايعهم على أن يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود، وحضر العباس وأكّد عليهم صدق الحديث.

وقال الصبان[1]: ثمّ صار يعرض نفسه في كل موسم على قبائل العرب ويدعوهم الى الله تعالى ويطلب منهم أن يؤووه وينصروه ويمنعوه قريشاً من تظاهرهم عليه، فيعرضون عنه، فبينا هو كذلك في بعض المواسم عند عقبة الجمرة سنة إحدى عشرة من النبوة إذ لقى رهطاً من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيراً فكلّمهم ودعاهم الى الله تعالى، فأجابوه وانصرفوا راجعين الى بلدهم من غير مبايعة، وهؤلاء أهل العقبة الأولى، وكانوا ستة وقيل ثمانية.

فلمّا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار إثنا عشرة رجلاً إثنان من الأوس وعشرة من الخزرج، منهم خمسة من أهل العقبة الأولى، فبايعهم ـ أي عاهدهم ـ رسول الله (ص) عند العقبة على الإسلام وعلى أن يؤووه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، ثم انصرفوا راجعين الى بلدهم، وهؤلاء هم أهل العقبة الثانية. وبعث رسول الله (ص) الى المدينة عبدالله بن أُم مكتوم ومصعب بن عمير يعلّمان من أسلم القرآن ويدعوان من لم يسلم الى الإسلام.

وفي بعض الروايات الإقتصار على ذكر مصعب، وكان مصعب يؤمّ بهم وجمع بهم أول جمعة في الإسلام حين بلغ المسلمون منهم أربعين رجلاً بإرساله (ص) اليه بالتجمع.

قال أبو حامد: ولم يفعلها بمكة مع فرضها وهو بمكة لعدم التمكن من فعلها بها.

ثمّ قال: وقال الحلبي: ولم يؤمر بها مصعب عند إرساله الى المدينة لعدم وجود شرطها من

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٢٣.

العدد المذكور حينئذ، وفشا الإسلام بالأنصار وأسلم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج.

وفي هذا العام ـ وهو سنة إثنتي عشرة من النبوة ـ أُسري بالنبي (ص) الى المسجد الأقصى، فأمّ بالأنبياء وعرج به الى السماوات فما فوق يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول.

الى أن قال: ثمّ سنة ثلاث عشرة من النبوة رجع مصعب بن عمير الى مكة وخرج من خرج من مسلمي الأنصار الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، فلمّا قدموا مكة واعدوا رسول الله (ص) العقبة وسط أيام التشريق، فلمّا كانت ليلة الميعاد ذهبوا ينتظرونه، فجاءهم وبايعهم على الإسلام على أن يؤووه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وجعل منهم إثني عشر نقيباً ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج، وهؤلاء هم أهل العقبة الثالثة، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، منهم أحد عشر من الأوس والباقي من الخزرج.

فلمّا تمّت بيعة هؤلاء لرسول الله (ص) وكانت سرّاً عن كفار قومهم وكفار قريش، صاح الشيطان: يا معشر قريش هؤلاء بنو الأوس والخزرج تحالفوا مع محمد على قتالكم، فأسرع الأنصار الى رحالهم وجاءت قريش الى شعب الأنصار يلومونهم على ذلك، فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء، ثمّ نفر الناس من منى وبحثت قريش عن الخبر، فلمّا تحققوه اقتفوا آثارهم فلم يدركوا إلّا سعد بن عبادة والمنذر بن عمر، فأمّا سعد فأُمسك وعذب ثمّ أنقذه الله تعالى، وأمّا المنذر فأفلت ... الخ.

وقال محمد بن سعد[1]: قالوا أقام رسول الله (ص) بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتّىٰ يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة، فليست قبيلة من العرب تستجيب له ويؤذى ويشتم حتّىٰ أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز ما وعده، فساقه الى هذا الحي من الأنصار لما أراد الله بهم من الكرامة، فانتهى الى نفر

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢١٧.

منهم وهو يحلقون رؤوسهم، فجلس اليهم فدعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله (ص) فأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا، وكانوا والله أطول الناس ألسنة وأحدّهم سيوفاً فاختلف علينا في أول من أسلم من الأنصار وأجاب، فذكروا الرجل بعينه وذكروا الرجلين، وذكروا أنه لم يكن أحد أول من الستة، وذكروا أول من أسلم ثمانية نفر وكتبنا كل ذلك، وذكروا أن أول من أسلم من الأنصار أسعد بن زرارة وذكوان بن عبدقيس خرجا الى مكة يتنافران الى عتبة بن ربيعة فقال لهما: قد شغلنا هذا المصلّي عن كل شيء، يزعم أنه رسول الله.

قال: وكان أسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان متكلمان بالتوحيد بيثرب فقال ذكوان بن عبدقيس لأسعد بن زرارة حين سمع كلام عتبة: دونك هذا دينك فقاما الى رسول الله (ص) فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثمّ رجعا الى المدينة، فلقي أسعد أبا هيثم بن التيهان فأخبره بإسلامه وذكر له قول رسول الله (ص) وما دعا اليه، فقال أبو الهيثم: فأنا أشهد معك أنه رسول الله.

ويقال: انّ رافع بن مالك الزرقي ومعاذ بن عفراء خرجا الى مكة معتمرين فذكر لهما أمر رسول الله (ص) فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما، فكانا أول من أسلم وقدما المدينة، فأول مسجد قُرىء فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زريق.

ويقال: انّ رسول الله (ص) خرج من مكة فمرّ على نفر من أهل يثرب نزول بمنى ثمانية نفر منهم من بني النجار معاذ بن عفراء وأسعد بن زرارة، ومن بني زريق رافع بن مالك وذكوان بن عبدقيس، ومن بني سالم عبادة بن الصامت وأبو عبدالرحمن يزيد بن ثعلبة، ومن بني عبدالأشهل أبو الهيثم بن التيهان حليف لهم، ومن بني عمرو بن عوف عويم بن ساعدة فعرض عليهم رسول الله (ص) الإسلام فأسلموا، وقال لهم رسول الله: تمنعون لي ظهري حتّىٰ أبلغ رسالة ربي. فقالوا: يا رسول الله نحن مجتهدون لله ولرسوله نحن فاعلم أعداء متباغضون، وانّما كانت وقعة بعاث عام الأول يوم من أيامنا اقتتلنا فيه، فإن تقدم ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا حتّىٰ نرجع الى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وموعدك العام المقبل.

ويقال: خرج رسول الله (ص) في الموسم الذي لقي فيه الستة النفر من الأنصار فوقف عليهم فقال: أحلفاء يهود؟ قالوا: نعم، فدعاهم الى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فأسلموا وهم من بني النجار أسعد بن زرارة. الى أن قال: ثمّ قدموا الى المدينة فدعوا قومهم الى الإسلام، فأسلم من أسلم ولم يبق دار من دور الأنصار إلّا فيها ذكر من رسول الله (ص).

ثمّ قال: لمّا كان العام المقبل من العام الذي لقي فيه رسول الله (ص) النفر الستة لقيه إثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام، وهي العقبة الأولى. الى أن قال: فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف. قال (ص): فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشى من ذلك شيئاً كان أمره الى الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه. ولم يفرض يومئذ القتال.

ثمّ انصرفوا الى المدينة فأظهر الله الإسلام، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم، وكتبت الأوس والخزرج الى رسول الله (ص): ابعث الينا مقرئاً يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري فنزل على أسعد بن زرارة فكان يقرئهم القرآن.

وروى بعضهم: انّ مصعباً كان يجمع بهم، ثمّ خرج مع السبعين حتّىٰ وافوا الموسم مع رسول الله (ص)، ثمّ قال: لمّا حضر الحج مشى أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا بعضهم الى بعض يتواعدون الى الحج وموافاة رسول الله، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين في خمر ـ أي جماعة ـ الأوس والخزرج وهم خمسمائة، حتى قدموا على رسول الله (ص) مكة فسلّموا على رسول الله ثمّ وعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل أن يوافوا في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة حيث المسجد اليوم، وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غائباً. وخرج القوم بعد هدأة يتسللون ـ أى ينصرفون في خفاء سريعاً ـ الرجل والرجلان، وقد سبقهم رسول الله ﷺ الى ذلك الموضع معه العباس بن عبدالمطلب ليس معه أحد غيره، فكان أول من طلع على رسول الله (ص) رافع بن مالك الزرقي، ثمّ توافى السبعون ومعهم امرأتان.

قال أسعد بن زرارة: فكان أول من تكلم العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا معشر الخزرج أنكم قد دعوتم محمداً الى ما دعوتم اليه ومحمد من أعز الناس في عشيرته، والله منّا من كان على قوله ومن لم يكن منّا على قوله يمنعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارتاؤوا رأيكم وأتمروا أمركم ولا تفترقوا إلّا عن ملاء منكم واجتماع، فانّ أحسن الحديث أصدقه فقال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت، وَإنّا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنّا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله قال: تلى رسول الله (ص) عليهم القرآن ثمّ دعاهم الى الله ورغّبهم في الإسلام وذكر الذي اجتمعوا له، فأجابه البراء بن معرور بالإيمان والتصديق، ثمّ قال: يا رسول الله بايعنا فنحن أهل الحلقة ـ مطلق السلاح أو خصوص الدرع ـ ورثناها كابراً عن كابر.

ويقال: انّ أبا الهيثم بن التيهان كان أول من تكلّم وأجاب الى ما دعى اليه رسول الله (ص) وصدقه وقالوا: نقبله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ولغطوا ـ من اللغط وهو صوت وضجة لا يفهم معناه ـ فقال العباس بن عبدالمطلب وهو آخذ بيد رسول الله: خفوا جرسكم ـ أي صوتكم ـ فَإنّ علينا عيوناً، وقدّموا ذوي أسنانكم فيكونون هم الذين يلون كلامنا منكم، فإنّا نخاف قومكم عليكم ثمّ إذا بايعتم فتفرقوا الى محالّكم. فتكلم البراء بن معرور، فأجاب العباس بن عبدالمطلب، ثمّ قال: أبسط يدك يا رسول الله (ص)، فكان أول من ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور. ويقال أول من ضرب على يده أبو الهيثم بن التيهان، ويقال أسعد بن زرارة، ثمّ ضرب السبعون كلهم على يده وبايعوه.

فقال رسول الله (ص): انّ موسى أخذ من بني إسرائيل إثني عشر نقيباً فلا يجدن أحد منكم في نفسه أن يؤخذ غيره فانّما يختار لي جبرئيل، فلمّا تخيرهم قال للنقباء: أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي. قالوا: نعم. فلمّا بايع القوم وكملوا صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع: يا أهل الأخاشب ـ كناية عن المساكن والمنازل ـ هل لكم في محمد والصباة معه قد أجمعوا على حربكم. فقال رسول الله (ص):

انفضّوا الى رحالكم. فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيافنا، وما أحد عليه سيف تلك الليلة غيره. فقال رسول الله: إنّا لم نؤمر بذلك، فانفضّوا الى رحالهم، فتفرقوا الى رحالهم. فلمّا أصبح القوم غدت عليهم جلة قريش وأشرافهم حتّىٰ دخلوا شعب الأنصار، فقالوا: يا معشر الخزرج أنه بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة وواعدتموه أن تبايعوه على حربنا، وأيم الله ما حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب بينا وبينكم الحرب منكم.

قال: فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمنا، وجعل ابن أُبيّ يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا عليَّ بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتّىٰ يؤآمروني.

فلمّا رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن معرور فتقدم الى بطن يأجج وتلاحق أصحابه من المسلمين، وجعلت قريش تطلبهم في كل وجه ولا تعدوا طرق المدينة وخربوا عليهم، فأدركوا سعد بن عبادة فجعلوا يده الى عنقه بنسعة ـ ما يجعل في عنق البعير ـ وجعلوا يضربونه ويجرّون شعره، وكان ذا جمة حتّىٰ أدخلوه مكة، فجاءه مطعم بن عدي والحارث ابن أُمية بن عبدشمس فخلصاه من بين أيديهم، وأتمرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عبادة أن يكروا اليه، فإذا سعد قد طلع عليهم، فرحل القوم جميعاً الى المدينة. انتهى ما نقله محمد بن سعد ملخصاً.

وقال الطبري وابن هشام وابن الأثير والعبارة له في الكامل[1]: فلمّا أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده خرج رسول الله (ص) في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعله، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج فدعاهم الى الله وعرض عليهم الإسلام، وقد كانت اليهود معهم ببلادهم، وكان هؤلاء أهل أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شر تقول اليهود: انّ نبياً يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود. فقال أولئك النفر بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي توعدكم به اليهود، فأجابوه وصدقوه وقالوا: انّ بيننا

---

(١) الكامل ٢ / ٩٥، السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٧٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٣.

وبين قومنا شراً وعسى الله أن يجمعهم بك، فإن اجتمعوا عليك فلا رجل أعز منك. ثمّ انصرفوا عنه وكانوا سبعة نفر من الخزرج، وعلى رواية ابن هشام والطبري ستة نفر من الخزرج. الى أن قال[1]: فلمّا قدموا المدينة ذكروا لهم النبي (ص) ودعوهم الى الإسلام، حتّىٰ فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها ذكر من رسول الله (ص)، حتّىٰ إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأُولى، فبايعوه بيعة النساء، فانصرفوا عنه وبعث معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرأهم القرآن ويعلّمهم الإسلام، فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة، فخرج به أسعد بن زرارة فجلس في دار بني ظفر واجتمع عليهما رجال ممن أسلم، فسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن خضير وهما سيّدا بني عبدالأشهل وكلاهما مشرك، فقال سعد لأسيد: انطلق الى هذين اللذين أتيا دارنا فانههما فانّه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي كفيتك ذلك. فأخذ أسيد حربته ثمّ أقبل عليهما، فقال: ما جاء بكما تسفّهان ضعفائنا اعتزلا عنّا. فقال مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره. فقال: أنصفت: ثمّ جلس اليهما فكلّمه مصعب بالإسلام فقال: ما أحسن هذا وأجلّه، كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتطهّر ثيابك ثمّ تشهد شهادة الحق ثمّ تصلّي ركعتين، ففعل ذلك وأسلم، ثمّ قال لهما: انّ ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما سعد بن معاذ.

ثمّ انصرف الى سعد وقومه، فلمّا نظر اليه سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فقال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين، والله ما رأيت بهما بأساً، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه، فقال سعد مغضباً مبادراً لخوفه مما ذكر له، ثمّ خرج اليهما فلمّا رآهما مطمئنين عرف ما أراد أسيد، فوقف عليهما وقال لأسعد بن زرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منّي. فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، فجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن، فقال لهما: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ فقالا له

---

(١) الكامل ٢ / ٩٦.

ما قالا لأسيد، فأسلم وتطهّر، ثمّ عاد الى نادي قومه ومعه أسيد بن خضير، فلمّا وقف عليهم قال: يا بني عبدالأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا. قال: فانّ كلام رجالكم ونساءكم عليّ حرام حتّىٰ تؤمنوا بالله ورسوله (ص). قال: فو الله ما أمسى في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلّا مسلماً أو مسلمة، ورجع مصعب الى منزل أسعد ولم يزل يدعو الى الإسلام حتّىٰ لم يبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلّا ما كان من بني اُمية بن زيد ووائل وواقف، فانّهم أطاعوا أبا قيس بن الأسلت فوقف بهم عن الإسلام حتّىٰ هاجر النبي (ص).

ثمّ قال: لمّا فشا الإسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير الى النبي ﷺ مستخفين لا يشعر بهم أحد، فساروا الى مكة في الموسم فى ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة، فلمّا كان الليل خرجوا بعد مضيّ ثلثه مستخفين يتسللون حتّىٰ اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلاً معهم امرأتان، وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب وهو كافر أحب أن يتوثق لابن أخيه، فكان العباس أول من تكلم فقال: يا معشر الخزرج ـ وكانت العرب تسمّي الخزرج والأوس به ـ انّ محمداً منّا حيث قد علمتم في عز ومنعة، فانّه قد أبى إلّا الانقطاع اليكم، فإن كنتم ترون أنكم تفون بما دعوتموه اليه ومانعوه فأنتم وذلك، وإن كنتم ترون انّكم مسلموه فمن الآن فدعوه فانّه في عز ومنعة. فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت. فتكلم رسول الله (ص) وتلا القرآن ورغّب في الإسلام ثمّ قال: تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

ثمّ أخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: والذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما تمنع ذرارينا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب، فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله انّ بيننا وبين الناس حبالاً وإنّا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن أظهرك الله عزّ وجلّ أن ترجع الى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بل الدم الدم والهدم الهدم ـ أي من يريد دمكم فقد طلب دمي ومن هدر دمكم فقد هدر دمي ـ أنتم منّي وأنا منكم، اُسالم من سالمتم واُحارب من حاربتم.

وقال رسول الله: اخرجوا اليّ إثني عشر نقيباً يكونوا على قومهم، فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهم العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون على مَ تبايعون هذا الرجل، تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون انّكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون انّكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله (ص). قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك، فبايعوه. وما قال عباس بن عبادة ذلك إلّا ليشد العقد له عليهم، وقيل بل قاله ليؤخّر الأمر ليحضر عبدالله بن أُبي بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم، فكان أول من بايعه أبو امامة أسعد بن زرارة، وقيل أبو الهيثم بن التيهان، وقيل البراء بن معرور، ثمّ بايع القوم.

فلمّا بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة: يا أهل الجباجب ـ أي المنازل ـ هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم.

الى أن قال: فلمّا سار الأنصار من مكة قال البراء بن معرور: يا معشر الخزرج قد رأيت أن لا أستدبر الكعبة في صلاتي. فقالوا له: انّ رسول الله (ص) يستقبل الشام فنحن لا نخالفه، فكان يصلّي الى الكعبة، فلمّا قدم مكة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال: لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها. فرجع الى قبلة رسول الله (ص) ... الخ.

وروى الحلبي[1] عن أبي إسحاق أنه قال: لما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيّه وإنجاز موعده، خرج رسول الله (ص) في الموسم ـ وفي سيرة مغلطأى ومستدرك الحاكم: انّ ذلك كان في شهر رجب ـ يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي عند يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة، إذ لقي بها رهطاً من الخزرج، وكان ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم خيراً، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. فقال: أمِن موالي يهود ـ

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٥.

أي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانّهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وأن يأمن بعضهم من بعض، وهذا كان في أول أمرهم قبل أن تقوى شوكتهم على اليهود. قالوا: نعم. قال (ص): أفلا تجلسون أكلّمكم. قالوا: بلى، فجلسوا معه. وفي لفظ: وجدهم يحلقون رؤوسهم، فجلس اليهم فدعاهم الى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام ورأوا أمارات الصدق عليه (ص) لائحة، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله انّه النبي الذي يوعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه، لأن اليهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا لهم: سيبعث نبي قد أظل أي قرب زمانه فنقتلكم معه قتلة عاد وإرم كما تقدم في أخبار الأحبار، والمراد نستأصلكم بالقتل فلمّا دعاهم الى الإسلام أجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا له: إنّا تركنا قومنا ـ يعنون الأوس والخزرج ـ كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب، فكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة أي مائة وعشرين كما في الكشاف، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

وفي رواية: قالوا يا رسول الله انّما كانت بعاث ـ بضم الموحدة ثمّ عين مهملة مخففة وفي آخره ثاء مثلثة، وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة المعجمة، قيل ذكر المعجمة تصحيف، فعن ابن دريد صحف الخليل بن أحمد ليوم بغاث بالغين المعجمة انّما وهو بالمهملة، وفي القاموس بالمهملة والمعجمة ـ عام الأول يوم من أيامنا اقتتلنا فيه فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتّىٰ نرجع الى غابرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا به فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم واتّبعوك فلا أحد أعز منك.

والبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بني قريظة، ويقال انّه حصن للأوس كان به القتال قبل قدومه (ص) المدينة بخمس سنين بين الأوس والخزرج، وسيد الأوس ورئيسهم حينئذ خضير والأسيد، وبه قتل من قتل من قومه، وكان النصر فيهم أولاً للخزرج، ثمّ صار للأوس، وسبب القتال أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف، فقتل رجل من الأوس وهو سويد بن الصامت رجلاً حليفاً للخزرج وهو زياد والد المحذر ابن زياد، فأرادوا أن يقتلوا سويداً به فأبى عليه الأوس، وذلك لأن سويداً هذا كان تسمّيه

قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده، وكان ابن خالة عبدالمطلب، لأن أُمه أُخت سلمى أُم عبدالمطلب، وكان قدم مكة حاجّاً أو معتمراً فتصدى له رسول ﷺ حين سمع، لأنه كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف إلّا تصدى له ودعاه الى الله تعالى، فدعا سويداً الى الله عزّ وجلّ والى الإسلام، فقال سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي. فقال رسول الله (ص): ما الذي معك؟ قال: حكمة لقمان. فقال له رسول الله: أعرضها عليَّ، فعرضها عليه فقال رسول الله: انّ هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا، وهو قرآن أنزله الله عليَّ، وهو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله (ص) القرآن ودعاه الى الإسلام، فلم يبعد منه وقال: انّ هذا القول حسن. ثمّ انصرف وقدم الى المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج وفي كلام بعضهم انّه آمن بالله ورسوله (ص) وسافر حتّىٰ دخل المدينة الى قومه، فشعروا بإيمانه فقتله الخزرج بغتة.

الى أن قال: فكان ذلك سبب الحرب بين الأوس والخزرج ببعاث، فلمّا قدم رسول الله (ص) المدينة أسلم الحرث بن سويد والمحذر بن زياد وشهدا بدراً، فجعل الحرث بن سويد يطلب محذراً يقتله بأبيه فلم يقدر عليه، حتّىٰ كان وقعة أُحد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتي.

وممن قتل في هذه الحرب التي يقال لها بعاث شخص يقال له أياس بن معاذ، قدم مكة هو وشخص يقال له الحيسر أنس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج، فأتاهم رسول الله (ص) فجلس اليهم وقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له. قالوا له: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله، بعثني للعباد وأدعوهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليَّ الكتاب. ثمّ ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال أياس بن معاذ وكان صغيراً: أيّ قوم خير مما جئنا اليه، فأخذ أبو الحيسر جفنة من تراب فضرب بها وجه أياس وانتهره وقال له: دعنا منك لقد جئنا لغير هذا. فسكت أياس وقام رسول الله (ص) عنهم فلمّا دنا موت أياس صار يحمد الله ويسبّحه ويهلّله ويكبّره حتّىٰ مات.

ثمّ انصرف أولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم.

قال: وفي رواية انّهم آمنوا به (ص) وصدقوه وقالوا: إنّا نشير عليك أن تمكث على رسلك ـ أي على حالك ـ باسم الله تعالى حتّىٰ نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عزّ وجلّ ورسوله لعل الله يصلح ذات بينهم، ونواعدك الموسم من العام المقبل. فرضي بذلك رسول الله (ص) فلم يقع لهؤلاء الستة أو الثمانية مبايعة، ويسمّى هذا ابتداء إسلام الأنصار، وربما سمّاه بعضهم العقبة الأولى.

فلمّا كان العام المقبل قدم من الأوس والخزرج إثنا عشر رجلاً عشرة من الخزرج وإثنان من الأوس، وقيل كانوا أحد عشر رجلاً منهم خمسة من الستة أو الثمانية الذين اجتمعوا به (ص) عند العقبة الأُولى، فاجتمع بهم رسول الله (ص) عند العقبة أيضاً فبايعهم ـ أي عاهدهم ـ وسمّيت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاوضة المالية ـ وتلا عليهم آية النساء ـ أي الآية التي نزلت بعد ذلك في شأن النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء.

فعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله (ص) بيعة النساء أي كمبايعة النساء التي كانت يوم فتح مكة، وهي أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، لأن قتل الأولاد كان سائغاً فيهم. الى أن قال: ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ـ أي في الحال والاستقبال ـ ولا نعصيه في معروف أي ما عرف من الشرع حسنه نهياً وأمراً.

قال الحافظ ابن حجر: المبايعة المذكورة في حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة، وانّما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن إسحاق وغيره عن أهل المغازي أن النبي (ص) قال لمن حضر من الأنصار: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه. الى أن قال: وهذه المبايعة يقال لها العقبة الأُولى لوجود تلك المبايعة عندها. ولمّا قدم مصعب المدينة نزل على أبي امامة أسعد بن زرارة دون بقية رفقته وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين بقباء قبل أن يقدم رسول الله (ص) وكان مصعب يؤمّ القوم ـ أي الأوس والخزرج ـ لأن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض، وجمع بهم أول جمعة جمعت في الإسلام قبل قدومه (ص) المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الآمرة بها، فإنها مدنية.

وقال الشيخ أبو حامد: فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها. الى أن قال: قال السهيلي: وتسميتهم ـ أي الأنصار ـ إياها بهذا الإسم ـ أي تسميتهم اليوم بيوم الجمعة ـ لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم، وإلّا فكانت تسمّى في الجاهلية العروبة ـ أي يسمّى ذلك اليوم بيوم العروبة، أي الرحمة ـ وقال (ص) في حق ذلك اليوم: انّه اليوم الذي فرض عليهم أي اليهود والنصاري، أي طلب منهم تعظيمه والتفرغ لعبادته فيه كما فرض علينا أضلّته اليهود والنصارى وهداكم الله تعالى.

ثمّ نقل عن السهيلي أنه روى عن ابن عباس: انّ النبي (ص) سمّاها يوم الجمعة لمّا أرسل لمصعب بن عمير أن يفعلها كما تقدم في الاسراء. وذكر أيضاً أن كعب بن لؤي أول من سمّى يوم العروبة الجمعة. انتهى ما نقله الحلبي ملخصاً.

قال ابن هشام[1]: فلمّا قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجموح، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله (ص) بها، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون تتخذه إلهاً تعظمه وتظهره. فلمّا أسلم فتيان بني سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو [ابن الجموح] في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم مَنْ غدا على إلهنا هذه الليلة. قال: ثمّ يغدو يلتمسه حتّىٰ إذا وجده غسله وطهّره وطيّبه ثمّ قال: أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأخزينّه، فإذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو يجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهّره ويطيّبه، ثم يغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلمّا أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله فطهّره وطيّبه ثمّ جاء بسيفه فعلّقه عليه ثمّ قال له: إني والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلمّا أمسى ونام عمرو غدوا عليه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٩٥.

فأخذوا السيف من عنقه ثمّ أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثمّ ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلمّا رآه أبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من قومه فأسلم يرحمه الله وحسن إسلامه.

الى أن قال: قال ابن إسحاق بسنده عن عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال: بايعنا رسول الله (ص) بيعة الحرب، وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأُولى على بيعة النساء على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا واثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، منهم يزعمون أنهما قد بايعا، وكان رسول الله (ص) لا يصافح النساء، انّما كان يأخذ عليهن فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتكن ... الخ.

الهجرة إلى المدينة

إذن رسول الله (ص) للمسلمين في الهجرة إلى المدينة

قال محمد بن سعد[1]: لمّا صدر السبعون من عند رسول الله (ص) طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج، فضيّقوا على أصحابه وتعبثوا بهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى، فشكا ذلك أصحاب رسول الله (ص) واستأذنوه في الهجرة.

الى أن قال: ثمّ مكث (ص) أياماً ثمّ خرج الى أصحابه مسروراً فقال: قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج اليها. فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله (ص) أبو سلمة بن عبدالأسد، ثمّ قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، فهي أول ظعينة قدمت المدينة، ثمّ قدم أصحاب رسول الله (ص) إرسالاً، فنزلوا على الأنصار في دورهم فآووهم ونصروهم وواسوهم، وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين بقباء قبل أن يقدم رسول الله.

فلمّا خرج المسلمون في هجرتهم الى المدينة كلبت قريش عليهم وخربوا واغتاظوا على من خرج من فتيانهم، وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله (ص) في العقبة الآخرة ثمّ رجعوا

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٢٥.

الى المدينة، فلمّا قدم أول من هاجر الى قباء خرجوا الى رسول الله (ص) بمكة حتّىٰ قدموا مع أصحابه في الهجرة، فهم مهاجرون أنصاريون، وهم ذكوان بن عبد قيس وعقبة بن وهب بن كلدة والعباس بن نضلة وزياد بن لبيد، وخرج المسلمون جميعاً الى المدينة فلم يبق بمكة منهم إلّا رسول الله (ص) وأبو بكر وعلي أو مفتون محبوس أو مريض أو ضعيف عن الخروج.

وقال ابن الأثير[1]: فلمّا بايعوه رجعوا الى المدينة، فكان قدومهم في ذي الحجة، فأقام رسول الله (ص) بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وهاجر الى المدينة في شهر ربيع الأول وقدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، وقد كانت قريش لمّا بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهد شديد وهي الفتنة الآخرة، وأمّا الأُولى فكانت قبل هجرة الحبشة. وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأُولى فإنّ الأُولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود أي العرب والعجم.

ثمّ أمر النبي (ص) أصحابه بالهجرة الى المدينة، فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبدالأسد، وكانت هجرته قبل البيعة بسنة، ثمّ هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع امرأته ليلى ابنة أبي حثمة، ثمّ عبدالله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد وجميع أهله فأُغلقت دارهم وتتابع الصحابة، ثمّ هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة فنزلا في بني عمرو بن عوف، وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبي ربيعة بالمدينة وكان أخاهما لأُمهما، فقالا له: انّ أُمك قد نذرت أنها لا تستظل ولا تمتشط، فرقّ لها وعاد، وتتابع الصحابة بالهجرة الى أن هاجر رسول الله (ص).

وقال الطبري[2]: لمّا رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجر اليها قبل هجرة النبي الى المدينة جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون، وانّه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام، فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله (ص) بمكة، فلمّا رأت ذلك

---

(١) الكامل ٢ / ١٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٦٦.

قريش تذامرت على أن يفتنوهم ويشتدّوا عليهم، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنونهم، فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة، وكانت فتنتين: فتنة أخرجت من خرج منهم الى أرض الحبشة حين أمرهم بها وأذن لهم في الخروج اليها، وفتنة لمّا رجعوا ورأوا مَن يأتيهم من أهل المدينة.

الى أن قال: فلمّا أذن الله عزّ وجلّ لرسوله (ص) في القتال ونزل قوله ﴿وقاتِلُوهُمْ حَتّىٰ لا تَكونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّـهُ لله﴾[1] وبايعه الأنصار على ما وصفت من بيعتهم أمر رسول الله (ص) أصحابه بمن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج الى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: انّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها. فخرجوا إرسالاً وأقام رسول الله (ص) بمكة ينتظر أن يأذن له ربّه بالخروج من مكة.

ثمّ قال: ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلّا أخذ وحبس أو فتن إلّا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة.

وقال ابن هشام: وكان رسول الله (ص) قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء، انّما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من المهاجرين حتّىٰ فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد فراراً منهم، فمنهم مَن بأرض الحبشة ومنهم مَن بالمدينة وفي كل وجه.

فلمّا عتت قريش على الله عزّ وجلّ وردوا عليه ما أرادهم من الكرامة وكذبوا نبيّه وعذّبوا ونفوا من عبده ووحّده وصدّق نبيّه واعتصم بدينه أذن الله عزوجل لرسول الله (ص) في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أُنزلت في اذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغي عليهم فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِموا وأنَّ اللهَ على نَصْرِهِمْ لَقَديرٌ * الَّذِينَ أُخرِجوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حقٍّ إلّا أَن يَقُولُوا رَبُّنا اللهُ وَلَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُمْ بِبَعْضٍ

---

(١) سورة الانفال / الآية ٣٩.

لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذكَرُ فيهَا ٱسْمُ اللهِ كَثيراً وَلَيَنْصُرنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزيز * الَّذينَ إنْ مَكَّنّاهُمْ في الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وآتوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعرُوفِ ونَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ﴾[1] يعني النبي وأصحابه، ثمّ أنزل الله تعالى ﴿وقاتلوهم حتّىٰ لا تكون فتنة﴾ أي حتّىٰ لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿ويكون الدين لله﴾ أي حتّىٰ يعبد الله لا يعبد معه غيره.

ثمّ قال[2]: قال ابن إسحاق: فلمّا أذن الله تعالى له (ص) في الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى عليهم من المسلمين أمر رسول الله (ص) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: انّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها فخرجوا إرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة.

الى أن قال: قالت أم سلمة لمّا أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لي بعيره، ثمّ حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثمّ خرج بي يقود بي بعيره فلمّا رأته رجال بني المغيرة قاموا اليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه على مَ نتركك تسير بها في البلاد. قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبدالأسد رهط أبي سلمة قالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتّىٰ خلعوا يده وانطلق به بنو عبدالأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة. قالت: ففرّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتّىٰ أمسي سنة أو قريباً منها، حتّىٰ مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا

---

(١) سورة الحج / الآية ٣٩ ـ ٤١.

(٢) السيرة النبوية ٢ / ١١٠.

تخرجون من هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. قالت: فقالوا لي إلحقي بزوجك إن شئت. قالت وردّ بنو عبدالأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثمّ خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت اتبلغ بمن لقيت حتّىٰ أقدم على زوجي، حتّىٰ إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبدالدار، فقال لي: الى أين يا بنت أبي أُمية. قالت: فقلت أريد زوجي بالمدينة. قال: أوَما معك أحد؟ قالت: فقلت لا والله إلّا الله وابني هذا. قال: والله ما لك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثمّ استأخر عنّي حتّىٰ إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحطّ عنه ثمّ قيّده في الشجرة ثمّ تنحّى الى الشجرة فاضطجع تحتها، فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ثمّ استأخر عني فقال: اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتّىٰ ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتّىٰ أقدمني المدينة فلمّا نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله ثمّ انصرف راجعاً الى مكة. قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة.

الى أن قال: وأقام رسول الله (ص) بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلّا من حبس أو فتن إلّا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة.

وقال الزيني دحلان[1]: وأول ظعينة قدمت المدينة أُم سلمة، وقيل ليلى بنت أبي حثمة وقيل أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ثمّ هاجر عمار وبلال وسعد.

وفي رواية ثمّ قدم أصحاب رسول الله (ص) إرسالاً بعد العقبة الثانية فنزلوا على الأنصار في دورهم.

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٥٦.

وقال الشبلنجي[١]: قال أهل السير: لمّا أبرم عقد المبايعة بين النبي (ص) وبين أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من إيذاء المشركين ولم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم في الهجرة الى المدينة.

وروي عن عائشة أنها قالت: لمّا اشتدَّ البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله (ص) ثمّ استأذنوه في الهجرة، فقال: قد رأيت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين، ثمّ مكث بعد ذلك أياماً وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال: قد أخبرت بدار هجرتكم، ألا وهي يثرب، فمن أراد منكم الخروج فليخرج. فخرجوا إرسالاً أي قطائع سرّاً... الخ.

سبب هجرة النبي (ص) إلى المدينة

قال ابن هشام[٢]: قال ابن إسحاق: ولمّا رأت قريش أن رسول الله (ص) قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله اليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلّا فيها، ويتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله (ص) حين خافوه ... الخ.

وقال الشبلنجي[٣]: واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة، وهي دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي أمراً إلّا فيها يتشاورون، وحجبوا الناس عن الدخول اليهم لئلا يدخل أحد من بني هاشم فيطّلع على حالهم.

قال ابن دريد: كانوا خمسة عشر رجلاً، وقال ابن دحية: كانوا مائة رجل ... الخ.

وقال الزيني دحلان[٤]: فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب.

---

(١) نور الأبصار ص ١٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٢٤.

(٣) نور الأبصار ص ٢٠.

(٤) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٥٨.

قال الحلبي: دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن، وكان لها باب الى المسجد أُعدّت للاجتماع للمشورة، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلّا فيها، وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي إلّا أن بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي، وقد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته، وكان اجتماعهم في يوم سبت، ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة، وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمر النبي (ص) وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر، وكان يسمّى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة، لأنه اجتمع فيه أشراف بني عبدشمس وبني نوفل وبني عبدالدار وبني عبدأسد وبني مخزوم وبني جمح وبني الحرث وبني كعب وبني تيم وغيرهم، ولم يتخلف من أهل الرأي والحجى عنهم أحد، وجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ، وقيل طيلسان من خز، فقالوا: مَنْ الشيخ؟ قال: من نجد، سمع بالذي قعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم رأياً ونصحاً. قالوا: أُدخل. فدخل، وانّما تمثّل في صورة شيخ نجدي لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل التهامة لأن هواهم مع محمد فلذلك تمثّل بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم.

ثمّ قال بعضهم لبعض: انّ هذا الرجل ـ يعني النبي ـ قد كان من أمره ما رأيتم وإنّا والله لا نأمنه على الوثوب بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً.

فقال قائل ـ وهو أبو البختري بن هشام ـ: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثمّ تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله. فقال النجدي: ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثمّ يكاثروكم به حتّىٰ يغلبوكم على أمركم، فانظروا في غيره.

فقال أبو الأسود ربيعة بن عمرو العامري ولم يعلم له إسلام: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب. فقال النجدي لعنه الله: ما هذا برأي، ألَم تروا الى حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما آمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتّىٰ يتابعوه عليكم ثمّ يسير بهم اليكم حتّىٰ

يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثمّ يفعل بكم ما أراد، دبّروا فيه رأياً غير هذا.

فقال أبو جهل: والله انّ لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتىً شاباً جلداً ثمّ يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثمّ يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه جلداً فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فنعقله لهم. فقال النجدي لعنه الله: القول ما قال لا أرى غيره فأجمع رأيهم على قتله، فتفرقوا على ذلك.

وقيل: انّ قول أبي جهل الذي صوّبه إبليس أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيوفاً فيضربوه ضربة رجل واحد، فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة، إذ لا يمكن عشرين رجلاً مثلاً أن يضربوا شخصاً ضربة رجل واحد، فقال لهم خمسة رجال. ثمّ أتى جبريل النبي (ص) فقال: لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه، فلمّا كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه ـ أي يرقبونه ـ حتّىٰ ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة.

قال الحافظ الدمياطي في سيرته: فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته ـ أي يوقعون القتل به ليلاً ـ وقيل أحدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بني هاشم فلا يتم لهم أخذ ثاره، فأمر (ص) عليّاً فنام في مكانه وغطى ببرد له بقوله: اتّشح ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه، فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم. وكان (ص) ينام في برده ذلك إذا نام، فكان عليّ أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله (ص) لأنه امتثل أمر النبي قبل أن يقول له لن يخلص اليك شيء، فصدق عليه أنه بالامتثال باع نفسه، وفي ذلك يقول علي:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرا ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

الى أن قال: فقال أبو جهل: انّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثمّ بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأُردن وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها. فسمعه (ص) فخرج من الباب عليهم وقد

أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده (ص) وهو يتلو قوله تعالى ﴿يس﴾[١] الى قوله ﴿فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُم لا يُبْصِرُون﴾[٢].

ثمّ قال: فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل أنه إبليس في صورة النجدي فقال: ما تنتظرون هاهنا. قالوا: محمداً. قال: قد خيّبكم الله، والله قد خرج محمد عليكم ثمّ ما ترك منكم رجلاً إلّا وضع على رأسه تراباً وانطلق. فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثمّ جعلوا يطلعون فيرون عليّاً على الفراش مسجى ببرد رسول الله (ص) فيقولون: والله إن هذا لمحمد عليه برده.

قال الزهري: وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه.

وذكر السهيلي: أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله انّها لسبة في العرب أن يتحدث عنا انّا تسوّرنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا، وكان تسوّر الجدار ممكناً لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار، فكان هذا هو المانع في الظاهر، وفي الحقيقة باطناً حمية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم وإظهار عجزهم فأقاموا بالباب يحرسون عليّاً يحسبونه النبي (ص) حتّىٰ يقوم في الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه، فلمّا أصبحوا قام علي على الفراش، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. وصدق الله قول النبي ﷺ له: لن تخلص اليك شيء تكرهه منهم. وقيل انهم تسوّروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم، فثار علي في وجوههم، فعرفوه فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. وقيل أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثمّ خلّوا عنه، ثم قالوا: لقد صدقنا الذي كان حدثنا أنه خرج علينا.

وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيراً لهذه النعمة قوله تعالى ﴿وإذْ يَمْكُرُ بِك الذِينَ كَفَروا﴾[٣]، انتهى ما نقله الزيني دحلان في السيرة.

---

(١) سورة يس / الآية ١.
(٢) سورة يس / الآية ٩.
(٣) سورة الانفال / الآية ٣٠.

وقال الكازروني اليماني: وروى الواقدي عن مشايخه: انّ الذين كانوا ينتظرون رسول الله (ص) تلك الليلة من المشركين أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وأُمية بن خلف وابن الغيطلة وزمعة بن الأسود وطعمة بن عدي وأبو لهب وأُبي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، فلمّا أصبحوا قام علي (ع) عن الفراش، فسألوه عن رسول الله (ص) فقال: لا علم لي به.

وروى انّهم ضربوا عليّاً وحبسوه ساعة ثمّ تركوه.

وأورد الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين: انّ ليلة بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله (ص) أوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل: انّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بحياته، فاختار كل منهما الحياة وأحباها، فأوحى الله تعالى: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات عليّ على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوه. فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ مَنْ مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة. فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرضاةِ اللهِ واللهُ رَؤوفٌ بِالعِباد﴾[1] انتهى ما نقله الكازروني اليماني في كتاب مولد النبي.

قال محمد بن سعد[2]: قالوا لمّا رأى المشركون أصحاب رسول الله (ص) قد حملوا الذراري والأطفال الى الأوس والخزرج عرفوا أنها دار منعة وقوم أهل حلقة وبأس، فخافوا خروج رسول الله (ص)، فاجتمعوا في دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجى منهم ليتشاوروا في أمره (ص)، وحضرهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصماء في بت ـ ثوب غليظ ـ فتذاكروا أمر رسول الله ﷺ، فأشار كل رجل منهم برأي، كل ذلك يردّه إبليس عليهم ولا يرضاه لهم. الى أن قال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٠٧.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٢٧.

قريش غلاماً نهداً جلداً ثمّ نعطيه سيفاً صارماً فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يدري بنو عبدمناف بعد ذلك ما تصنع. فقال النجدي: لله درّ الفتى، هذا والله الرأي وإلّا فلا، فتفرقوا على ذلك وأجمعوا عليه، وأتى جبرئيل رسول الله (ص) فأخبره الخبر وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة.

الى أن قال: وأمر (ص) عليّاً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، فبات فيه علي وتغشى برداً أحمر حضرمياً كان رسول الله ينام فيه، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه.

الى أن قال: فلمّا أصبحوا قام علي عن الفراش، فسألوه عن رسول الله (ص) فقال: لا علم لي به ... الخ.

وقال ابن الأثير[1]: فأتى جبرئيل النبي (ص) فقال: لا تبت الليلة على فراشك فلمّا كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلمّا رآهم رسول الله (ص) قال لعلي ابن أبي طالب: نم على فراشي واتّشح ببردي الأخضر فنم فيه فانّه لا يخلص اليك شيء تكرهه وأمره (ص) أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك.

الى أن قال: فلم يبرحوا كذلك حتّىٰ أصبحوا، فقام علي عن الفراش فعرفوه، وأنزل الله في ذلك ﴿وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الّذينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقتُلوكَ أَوْ يُخْرِجُوك﴾[2] الآية. وسأل أولئك عليّاً عن النبي (ص) فقال: لا أدري أمرتموه بالخروج فخرج فضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثمّ تركوه، ونجّى الله رسوله (ص) من مكرهم وأمره بالهجرة. وقام علي يؤدي أمانة النبي (ص) ويفعل ما أمره ... الخ.

وقال الطبري[3]: وزاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع: وقال له ـ يعني لعلي ـ إن أتاك ابن أبي قحافة فأخبره انّي توجهت الى ثور فمره فليلحق بي وأرسل اليَّ بطعام واستأجر

---

(١) الكامل ٢ / ١٠٣.

(٢) سورة الانفال / الآية ٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٢.

لي دليلاً يدلني على طريق المدينة واشتر لي راحلة، ثمّ مضى رسول الله (ص) وأعمى الله أبصارهم الذين كانوا يرصدونه عنه، وخرج عليهم رسول الله (ص).

الى أن قال: وقد زعم بعضهم أن أبا بكر أتى عليّاً فسأله عن نبي الله فأخبره أنه لحق بالغار من ثور وقال: إن كان بك فيه حاجة فالحقه. فخرج أبو بكر مسرعاً فلحق نبي الله (ص) في الطريق، فسمع رسول الله جرس أبي بكر في ظلمة الليل فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله (ص) المشي فانقطع قبال نعله ففلق إبهامه حجر فكثر دمها، وأسرع السعي فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله (ص) فرفع صوته وتكلم فعرفه رسول الله فقام حتّىٰ أتاه، فانطلقا ورِجل رسول الله (ص) تستن دماً، حتّىٰ انتهى الى الغار مع الصبح فدخلاه. وأصبح الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله ﷺ فدخلوا الدار، وقام علي عن فراشه، فلمّا دنوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري أوَ رقيباً كنت عليه، أمرتموه بالخروج فخرج. فانتهروه وضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثمّ تركوه، ونجّى الله رسوله (ص) من مكرهم وأنزل عليه في ذلك ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية.

وقال ابن هشام[1]: فلمّا كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه فيثبون عليه، فلمّا رأى رسول الله (ص) مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسجّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم. وكان رسول الله (ص) ينام في برده ذلك إذا نام. الى أن قال: فلم يبرحوا كذلك حتّىٰ أصبحوا، فقام علي عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرين﴾[2] وقول الله عزّ وجلّ ﴿أَمْ يَقولونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٢٦.

(٢) سورة الأنفال / الآية ٣٠.

فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾[١]. ثمّ قال: المنون، الموت؛ وريب المنون ما يريب ويعرض منها.

وقال الشبلنجي[٢]: فأخبر جبريل رسول الله (ص) بذلك وقال: لا تبت على فراشك الذي تبيت عليه الليلة، وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج الى المدينة، فأمر رسول الله (ص) عليّاً أن ينام على فراشه، فنام في مضجعه وقال: اتّشح ببردتي فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه ثمّ خرج رسول الله (ص) فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِم أَغْلالاً﴾[٣] الى قوله ﴿فَهُمْ لا يُبْصِرُون﴾[٤].

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: ان رسول الله (ص) فيما بلغني أخبر عليّاً بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عنه الودائع التي كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليّاً على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ فقالوا محمداً. فقال: قد خيّبكم الله والله قد خرج عليكم ما ترك منكم أحداً إلّا وضع على رأسه التراب. وفي رواية أبي حاتم وصححها الحاكم من حديث ابن عباس: ما أصاب رجلاً منهم حصاة إلّا قتل يوم بدر كافراً، وذلك قوله تعالى ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية ... الخ.

وقال الصبان[٥]: ولم يزالوا كذلك حتّىٰ أصبحوا وقام علي من الفراش فتيقنوا الخبر. ثم أذن الله لرسوله في الهجرة، فخلّف عليّاً ليؤدي عنه الودائع.

وقال المسعودي: وكان مقام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدّى ما أمر بأدائه ثمّ لحق بالرسول.

وقال الحافظ الكنجي في كفاية الطالب في الباب الثاني والستين في تخصيص علي (ع) بمائة

---

(١) سورة الطور / الآية ٣٠ ـ ٣١.
(٢) نور الأبصار ص ٢٠.
(٣) سورة يس / الآية ٨.
(٤) سورة يس / الآية ٩.
(٥) إسعاف الراغبين ص ٢٩.

منقبة ص ١١٤: ومن ذلك ما ذكره الثعلبي في تفسير قوله عز وجل ﴿وَمِنَ النّاس مَنْ يَشْري نَفسَهُ ٱبتِغاءَ مَرضاةِ الله﴾ الآية الى أن قال: فأنزل الله على رسوله وهو متوجه الى المدينة ﴿ومن الناس من يشري﴾ الآية.

وقال فخر الدين الرازي في التفسير في الجزء الخامس ص ٢٢٣: والرواية الثالثة نزلت في علي بن أبي طالب، بات على فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه الى الغار. ويروى أنه لمّا نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي: بخ بخ مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، ونزلت الآية.

وقال النيسابوري في التفسير في هامش تفسير الطبري ص ٢٨٠: وقيل نزلت في علي، بات على فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه الى الغار، ويروى أنه لمّا نام على فراشه قام جبريل عند رأسه ـ ثمّ ساق الكلام نحو ما ذكره النيسابوري ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥.

وقال سبط بن الجوزي[1]: قال أحمد بن حنبل في الفضائل بسنده عن عمرو بن ميمون قال: انّي لجالس الى ابن عباس إذ أتاه رهط يقعون في علي بن أبي طالب، فرد عليهم ابن عباس قال: لمّا هاجر رسول الله (ص) لبس علي ثوبه ونام على فراشه، وكان المشركون يؤذون رسول الله (ص)، فجاء أبو بكر وهو نائم، فحسبه رسول الله فصاح: يا نبي الله. فقال له علي: انّ رسول الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، فانطلق أبو بكر حتى لحق رسول الله وبات الكفار يرمون عليّاً بالحجارة وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب البرد الى الصباح.

ثمّ قال: وذكر ابو إسحاق الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: لمّا أراد رسول الله (ص) أن يهاجر الى المدينة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره تلك الليلة أن ينام على فراشه وقال له: تسج ببرد الحضرمي الأخضر فأنه لا يخلص اليك منهم أحد ولا يصيبونك بمكروه، والقوم قد أحاطوا بالدار. قال: فأوحى الله الى جبرئيل وميكائيل: انّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر

---

(١) تذكرة الخواص ص ٤٠.

صاحبه بالحياة، فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى اليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثر بالحياة، اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوه الى أن قال: ثمّ توجه رسول الله (ص) الى المدينة فأنزل الله تعالى في شأن علي ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ قال ابن عباس: أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب ورواه أيضاً ملاّ معين في معارج النبوة في الركن الرابع ص ٤ قال ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ الآية نزلت في شأن علي وقال: انّ جبريل وميكائيل نزلا من السماء، فقام جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي: بخ بخ من مثلك ... الخ.

وفي مدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي ص ٧٩ قال: وعلي بن أبي طالب أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، وفيه نزلت ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ الآية. وروى عنه هذا البيت:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق والحجر

وفي المناقب المرتضوية لمحمد صالح الكشفي ص ١٩٢ قال ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ الآية نزلت في شأن علي. ثمّ ذكر نزول جبريل وميكائيل كما تقدم.

وفي ص ١٩٤ رواه عن المناقب للخطيب وكشف الغمة ومعارج النبوة وروضة الأحباب وحبيب السير ... الخ.

وقال ابن الصباغ[1] المالكي: وأمره (ص) أن ينام في مضجعه على فراشه الذي كان ينام فيه وقال له: لن يصل اليك منهم أمر تكرهه، ووصّاه بحفظ ذمته وأداء أمانته ظاهراً على أعين الناس، وكانت قريش تدعوا النبي (ص) في الجاهلية بالأمين، وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم: فاطمة بنت النبي، وفاطمة بنت اسد أُمّ علي، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، ولم يهاجر معه (ص) من بني هاشم ومن ضعفاء المؤمنين، وقال لعلي: إذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة الى الله ورسوله (ص) وسر لقدوم كتابي عليك. الى أن قال: وعلي نائم

---

(١) الفصول المهمة ص ٤٦.

على فراش رسول الله (ص) والمشركون يرجمونه فلم يضطرب ولم يكترث، ثمّ انّهم تسوروا عليه ودخلوا شاهرين سيوفهم، فثار علي في وجوههم فعرفوه، فقالوا: هو أنت أين صاحبك؟ فقال: لا أدري. فخرجوا عنه وتركوه ولم يصل اليه منهم مكروه وكفاه الله شرهم.

قال بعض أصحاب الحديث: وأوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل أن انزلا الى علي واحرساه في هذه الليلة الى الصباح، فنزلا اليه وهما يقولان: بخ بخ من مثلك يا علي قد باهى الله تعالى بك ملائكته.

وأورد الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين: انّ ليلة بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله (ص) الحديث.

قال سليمان بن إبراهيم الحنفي الثعلبي[1] عن ابن عباس وأبو نعيم الحافظ بسنده عن ابن عباس قال: بات علي على فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه من مكة، ونزلت ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ الآية.

ثمّ قال الثعلبي في تفسيره وابن عقبة في الملحمة وأبو السعادات في فضائل العترة الطاهرة والغزالي في الإحياء بأسانيدهم عن ابن عباس وعن أبي رافع وعن هند بن أبي هالة ربيب النبي (ص) انّهم قالوا: قال رسول الله: أوحى الله الى جبرئيل وميكائيل الحديث.

وقال العلّامة الشيخ محمد رضا في التاريخ ص ١٥١: فأمر عليّاً أن ينام على فراشه ويتشح ببرده الأخضر وأن يتخلف عنه ليؤدي ما كان عند رسول الله من الودائع الى أربابها، فامتثل أمره، فكان أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله.

أقول: وبما تقدم من رواية القوم لحديث المباهاة ظهر ما في كلام ابن تيمية من الكذب والعناد، حيث أنه على ما حكاه عنه الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٢٩ قال: انّه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير، لأن نقل جماعة من أئمة أهل الحديث والتحقيق كالإمام الغزالي والحافظ أبي نعيم وسبط بن الجوزي وابن الصباغ المالكي وغيرهم من دون طعن لهم في سند الحديث مع انّ عادتهم خصوصاً سبط بن الجوزي الإيراد والطعن في بعض الأحاديث بضعف

---

(١) ينابيع المودة ص ٧٥.

السند وجهالة الراوي أو أن حديث الفلاني موضوع، وقد روى هذا الحديث من دون طعن وقدح ساكتاً عليه، دليل واضح على صحته وصدوره. مضافاً الى أنه قد رواه جماعة من الصحابة كما تقدم.

وقال ابن تيمية على ما حكاه عنه الحلبي: وأيضاً قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له «لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم» فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة، والآية المذكوره في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق، وقد قيل انّها نزلت في صهيب لما هاجر.

وأجاب عنه الحلبي بقوله: لكنه في الامتاع لم يذكر أنه (ص) قال لعلي ما ذكر ـ يعني قوله (ص) لن يخلص اليك شيء تكرهه ـ وعليه يكون فداؤه للنبي بنفسه واضحاً، ولا مانع من تكرر نزول الآية في حق علي وفي حق صهيب، وحينئذ يكون شرى في حق علي بمعنى باع ـ أي باع نفسه بحياة المصطفى ـ وفي حق صهيب بمعنى اشترى، أي اشترى نفسه بماله. ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية، لانّ الحكم يكون للغالب. وفي السبعيات انّه (ص) نظر الى أصحابه وقال: أيكم يبيت على فراشي وأنا أضمن له الجنة؟ فقال علي: أنا أبيت وأجعل نفسي فداءك. انتهى كلام الحلبي في جواب ابن تيمية.

أقول: ولم يذكر جماعة من القوم منهم محمد بن سعد في الطبقات ولا الحافظ ابن كثير في التفسير أيضاً قوله (ص) لن يخلص اليك شيء تكرهه. أمّا ما قاله محمد بن سعد وغيره فقد تقدم، وأمّا ابن كثير فقد قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر، ففعل، ثمّ خرج (ص) على القوم وهم على بابه ... الخ.

وقال الزيني دحلان[1]: فكان علي أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله (ص) لانّه امتثل أمر النبي قبل أن يقول له لن يخلص اليك شيء، فصدق عليه انّه بالامتثال باع نفسه، وقد تقدم كلامه ... الخ.

ويردّ قول ابن تيمية مضافاً الى ماتقدم حيث قال: انّ الآية مدنية باتفاق، ما قاله ابن كثير وغيره في تفسير سورة الانفال. قال ابن كثير: فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٥٩.

مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت رسول الله (ص) في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية وقال القاضي البيضاوي في التفسير ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية، تذكار لمكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم، والمعنى اذكر إذ يمكرون بك ... الخ.

وهكذا ذكره النيسابوري وغيره.

فنقول: هذه الآية نزلت بالمدينة مع أن الواقعة وقعت بمكة، وقد انقدح بما أسلفناه من كلمات القوم انّ ما ذكره ابن تيمية في رد الحديث وتكذيبه عناد محض وفرية عظيمة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفواهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِه وَلوْ كَرِهَ الكافِرون﴾[1].

هجرة النبي (ص) الى المدينة

قال ابن الأثير[2]: ولم يعلم بخروج رسول الله (ص) غير أبي بكر وعلي وآل أبي بكر، فأمّا علي فأمره رسول الله (ص) أن يتخلف عنه حتى يؤدي عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده ثمّ يلحقه.

قال ابن هشام[3]: أمّا علي فانّ رسول الله (ص) فيما بلغني أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول لله (ص) وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه الّا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته.

وقال الحلبي[4]: وفي كلام سبط بن الجوزي، وعن وهب بن منبه أن رسول الله (ص) انّما خرج الى الغار من بيت أبي بكر، فخرج من خوخة في ظهر الدار، والأصح انّما كان خروجه من بيت نفسه. الى أن قال: وفي الفصول المهمة وقال (ص) لعلي: إذا أبرمت ما أمرتك به كن

---

(١) سورة الصف / الآية ٨.

(٢) الكامل ٢ / ١٠٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٢٩.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ٣٤.

على أهبة الهجرة الى الله ورسوله وسر لقدوم كتابي عليك، وإذا جاء أبو بكر فوجهه خلفي نحو بئر أُم ميمون، وكان ذلك في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أحاطوا بالدار.

وقال السيوطي[١]: وأخرج أحمد وأبو نعيم عن ابن عباس: أن المشركين تشاوروا ليلة بمكة في النبي (ص)، فقال بعضهم: إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه. فاطلع الله نبيه (ص) على ذلك، فخرج تلك الليلة حتى لحق بالغار، فلمّا أصبحوا اقتصوا أثره، فلمّا بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو كان دخل هيهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه.

ثمّ قال: وأخرج أبو نعيم من طريق الواقدي أن النبي (ص) حين دخل الغار ضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض، فلمّا انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم: ادخلوا الغار. قال أُمية بن خلف: وما اربكم ـ أي حاجتكم ـ الى الغار، انّ عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد، فنهى النبي (ص) يومئذ عن قتل العنكبوت فقال: انّها جند من جنود الله.

وقال محمد بن سعد[٢]: ثمّ خرج هو وأبو بكر فمضيا الى غار ثور، فدخلاه وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض، وطلبت قريش أشد الطلب حتى انتهوا الى باب الغار، فقال بعضهم: انّ عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد.

قال ابن الصباغ المالكي[٣]: ومضيا جميعاً يتسايران حتى أتيا جبل ثور فدخلا الغار واختفيا فيه، وجاءت العناكب الذكور والاناث من أسفل الغار يستقبل بعضها بعضاً حتّىٰ نسجت على الغار نسج أربع سنين في ساعة واحدة، وأقبلت حمامتان من حمام مكة حتّىٰ سقطتا جميعاً على باب الغار وباضت الأُنثى منهما من ساعتها بقدرة الله وحضنت على البيض.

وروى محمد بن سعد والسيوطي[٤] عن جماعة من الصحابة انّهم يتحدثون: انّ ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي (ص) ـ أي قبالة وجه النبي (ص) ـ فسترته، وأمر الله

---

(١) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٦.
(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٢٨.
(٣) الفصول المهمة ص ٤٧.
(٤) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٢٩، الخصائص الكبرى ١ / ١٨٥.

العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي (ص) قدر أربعين ذراعاً نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع، فقال له أصحابه: ما لك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد.

قال الحلبي: وفي الدر المنثور: فمشى (ص) ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الأرض حتى حفيت رجلاه. ثمّ قال: وفي لفظ: لم يصب رسول الله (ص) الغار حتّىٰ قطرت قدماه دماً.

وفي كلام السهيلي عن أبي بكر أنه قال: نظرت الى قدمي رسول الله (ص) في الغار وقد تقطرتا دماً. قال بعضهم: ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل وإلّا فبعد المكان لا يحتمل ذلك، أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة، ويدل عليه قوله «فمشى ليلته رسول الله» وفي لفظ «فانتهينا الى الغار مع الصبح»، ولا يحتمل ذلك مشى ليلته الّا بتقدير ذلك ... الخ.

وقال السيوطي: وأخرج البيهقي عن ابن شهاب وعروة بن الزبير أنهم ركبوا في كل وجه يطلبون النبي (ص)، وبعثوا الى أهل المياه يأمرونهم ويجعلون لهم الجعل العظيم، وأتوا على ثور الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي (ص) حتى طلعوا فوقه، وسمع رسول الله وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر وأقبل عليه الهم والخوف. فعند ذلك يقول له رسول الله ﴿لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا﴾[1] ... الخ.

وقال أيضاً[2]: وأخرج الشيخان عن أنس انّ أبا بكر حدثه قال: كنت مع رسول الله (ص) في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

وقال أيضاً: أخرج أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر أن أبا بكر رأى رجلاً مواجه الغار،

---

(١) سورة التوبة / الآية ٤٠.

(٢) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٥.

فقال: يا رسول الله انّه لرآنا. قال: كلاّ انّ الملائكة تستره الآن بأجنحتها، فلم يلبث الرجل أن قعد يبول مستقبلهما، فقال رسول الله: يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا. وأخرج أبو يعلى نحوه من طريق عائشة عن أبي بكر. انتهى ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى.

وقال ابن هشام[١] ثمّ عمدا الى غار ثور جبل بأسفل مكة فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثمّ يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر. الى أن قال: وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

وقال الزيني دحلان[٢]: وقالت عائشة ثمّ لحق رسول الله وأبو بكر بغار ثور فمكثا فيه ثلاث ليال: وكان من قوله (ص) حين خرج من مكة لمّا وقف على الحزورة ونظر الى البيت: والله انّك لأحب أرض الله اليَّ، وانّك لأحب أرض الله الى الله، ولولا انّ أهلك أخرجوني ما خرجت منك. رواه الإمام أحمد والترمذي.

وقال الحلبي وأنزل الله تعالى عليه ﴿وقُلْ رَبِّ أدْخِلني مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجعَل لي مِنْ لَدُنْكَ سُلطاناً نَصِيراً﴾[٣] قال زيد بن أسلم: جعل الله مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطاناً نصيراً الأنصار ... الخ.

وقال الحلبي: وأمّا ما روى الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: اللهم انّك أخرجتني من أحب البقاع اليَّ فاسكني في أحب البقاع اليك، فقال الذهبي: انّه موضوع وقال ابن عبد البر: لا يختلف أهل العلم انّه منكر موضوع ... الخ.

إلى أن قال: ولمّا فقدت قريش رسول الله (ص) طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة ـ وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه ـ قيل انّهم بعثوا شخصين فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هناك. فلم يزل يتبعه حتى انقطع لمّا انتهى الى غار ثور. وفي رواية قال لهم القائف: هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الاّ انّه يشبه القدم الذي في المقام ـ يعني مقام

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٠.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦١.

(٣) سورة الاسراء / الآية ٨٠.

إبراهيم ـ فقالت قريش: ما وراء هذا شيء، وشق على قريش خروجه (ص) وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده عن سيره ذلك بقتل أو أسر. ولمّا دخل (ص) وأبو بكر الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على بابه، وكل ذلك مما صد المشركين عنه، وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقاً لما حصل بهما الحماية، جوزيا بالنسل والحماية في الحرم فلا يتعرض له، وفي المثل «آمن من حمام الحرم».

إلى أن قال: وقد روي أن المشركين لمّا مروا على باب الغار طارتا الحمامتان، فنظروا الى بيضهما ونسج العنكبوت، فقالوا: لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام. فلمّا سمع (ص) حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت وما علم المشركون أن الله يسخّر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه.

إلى أن قال: وكان مكثه (ص) مع أبي بكر في الغار ثلاث ليال، وكان يبيت عندهما في الغار عبدالله بن أبي بكر فيدلج من عندهما بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدة رجوعه بغلس، فلا يسمع بأمر يكادان به ـ أي يطلب فيه المكروه ـ الّا حفظه حتّىٰ يأتيهما به حين يختلط الظلام، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى غنماً لأبي بكر، فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثمّ يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث ... الخ.

وقال الصبان[1]: وانطلقا ليلاً ماشيين حتى أتيا غاراً بثور فتواريا فيه ثلاث ليال، قيل: لمّا دخل أبو بكر الغار صار يلتمس بيده، فكلما رأى جحراً شق قطعة من ثوبه وسدّه بها حتّىٰ فعل ذلك بجميع ثوبه، فبقى جحر كان فيه حية فوضع عقبه عليه، فلمّا أحست بعقبه لدغته فتحدرت دموعه على رسول الله (ص) لأن رأسه كان في حجر أبي بكر. فاستيقظ فقال: ما لك يا أبا بكر؟ فأخبره فتفل على محل اللدغة فذهب ما يجده.

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٣٠.

وقال الزيني دحلان[١]: وفي رواية فجعلت الحيات والأفاة تلسعه وجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها، فسقطت دموعه على وجه رسول الله (ص). الى أن قال: وفي رواية فلمّا أصبحا رأى رسول الله (ص) على أبي بكر أثر الورم، فسأله فقال: من لدغة الحية. فقال: هلا أخبرتني. قال: كرهت أن أوقظك، فمسحه فذهب ما به من الورم.

وقال ابن هشام[٢]: لمّا خرج رسول الله (ص) وخرج أبو بكر معه واحتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت أسماء بنت أبي بكر: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله انّي لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت كلا يا أبت قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثمّ وضعت عليها ثوباً ثمّ أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يدع عليه فقال: لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

وقال العلّامة محمد حسين هيكل: وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم يدورون باحثين في كل الأنحاء، والتقوا براع على مقربة من غار ثور سألوه، فكان جوابه: قد يكونان بالغار وإن كنت لم أر أحداً أمّه. وتصبب أبو بكر عرقاً حين سمع جواب الراعي وخاف أن يقتحم الباحثون عنهما الغار، فأمسك أنفاسه وبقي لا حراك به وأسلم لله أمره، وأقبل بعض القرشيين يتسلقون الغار، ثمّ عاد أحدهم أدراجه فسأله أصحابه: مالك لم تنظر في الغار؟ فقال: انّ عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد (ص)، وقد رأيت حمامتين بفم الغار فعرفت أن ليس أحد فيه. ويزداد إمعاناً في الصلاة ويزداد أبو بكر خوفاً فيقترب من صاحبه ويلصق نفسه به، فيهمس محمد في أذنه «لا تحزن انّ الله معنا» ... الخ.

قال ابن هشام[٣]: قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله (ص) في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر،

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٣.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٠.

وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه إليهم. الى أن قال: فإذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلمّا ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ثمّ علقها به، فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر «ذات النطاق» لذلك.

ثمّ قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين وتفسيره انّها لمّا أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر.

وقال الحلبي: وفي لفظ قطعت نطاقها قطعتين فأوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقي فلم يبق شيء منه.

ويوافقه ما في البخاري عن أسماء انّها قالت: لم نجد لسفرة رسول الله (ص) أي لمحلها الذي هو الجراب ولا لسقائه أي الذي هو القربة ما نربطها، فقلت لأبي بكر: لا والله ما أجد شيئاً أربط به الّا نطاقي. قال: فشقّيه اثنين واربطي بواحد السقاء وبواحد السفرة، ففعلت. فلذلك سميت «ذات النطاقين» أي سماها رسول الله (ص).

وقال الحلبي: فنطاق المرأة أي الذي لا تستغني عنه عند اشتغالها، لأن النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر في ذيلها ... الخ.

وقال الزيني دحلان[1]: وفي بعض الروايات: انّ أسماء كانت تأتيهما من مكة إذا أمست بما يصلحهما من الطعام، واستاجر رسول الله (ص) وأبو بكر قبل خروجهما من مكة عبدالله بن أريقط ـ هو تصغير ارقط وهو اسم رجل ـ دليلاً وهو على دين كفار قريش فسخّره الله لهما ليقضي الله أمره ولم يعرف له إسلام، فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفي رواية الزهري: حتى إذا هدأت عنهما الأصوات جاء صاحبهما ببعيريهما.

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٥.

وقال الحلبي[١]: وفي الفصول المهمة: وأقام رسول الله (ص) ثلاثة أيام بلياليها في الغار، وقريش لا يدرون أين هو، وأسماء بنت أبي بكر تأتيهما ليلاً بطعامهما وشرابهما، فلمّا كان بعد الثلاث أمرها (ص) أن تأتي عليّاً وتخبره بموضعهما وتقول له: يستأجر دليلاً ويأتي معه بثلاث من الإبل بعد مضي ساعة من الليلة الآتية وهي الليلة الرابعة، فجاءت أسماء الى علي فأخبرته بذلك، فاستاجر لهما رجلاً يقال له الأُريقط بن عبدالله الليثي وأرسل معه بثلاث من الإبل، فجاء بهن الى أسفل الجبل ليلاً، فلمّا سمع النبي (ص) رغاء الإبل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه. الى أن قال: وفي الدر المنثور فمكث هو (ص) وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام يختلف اليهما بالطعام عامر بن فهيرة وعلي يجهّزهما، فاشترى ثلاثة أباعر واستأجر لهم دليلاً، فلمّا كان في بعض الليل من الليلة الثالثة أتاهم علي بالإبل والدليل فليتأمل ذلك مع ما قبله.

وفي حديث مرسل: مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوماً ما لنا طعام الّا ثمر البرير ـ اي الاراك.

قال ابن عبد البر: وهذا ـ أي القول بأنهما مكثا في الغار بضعة عشر يوماً ـ غير صحيح عند أهل العلم بالحديث.

قال الحافظ ابن حجر: والمراد كما قال الحاكم أنهما مكثا مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوماً.

وقال الزيني دحلان[٢]: وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس غيره والدليل أخذ بهم طريق الساحل، وفي رواية فأجازهما أسفل مكة ثمّ مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان، ثمّ أجازهم حتى عارض الطريق، وصار أبو بكر إذا سأله سائل عن النبي (ص): من هذا الذي معك؟ يقول: هاد يهديني الطريق. وكان أبو بكر يكثر الأسفار للتجارة، فكان معروفاً عندهم والنبي لكونه قليل الأسفار لا يعرفونه. فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر فيسأله عنه فيجيبه بقوله: هاد يهديني السبيل، ولا يتكلم

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٤٠.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٥.

بكلام الّا ويورّي في كلامه.

ويروى ـ أن النبي (ص) قال لأبي بكر: اله الناس ـ أي اشغل الناس عني أي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني، فانّه لا ينبغي لنبي أن يكذب، أي ولو صورة كالتورية، فكان أبو بكر يجيبهم بنحو ما تقدم ... الخ.

وروى محمد بن سعد[١] بسنده عن أنس بن مالك قال: أقبل نبي‌الله (ص) الى المدينة وهو مردف أبا بكر. قال: وأبو بكر شيخ[٢] يعرف ونبي الله شاب لا يعرف. قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. قال: فيحسب الحاسب انّما يهديه الطريق، وانّما يعني سبيل الخير.

قال: والتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا. قال: فالتفت نبي‌الله (ص) فقال: اللهم اصرعه. قال: فصرعته فرسه ثمّ قامت تحمحم. قال: فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: فقال (ص) قف مكانك فلا تتركن أحداً يلحق بنا. قال: فكان أول النهار جاهداً على رسول الله (ص) وكان آخر النهار مسلحة له ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: قال أبو بكر: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا منهم الّا سراقة بن مالك على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. فقال: لا تحزن انّ الله معنا. الى أن قال: فدعا عليه رسول الله فقال: اللهم اكفناه بما شئت، فساخت قوائم فرسه الى بطنها ... الخ.

قال ابن هشام[٣]: لمّا خرج رسول الله (ص) من مكة مهاجراً الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم. قال سراقة: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا عليَّ آنفاً انّي لأراهم محمداً وأصحابه. قال: فأومأت بعيني أن اسكت. ثمّ قلت: انّما هو بنو فلان يتبعون ضالة لهم. قال: لعله ثم

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٥.

(٢) وقال الزيني دحلان وأبو بكر شيخ أي شيبه ظاهر وإن كان النبي (ص) أسن منه الخ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٤.

سكت. ثمّ مكثت قليلاً ثمّ قمت فدخلت بيتي ثمّ أمرت بفرسي فقيد لي الى بطن الواي، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثمّ أخذت قداحي التي استقسم بها، ثمّ انطلقت فلبثت، ثمّ أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ولا يضره. قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش فآخذ المائة الناقة. قال: فركبت على أثره، فبينا فرسي يشتد به عثر بي فسقطت عنه. قال: فقلت ما هذا؟ قال: ثمّ أخرجت قداحي. الى أن قال: فأبيت الّا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره، فلمّا بدا لي القوم رأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه، ثمّ انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منّي ... الخ. وقال الحلبي: قال سراقة فسألته أن يكتب لي كتاب أمن. الى أن قال: فأمر (ص) عامر بن فهيرة ـ وقيل أبا بكر ـ فكتب لي في رقعة من أدم وقيل من قطعة من عظم وقيل خرقة .. الخ.

وقال محمد بن سعد[1]: وكان خروج رسول الله (ص): من الغار ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول، فقال يوم الثلاثاء بقديد، فما راحوا منها عرض لهم سراقة بن مالك بن جعشم وهو على فرس له، فدعا عليه رسول الله (ص) فرسخت قوائم فرسه، فقال: يا محمد ادع الله أن يطلق فرسي وأرجع عنك وأرد من ورائي، ففعل فأطلق ورجع، فوجد الناس يلتمسون رسول الله (ص) فقال: ارجعوا فقد استبرأت لكم ما ههنا وقد عرفتم بصري بالأثر، فرجعوا عنه ... الخ.

قال ابن الأثير[2]: وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي (ص) دية، فتبعهم سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، فلحقهم وهم في أرض صلبة، فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركنا الطلب. فقال: لا تحزن انّ الله معنا، ودعا عليه فارتطمت فرسه الى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان، فقال: ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك عليّ أن أردّ عنك الطلب. فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى، فقال:

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٥.

يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك فادع لي ولك عهد الله أن أردّ عنك الطلب، فدعا له فخلص وقرب من النبي وقال له: يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي وانّ إبلي بمكان كذا فخذ ما أحببت. فقال (ص): لا حاجة لي في إبلك، فلمّا أراد أن يعود عنه قال له رسول الله: كيف بك يا سراقة إذا سورت بسواري كسرى. قال: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم. فعاد سراقة، فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب الّا قال: كفيتم ما ههنا، ولا يلقى أحداً الّا ردّه.

قالت أسماء بنت أبي بكر: لمّا هاجر رسول الله (ص) أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا: أين أبوك؟ فقلت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده فلطم خدي لطمة طرح قرطي وكان فاحشاً خبيثاً ... الخ.

والزيني دحلان[1]: قال أبو بكر: تبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. فقال: لا تحزن انّ الله معنا. وكان النبيﷺ لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات. الى أن قال: وفي بعض التفاسير انّه عاهد الله سبع مرات ثمّ ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الأرض، وجاء في رواية انّ سراقة لمّا دنا من النبي (ص) صاح وقال: يا محمد من يمنعك منّي اليوم؟ فقال النبي (ص): يمنعني الجبار الواحد القهار. ونزل جبريل وقال: يا محمد انّ الله عز وجل يقول: جعلت الأرض مطيعة لك فأمرها بما شئت. فقال رسول الله: يا أرض خذيه. فأخذت الأرض أرجل جواده الى الركب، فساق سراقة فرسه ولم يتحرك، فقال: يا محمد الأمان ... الخ.

وقال الحلبي[2]: وفي الفصول المهمة: لمّا اتصل خبر مسيره الى المدينة، وذلك في اليوم الثاني من خروجه من الغار، جمع الناس أبو جهل وقال: بلغني أن محمداً قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران، فأيكم يأتيني بخبره؟ فوثب سراقة فقال: أنا لمحمد يا أبا الحكم. ثمّ انّه ركب راحلته واستجنب فرسه وأخذ معه عبداً له أسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين، فسار في أثر النبي (ص) سيراً عنيفاً حتى لحقا به، فقال أبو بكر:

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٧.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٤٤.

يا رسول الله قد دهينا، هذا سراقة قد أقبل في طلبنا ومعه غلامه الأسود المشهور. فلمّا أبصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه وأقبل نحوهم، فلمّا قرب منهم قال النبي: اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وأنّى شئت. فغابت قوائم فرسه في الأرض حتّىٰ لم يقدر الفرس أن يتحرك، فلمّا نظر سراقة اليه هاله ورمى نفسه عن الفرس الى الأرض ورمى رمحه وقال: يا محمد أنت أنت وأصحابك ـ أي أنت كما أنت أي آمن وأصحابك ـ فادع ربك يطلق لي جوادي ولك عهد وميثاق أن أرجع عنك، فرفع النبي يديه الى السماء وقال: اللهم إن كان صادقاً فيما يقول فأطلق له جواده: قال: فأطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتّىٰ وثب على الأرض سلياً. ثمّ قال: ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فأنكر انّه رأى محمداً (ص)، فلا زال به أبو جهل حتّىٰ اعترف وأخبرهم بالقصة، وفي ذلك يقول سراقة مخاطباً لأبي جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمهْ

علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فماذا يقاومه

وقال السيوطي[1]: وأخرج الشيخان عن أبي بكر قال: طلبنا القوم ولم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. قال: لا تحزن انّ الله معنا، فلمّا كان بيننا قيد رمح أو ثلثه دعا عليه رسول الله (ص) فقال: اللهم اكفناه بما شئت. فساخت به فرسه في الأرض الى بطنها، فقال: يا محمد قد علمت أن هذه عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، فدعا له فانطلق راجعاً.

وقال أيضاً: وأخرج ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم عن أنس قال: لمّا خرج النبي ﷺ وأبو بكر التفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا. فقال: اللهم اصرعه، فصرع عن فرسه، فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا، فكان أول النهار جاهداً على رسول الله (ص) وآخر النهار مسلحة له أي حافظاً له.

---

(١) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٦.

وقال الشبلنجي[١]: وبينما هم في الطريق إذ عرض لهم سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه الى ركبتيها والأرض صلبة، فناداهم: الأمان فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا وقالوا: أخف عنا، فرجع وصار لا يلقى أحداً الّا رده ويقول: سبرت الطريق فلم أجد أحداً.

ثمّ قال: ووقع في طريق الهجرة عجائب:

منها: انّهم مروا بقديد على أُم معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقي من يمر بها وكانت السنة مجدبة، فطلبوا منها لبناً ولحماً يشترونه فلم يجدوا، فنظر (ص) الى شاة خلفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحبتها، فسألها: هل بها لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذاك. فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم، فدعا بها وبإناء فاعتقلها ومسح ضرعها وسمّى الله تعالى فدرّت، فحلب وسقى القوم حتى رووا، ثمّ شرب آخره ثمّ حلب ثانياً وتركوه وذهبوا، فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال: هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته.

ثمّ قال: وفي سيرة الحلبي: انّ أُم معبد هاجرت وأسلمت، وكذا زوجها وأخوها، وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك، وبقيت تلك الشاة يحلبونها ليلاً ونهاراً الى أن ماتت في خلافة عمر بن الخطاب.

ثمّ قال الشبلنجي: ومنها ما رواه الزمخشري في ربيع الأبرار عن هند بنت الجون: نزل رسول الله (ص) خيمة خالتها أُم معبد، فقام من رقدته ـ أي نومه ـ فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومجّ في عوسجة الى جانب الخيمة، فأصبحنا وهي كأعظم دوحة، وجاءت بثمرة كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد، ما أكل منها جائع الّا شبع ولا ظمآن الّا روى ولا سقيم الّا برىء، ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الّا درّ لبنها، فكنا نسميها المباركة، ويأتينا من البوادي من يستشفي بها ويتزود منها، حتّىٰ أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها، ففزعنا فما راعنا الّا نعي رسول الله (ص)، ثمّ انّها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها الى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها، فما شعرنا الّا

---

(١) نور الأبصار ص ٢٢.

بقتل أمير المؤمنين علي (ع)، فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها، ثمّ أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها، فبينما نحن فزعون مهمومون إذ أتانا خبر قتل الحسين بن علي (ع)، ويبست على أثر ذلك وذهبت. انتهى.

وقال الزيني دحلان[١]: ثمّ ارتحلوا فمروا بقديد ـ اسم لموضع ـ على أُم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية، وهي معدودة من الصحابيات لأنها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية ... الخ.

وقال محمد بن سعد[٢]: فمروا بخيمتي أُم معبد الخزاعية وكانت امرأة جلدة برزة. الى أن قال: فإذا القوم مرملون ـ أي جائعون ـ، ومسنتون ـ أي مجدبون ـ، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم من القرى، فنظر رسول الله (ص) الى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أُم معبد؟ قالت: هذه شاة خلفها الجهد من الغنم. الى أن قال: فدعا رسول الله (ص) بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها. الى أن قال فسقاها فشربت حتّىٰ رويت، وسقى أصحابه حتّىٰ رووا وشرب آخرهم، وقال: ساقي القوم آخرهم، فشربوا جميعاً ... الخ.

وقال السيوطي[٣]: ثمّ حلب فيه ثانياً بعد بدء حتّىٰ ملأ الإناء، ثمّ غادره عندها ثمّ بايعها وارتحلوا عنها، فقلّ ما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً، فلمّا رأى اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله الّا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي. قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة وترزيه صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج وفي أشفاره عطف، وصوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٥.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٠.

(٣) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٨.

قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن ربعة لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصناً بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا له وإن أمر تبادروا الى أمره، محفود محشود لا عابس ولا معتد. فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة. رواه البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبراني والحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم.

ثمّ قال السيوطي: وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدي بسنده عن أُم معبد قالت: بقيت الشاة التي لمس ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً ـ أي صباحاً ومساء ـ وما في الأرض قليل ولا كثير.

وقال أيضاً: وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر قال: خرجت مع رسول الله (ص) من مكة فانتهينا الى حي من أحياء العرب فنظر رسول الله (ص) الى بيت منتحياً، فقصد اليه، فلمّا نزلنا لم يكن فيه الّا امرأة وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز يسوقها، فقالت له: انطلق بهذه العنز الى هذين الرجلين ليذبحاها ويأكلا. فلمّا جاء قال له النبي ﷺ: انطلق بالشفرة وجئني بالقدح. فقال: انّها قد عزبت وليس لها لبن. قال (ص): انطلق، فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي (ص) ضرعها ثمّ حلب حتّىٰ ملأ القدح، ثمّ قال: انطلق به الى أُمك، فشربت حتّىٰ رويت، ثمّ جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى، ففعل بها كذلك، ثمّ سقى أبا بكر، ثمّ جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثمّ شرب النبي (ص) قال: فبتنا ليلتنا ثمّ انطلقنا، فكان تسمّيه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً الى المدينة.

قال البيهقي: الظاهر أن هذه المرأة أُم معبد.

ثمّ قال السيوطي: وأخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم عن قيس بن النعمان قال: لمّا انطلق رسول الله (ص) وأبو بكر مستخفيين مرّا بعبد يرعى غنماً، فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء وقد أخرجت وما بقي لها لبن. فقال: ادع بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا، وجاء أبو بكر بمجن وسقى (ص) أبا بكر وحلب فسقى الراعي، ثمّ حلب فشرب (ص) فقال

الراعي: من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط؟ قال: محمد رسول الله. قال: أنت الذي تزعم قريش انّه صابي؟ قال: انّهم يقولون ذلك. قال: فأشهد انّك نبي، وانّ ما جئت به حق، وانّه لا يفعل ما فعلت الّا نبي. انتهى ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى.

وقال الصبان[١]: وما مشينا عليه من تقدم المرور بخيمة أُم معبد على ملاقاة سراقة هو الصحيح كما في السيرة الحلبية، ولقيه أيضاً على طريقه بريدة بن الحصيب في نحو سبعين من قومه، فدعاهم الى الإسلام فأسلموا وقد كانوا خرجوا طمعاً فيما جعلته قريش.

وقال الزيني دحلان[٢]: ومما وقع لهم في الطريق انه (ص) لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين. فكسا الزبير رسول الله (ص) ثياباً بيضاء. وكذا لقي طلحة بن عبيدالله النبي (ص) وأبا بكر فكساهما.

وأخرج البيهقي عن بريدة بن الحصيب قال: لمّا جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي (ص) حملني الطمع فركبت في سبعين من بني سهم. الى أن قال بريدة للنبي: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبدالله. فقال بريدة: أشهد أن لا اله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً. قال بريدة: الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين. فلمّا أصبح رسول الله (ص) قال بريدة: يا رسول الله لا تدخل المدينة الّا ومعك لواء، فحل عمامته ثمّ شدها في رمح ثمّ مشى بين يديه حتّىٰ دخلوا المدينة.

ولمّا سمع المسلمون في المدينة بخروج رسول الله (ص) من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرون رسول الله حتّىٰ يردهم حر الظهيرة، وكان خروجهم ثلاثة أيام، وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها بالغار، فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس، وإذا رجل من اليهود صعد على أطم ـ أي محل مرتفع من أطامهم ـ لأمر ينتظر اليه، فبصر برسول الله (ص) وأصحابه مبيضين ـ أي لابسين ثياباً بيضاء وهي التي كساهم إياها الزبير وطلحة في الطريق ـ فلمّا رآهم ذلك فلم يملك اليهودي أن قال

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٣٢.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٨.

بأعلى صوته: يا معشر العرب. وفي رواية يا بني قيلة ـ وهم الأنصار وأُمهم تسمّى قيلة ـ هذا جدكم أي حظكم الذي ينتظرونه. وفي رواية: لمّا دنوا من المدينة بعثوا رجلاً من البادية الى أبي امامة أسعد بن زرارة وأصحابه من الأنصار ولا مانع من الأمرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله (ص) بظهر الحرة وهو مع أبي بكر في ظل نخلة كانت هناك، ثمّ قالوا لهما: ادخلوا آمنين مطمئنين. وفي رواية: فاستقبله (ص) زهاء خمسمائة من الأنصار فقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فعدلا ذات اليمين ونزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكان نزوله (ص) عند كلثوم بن الهدم، لأنه كان شيخ بني عمرو بن عوف، وهم بطن من الأوس، وكان كلثوم يومئذ مشركاً ثمّ أسلم وتوفي قبل غزوة بدر بيسير. وقيل أسلم قبل وصوله (ص) المدينة.

وعند وصوله نادى كلثوم: يا نجيح لغلام، فقال رسول الله (ص) لأبي بكر: نجحت يا أبا بكر، وكان (ص) يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزباً لا أهل له هناك، وكان منزله يسمّى منزل العزّاب، وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة. ونزل أبو بكر عل خبيب بن أساف، وقيل خارجة بن زيد.

ولمّا توجه (ص) الى لمدينة أمر عليّاً أن يقيم بعده حتّىٰ يرد الودائع، فقام علي بالأبطح ينادي: من كان له عند رسول الله وديعة فليأت تؤدّىٰ اليه أمانته، فلمّا نفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله (ص) بالشخوص اليه، فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأُم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين، ولمّا وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبي (ص) وكان عليّ في طريقه يسير الليل ويكمن ـ أي استخفى ـ النهار حتّىٰ تفطرت قدماه، ولمّا وصل اعتنقه النبي (ص) وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك.

ولا مانع من وقوع ذلك من عليّ مع وجود ما يركبه لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشياً رغبة في عظيم الأجر.

وسرى السرور الى القلوب بوصول النبي (ص).

قال البراء بن عازب: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله.

وعن أنس بن مالك: لمّا كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله (ص) المدينة أضاء منها كل شيء، وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير ـ أي الأسطحة ـ عند قدومه (ص) يعلن بقولهن: طلع البدر علينا ... الخ.

وعن عائشة: لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهراً:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيّها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

قال ابن هشام[1]: ثمّ قدم بهما دليلهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى وكادت الشمس تعتدل. الى أن قال: وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتّىٰ أدّى عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس، حتّىٰ إذا فرغ منها لحق برسول الله (ص) فنزل معه على كلثوم بن هدم، فكان علي بن أبي طالب انّما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين ... الخ.

وقال ابن الأثير[2]: وقدم بهما دليلهما قباء، فنزل على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حتّىٰ كادت الشمس تعتدل، فنزل رسول الله (ص) على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف، وقيل نزل على سعد بن خيثمة وكان عزباً وكان ينزل عنده العزّاب من أصحاب النبي، وكان يقال لبيته بيت العزّاب، ونزل أبو بكر على خبيب ابن اساف بالسنح، وقيل نزل على خارجة بن زيد أخي بني الحرث بن الخزرج. وأمّا علي فانّه لمّا فرغ من الذي أمره به رسول الله (ص) هاجر الى المدينة فكان يسير الليل ويكمن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٧.
(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٦.

النهار حتّىٰ قدم المدينة وقد تفطرت قدماه، فقال النبي (ص): ادعوا لي عليّاً. قيل: لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّها على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتّىٰ قتل. ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها، فرأى انساناً يأتيها كل ليلة ويعطيها شيئاً، فاستراب بها فسألها عنه فقالت: هو سهل بن حنيف قد علم انّي امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها اليّ ويقول احتطبي بهذه، فكان علي يذكر ذلك عن سهل ابن حيف بعد موته.

وقال الكازروني اليماني: ولمّا نزل رسول الله (ص) على كلثوم أو سعد نزل أبو بكر على خبيب بن اساف بالسنح ـ اسم لمكان ـ وقيل نزل على خارجة بن زيد، وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتّىٰ أدّى عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس، ثمّ لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم.

وقال محمد بن سعد[1]: فلمّا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله وهو يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ويقال لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، جلسوا كما كانوا يجلسون، فلمّا أحرقتهم الشمس رجعوا الى بيوتهم، فإذا رجل من اليهود يصيح على أطم بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا صاحبكم قد جاء، فخرجوا فإذا رسول الله (ص) وأصحابه الثلاثة، فسمعت الرحبة في بني عمرو بن عوف والتكبير وتلبّس المسلمون السلاح، فلمّا انتهى رسول الله (ص) الى قباء جلس وقام أبو بكر يذكر الناس، وجاء المسلمون يسلّمون على رسول الله (ص)، ونزل رسول الله على كلثوم بن الهدم وهو الثبت عندنا ولكنه كان يتحدث مع أصحابه في منزل سعد بن خيثمة وكان يسمّى منزل العزّاب، فلذلك قيل نزل على سعد بن خيثمة.

الى أن قال: قال أنس بن مالك: فشهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا، وشهدته يوم مات فما رأيت قط يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات.

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٣.

ثمّ قال: قال البراء بن عازب: لمّا جاء النبي (ص) يعني الى المدينة في الهجرة فما رأيت أشد فرحاً منهم بشيء من النبي، حتّىٰ سمعت النساء والصبيان والاماء يقولون: هذا رسول الله قد جاء قد جاء.

ثمّ قال: قال عبدالله بن سلام: لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس اليه وقيل قدم رسول الله (ص) قال: فجئت في الناس لأنظر اليه. قال: رأيت وجه رسول الله (ص) إذا وجهه ليس بوجه كذّاب. قال: فكان أول شيء سمعته يتكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا والناس نيام، وادخلوا الجنة بسلام.

الى أن قال: قال أنس بن مالك: قدم رسول الله (ص) فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام أربع عشرة ليلة، ثمّ أرسل الى ملأ من بني النجار فجاؤه متقلدي سيوفهم ... الخ.

وقال الطبري[1]: وقدم دليلهما بهما قباء على بني عمرو بن عوف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى وكادت الشمس أن تعتدل. الى أن قال: فنزل رسول الله (ص) فيما يذكرون على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف. ثمّ قال: وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتّىٰ أدّىٰ عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده الى الناس حتّىٰ إذا فرغ منها لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم بن هدم، فكان علي يقول: وانّما كانت إقامته بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة ليلة أو ليلتين ... الخ.

وقال الحلبي[2]: نزل (ص) بقباء في دار بني عمرو بن عوف، وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على كلثوم بن الهدم، لأنه كان شيخ بني عمرو بن عوف وهم بطن من الأوس الى أن قال: ونزل علي بن أبي طالب لمّا قدم المدينة على كلثوم أيضاً بقباء بعد أن تأخر بمكة بعده ثلاث ليال ليؤدي الودائع التي كانت عند النبي (ص) لأمره بذلك كما تقدم، فلمّا توجه (ص) قام علي بالأبطح ينادي: من كان له عند رسول الله (ص) وديعة

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨١.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٥٢.

فليأت تؤدّى اليه أمانته، فلمّا نفذ ذلك ورد عليه كتاب النبي (ص) بالشخوص اليه، فابتاع ركائب وقدم معه الفواطم ومعه أُم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين.

الى أن قال: وفي الامتاع لمّا قدم علي من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتّىٰ تفطرت قدماه، فاعتنقه النبي (ص) وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ... الخ.

وقال ابن الصباغ المالكي[1]: فوصل رسول الله (ص) الى قباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ونزل على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف. وقال قوم: نزلوا على سعد بن خيثمة، والصحيح أنه نزل على كلثوم بن الهدم، غير أنه كان إذا خرج من منزل كلثوم يجلس للناس في منزل سعد بن خيثمة، وراودوه على الدخول الى المدينة فقال: ما أنا بداخلها حتّىٰ يقدم ابن عمي وابنتي ـ يعنى عليّاً وفاطمة.

قال أبو اليقظان: ولمّا وصل رسول الله (ص) الى قباء حدثنا بما أرادت به قريش من المكر ومن مبيت عليّ على فراشه وبين مواخاة الله بين جبرئيل وميكائيل وجعل عمر أحدهما أطول من عمر الآخر. الحديث المقدم بتمامه كما ذكره صاحب الكشاف أيضاً قال: وكتب النبي (ص) الى علي يأمره بالمسير اليه والمهاجرة هو ومن معه، وكان علي بعد أن توجه رسول الله (ص) قام صارخاً بالأبطح ينادي: من كان له قبل محمد رسول الله ﷺ أمانة فليأت ترد اليه أمانته، وقضى حوائجه ﷺ وجميع أموره وابتاع ركائب واجمالاً بسبب المهاجرة ولم يكن ينتظر غير ورود كتاب رسول الله، فلمّا ورد عليه الكتاب خرج بالفواطم وخرج معه أُم أيمن مولاة النبي (ص) وجماعة من ضعفاء المؤمنين ومعهم أيمن أيضاً، فأتوا النبي (ص) وهو نازل بقباء على بني عمرو بن عوف ولم يدخل المدينة، فلمّا أن جاؤا خرج من قباء يوم الجمعة.

وقال الشبلنجي[2]: فنزل (ص) بقباء وكان يوم الاثنين، قيل في أول ربيع الأول، وقيل في ثانية عشرة منه، وأدركه علي هو ومن معه من ضعفاء المؤمنين بقباء، ولم يقم بعد خروج النبي (ص) بمكة الّا ثلاثة أيام ... الخ.

---

(١) الفصول المهمة ص ٥٢.

(٢) نور الأبصار ص ٢٢.

وقال أحمد بن عبدالله الطبري في ذخائر العقبى[١]: قال ابن إسحاق: وأقام علي بمكة بعد النبي (ص) ثلاث ليال وأيامها حتّىٰ أدّىٰ عن النبي (ص) الودائع التي كانت عنده للناس حتّىٰ إذا فرغ منها لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم بن الهدم، ولم يقم بقباء الّا ليلة أو ليلتين.

وقال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب[٢]: قال علي: لمّا خرج رسول الله (ص) الى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس وانّما كان يسمّى الأمين، فأقمت ثلاثاً وكنت أظهر ما تغيبت يوماً واحداً ثمّ خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله (ص) حتّىٰ قدمت على بني عمرو بن عوف ورسول الله مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهدم وهناك منزل رسول الله (ص).

ثمّ قال صاحب كفاية الطالب: قلت هكذا رواه غير واحد، وكان تخلفه عن رسول الله (ص) بأمره.

---

(١) ذخائر العقبى ص ٦٠.

(٢) كفاية الطالب ص ٣٢٢.

خروج رسول الله (ص) من قباء متوجهاً إلى المدينة

قال ابن هشام[1]: قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسّس مسجده، ثمّ أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان، فأدركت رسول الله (ص) الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاّها في المسجد الذي في بطن الوادي (رانوناء)، (كعاشوراء) فكانت أول جمعة صلاّها بالمدينة، فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن فضلة في رجال من بني سالم بن عوف فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة. قال: خلّوا سبيلها فانّها مأمورة ... الخ.

قال محمد بن سعد[2]: قالوا أقام رسول الله (ص) ببني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج يوم الجمعة فجمع في بني سالم، ويقال أقام ببني عمرو ابن عوف أربع عشرة ليلة، فلمّا كان يوم الجمعة ارتفاع النهار دعا راحلته وحشد المسلمون وتلبّسوا بالسلاح وركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء والناس معه عن يمينه وشماله، فاعترضته الأنصار لا يمر بدار من دورهم الاّ قالوا: هلمّ يا نبي الله الى القوة والمنعة والثروة، فيقول لهم خيراً ويدعو لهم ويقول انّها مأمورة فخلّوا سبيلها، فلمّا أتى مسجد بني سالم جمع بمن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٦.

كان معه من المسلمين وهم مائة.

وقال الكازروني اليماني: وأقام رسول الله (ص) بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم ثمّ خرج عنهم يوم الجمعة، وقيل مكث فيهم بضعة عشر يوماً، وقيل كان أصحاب رسول الله (ص) حين قدم قباء قد بنوا مسجداً يصلّون فيه، فصلّى بهم فيه ولم يحدث في المسجد شيئاً، فأقام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، فركب من قباء يوم الجمعة يؤمّ المدينة فجمع في بني سالم، فكانت أول جمعة جمعها في الإسلام وخطب يومئذ ... الخ.

وقال الزيني دحلان[1]: وكان خروجه (ص) من قباء يوم الجمعة بعد أن لبث يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة، وأسس (ص) بقباء المسجد الذي أسس على التقوى وصلّى فيه. الى أن قال: وروى الطبراني عن الشموس بنت النعمان قالت: نظرت الى رسول الله (ص) حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتّىٰ تتبعه، فيأتي الرجل من أصحابه فيقول: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكفيك. فيقول: لا، حتّىٰ أسسه.

ثمّ قال: ولمّا ركب (ص) وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماش وراكب، ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصاً على كرامة رسول الله (ص) وتعظيماً له، حتّىٰ دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، ولعبت الحبشة بحرابها فرحاً برسول الله (ص)، وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء: يا رسول الله أخرجت ملالاً أو تريد داراً خيراً من ديارنا؟ قال: انّي أُمرت بقرية تأكل القرى أي تغلبها فخلّوا سبيلها يعني ناقته، ثمّ أدركته الجمعة في مسجد بني سالم بن عوف، وهو المسجد الذي في بطن الوادي على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة، فصلّى بمن معه من المسلمين وكانوا مائة، وهي أول جمعة صلاّها (ص) بالمدينة، وخطب بها وهي أول خطبة خطبها في الإسلام.

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٦٩.

وقال ابن الأثير[١]: وأقام رسول الله بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم ثمّ خرج يوم الجمعة، وقيل أكثر من ذلك والله أعلم. وأدركت رسول الله (ص) الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الذي ببطن الوادي، فكانت أول جمعة صلّاها بالمدينة.

وقال الشبلنجي[٢]: وأقام بقباء في بني عمرو بن عوف اثنين وعشرين يوماً، وقيل أربع عشرة ليلة، وقيل ثلاثاً، وقيل أربعة أيام، الى أن قال: ثمّ خرج رسول الله (ص) من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلّاها بمن كان معه من المسلمين وكانوا مائة في بطن الوادي رانوناء ـ براء مهملة ونونين ممدوداً ... الخ.

وقال الطبري[٣]: قد مضى ذكرنا وقت مقدم النبي (ص) المدينة وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها وعلى من كان نزوله وقدر مكثه في الموضع الذي نزل وخبر ارتحاله عنه، ونذكر الآن مالم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدومه (ص) وهي السنة الأُولى من الهجرة، فمن ذلك تجميعه (ص) بأصحابه الجمعة في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء، وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً للمدينة فأدركته الصلاة صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ببطن واد لهم قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً فيما بلغني، وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول الله (ص) في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة، وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل.

ثمّ قال: خطبة رسول الله (ص) في أول جمعة جمعها بالمدينة:

حدثني يونس بن عبدالأعلى، قال أخبرنا ابن وهب، قال حدثني سعيد بن عبدالرحمن الجحمي: أنه بلغه عن خطبة رسول الله (ص) في أول جمعة صلّاها بالمدينة في بني سالم بن عوف:

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٧.
(٢) نور الأبصار ص ٢٢.
(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٣٩٤.

«الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره. وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلّة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضلّ ضلالاً بعيداً. أوصيكم بتقوى الله، فانّه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً، وانّ تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلّا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يودّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك، فانّه يقول عزّ وجلّ: ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد، فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فانّه من يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويوقى عقوبته ويوقى سخطه، وانّ تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولاتفرّطوا في جنب الله، قد علّمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بيّنة ولا قوة إلّا بالله، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم، فانّه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر ولا قوة إلّا بالله العظيم».

وقال الصبان[1]: قال جماعة: أدركته الجمعة في مسيره من قباء الى المدينة فصلّاها وهي أول جمعة صلّاها وأول خطبة خطبها في الإسلام ... الخ.

وقال الحلبي: أقول هذا واضح إن كان أقام في قباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٣٣.

كما تقدم، وأمّا على أنه أقام بضع عشرة ليلة أو أكثر من ذلك كما تقدم فيبعد أنه (ص) لم يصلّ الجمعة في قباء في تلك المدة. ثمّ رأيت في كلام بعضهم انّه كان يصلّي الجمعة في مسجد قباء في إقامته هناك، ويبعد أنه (ص) صلّاها من غير خطبة.

وفي الجامع الصغير: «انّ الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في مشهدي هذا في عامي هذا الى يوم القيامة، مَنْ تركها من غير عذر مع إمام عادل أو إمام جائر فلا جمع الله شمله ولا بورك له في أمره، ألا ولا صلاة ولا حج له ألا ولا بركة له ولا صدقة له» فإن كان قال ذلك في هذه الخطبة التي خطبها في المسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك أنها لم تكن واجبة قبل ذلك، وهو مخالف قول فقهائنا انّها وجبت بمكة ولم تقم بها لعدم قدرتهم على إظهارها بمكة.

وقال ابن هشام: قال ابن إسحاق: ثمّ خطب مرة أخرى فقال «الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، انّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زيّنه في قلبه وأدخله الإسلام بعد الكفر واختار على ما سواه من أحاديث الناس، انّه أحسن الحديث وأبلغه، أحبّوا ما أحب الله، أحبّوا الله كل قلوبكم ولا تملّوا كلام الله ذكره، ولا تقس عنه قلوبكم، فانّه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي قد سمّاه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أُوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، انّ الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم».

وقال الزيني دحلان[1]: ومن خطبته (ص):

«فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّ تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فانّها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة».

الى أن قال: ولمّا ركب (ص) أرخى لناقته زمامها وهي تنظر يميناً وشمالاً، وكلما مرّ على دار

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٧٠.

من دور الأنصار يدعونه للمقام عندهم، يقولون: يا رسول الله هلمّ الى القوة والمنعة. فيقول: خلّوا سبيلها فانّها مأمورة. وفي ذلك حكمة بالغة، هي أن يكون تخصيصه عليه السلام بمن خصّه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك في صدور أحد منهم شيئاً، ولمّا مرّ على بني سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك وعبادة بن الصامت ونوفل بن عبدالله بن مالك فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العز والثروة والمنعة. وفي رواية: انزل فينا فانّ فينا العدد والعدة والحلقة ـ أي السلاح ـ ونحن أصحاب الحلائف فقال (ص) لهم خيراً، وقال لهم: خلّوا سبيلها فانّها مأمورة وهو (ص) متبسّم ويقول: بارك الله فيكم.

فانطلقت حتّىٰ وردت دار بياضة ـ أي محلتهم ـ فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم، فأجابهم بأنها مأمورة خلّوا سبيلها حتّىٰ وردت دار بني ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو أبو دجانة، فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم: خلّوا سبيلها فانّها مأمورة.

فانطلقت حتّىٰ مرّت بدار بني النجار وهم أخواله (ص) أي أخوال جده عبدالمطلب، فسأله بنو عدي بن النجار بمثل ما تقدم فأجابهم بانّها مأمورة. فانطلقت حتّىٰ بركت بمحل من محالهم، وذلك في محل المسجد أو محل بابه أو منبره عند دار بني مالك بن النجار، وكان ذلك الموضع الذي بركت فيه مربداً لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو. والمربد الموضع الذي يجفف فيه التمر، وقيل كل شيء حبست فيه من الإبل والغنم. ثمّ ثارت وهو (ص) عليها حتّىٰ بركت على باب أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وهو من بني مالك النجار، ثمّ ثارت وبركت في مبركها الأول عند المسجد.

قال الحافظ بن حجر: أشارت الى أنه منزله حيّاً أو ميتاً. وألقت جرانها بالأرض ـ يعني باطن عنقها ـ وأزرمت يعني صوتت من غير أن تفتح فاها، ونزل عنها وقال: هذا لمنزل إن شاء الله، واحتمل أبو أيوب رحله بإذنه (ص) وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة، وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها، وهم أخوال عبدالمطلب جده (ص) فأكرمهم الله بنزوله عندهم.

وفي رواية: انّها استناخت به أولاً ثمّ جاء ناس فقالوا: المنزل يا رسول الله فقال: دعوها، فانبعثت حتّىٰ بركت عند المنبر من المسجد ثمّ تحلحلت، فنزل عنها وقال: رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ـ أربع مرات ـ وأخذه الذي كان يأخذه عند الوحي وسري عنه، فقال: هذا إن شاء الله يكون المنزل. فأتاه أبو أيوب فقال إنّ منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك. قال: نعم، فنقله وأناخ الناقة في ظلاله، فلمّا نقل رحله قال (ص): المرء مع رحله. ثمّ جاء أسعد بن زرارة فأخذ ناقته (ص) فكانت عنده.

قال أبو أيوب: لمّا نزل عليَّ رسول الله (ص) حين قدم المدينة فكنت في العلو، وفي رواية لمّا نزل رسول الله (ص) في بيتي نزل في السفل وكنت أنا وأم أيوب في العلو، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي انّي أكره وأعظم أن أكون فوقك، فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل. فقال: يا أبا أيوب انّ الأرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت، فكان النبي في سفله وكنّا فوقه في المسكن.

الى أن قال: وفي رواية انّ أبا أيوب انتبه فقال: نمشي فوق رسول الله فتحوّلوا وباتوا في جانب. ثمّ قال: فلمّا أصبحت قلت: يا رسول الله ما بتّ الليلة أنا ولا أُم أيوب. قال: لمَ يا أبا أيوب؟ قلت: كنت أحق بالعلو منّا، تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي. فقال: السفل أرفق بنا. قلت: لا يكون ذلك والذي بعثك بالحق، لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً.

وزاد في رواية: فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه (ص) حتّىٰ تحول الى العلو ... الخ.

وقال ابن هشام[1]: فانطلقت حتّىٰ إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ثمّ من بني مالك بن النجار وهما في حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابني عمرو، فلمّا بركت ورسول الله لم ينزل وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثمّ التفتت الى خلفها فرجعت الى مبركها أول مرة فبركت فيه ثمّ تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله (ص)، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله وسأل عن المربد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٤٠.

لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجداً فأمر به رسول الله (ص) أن يبني مسجداً ونزل رسول الله على أبي أيوب حتّىٰ بنا مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله (ص) ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرين والأنصار.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: فيقول رسول الله (ص): لا عيش إلّا عيش الآخرة، اللّهم ارحم المهاجرين والأنصار. فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن، فقال: يا رسول الله قتلوني ويحملون عليَّ ما لا يحملون. قالت أُم سلمة زوج النبي: فرأيت رسول الله ينفض وفرته بيده وكان رجلاً جعداً وهو يقول: ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انّما يقتلك الفئة الباغية، وارتجز علي بن أبي طالب (ع) يومئذ:

لا يستوي من يعمر المساجدا
يدأب فيه قائماً وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا: بلغنا انّ علي بن أبي طالب ارتجز به، فلا يدرى أهو قائله أم غيره. الى أن قال: وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبي قال: انّ أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر ... الخ.

وقال الكازروني اليماني: ثمّ ركب (ص) راحلته فسار يمشي مع الناس حتّىٰ بركت عند مسجد الرسول بالمدينة، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثمّ دعا رسول الله (ص) الغلامين اليتيمين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله (ص) أن يقبله منهما هبة حتّىٰ ابتاع منهما ثمّ بنا مسجداً، وطفق رسول الله (ص) ينقل معهم اللبن في بنائه.

الى أن قال: وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأولى من الهجرة ـ بعث رسول الله ﷺ الى بناته وزوجته سودة بنت زمعة زيد بن حارثة وأبا رافع فحملاهن من مكة الى المدينة.

ثمّ قال: وفي هذه السنة بنى رسول الله (ص) بعائشة في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر، وقيل في السنة الثانية، والأول أصح، وكان تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين، وروي انّه (ص) لم يتزوج بكراً غيرها، وتوفي رسول الله ولها ثمان عشرة سنة، وتوفيت في أيام معاوية بالمدينة سنة ثمان وخمسين ولها سبع وستون سنة ودفنت بالبقيع.

وفي هذه السنة زيد في صلاة الحضر، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين غير المغرب، وذلك بعد مقدم رسول الله (ص) المدينة بشهر.

وذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده انّ عائشة قالت: كان أول ما افترض على رسول الله (ص) من الصلاة ركعتان ركعتان إلّا المغرب فانّها كانت ثلاثاً، ثمّ أتمّ الله الظهر والعصر والعشاء أربعاً في الحضر، فأقرّ الصلاة على فرضها الأول في السفر ... الخ.

وقال الشبلنجي[1]: وكان مبرك ناقته (ص) مِربداً للتمر ـ بكسر الميم وفتح الموحدة أي محلاً لجمعه وتجفيفه ـ ليتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فدعا بهما وكان جالساً في دار أبي أيوب وساومهما على المربد، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. الى أن قال: ثمّ بنى فيه مسجداً وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوعاً وجعل ارتفاعه قامة وجعل قبلته الى بيت المقدس الى أن حوّلت القبلة الى الكعبة فحوّلها، ثمّ زاد فيه النبي (ص) بعد فتح خيبر لكثرة الناس.

وقال ابن الأثير[2]: ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة، فمن ذلك تجميعه (ص) بأصحابه الجمعة في اليوم الذي نزل فيه من قباء في بني سالم في بطن واد لهم، وهي أول جمعة جمعها رسول الله (ص) في الإسلام، وخطبهم وهي أول خطبة، وكان رحل من قباء يريد المدينة فركب ناقته وأرخى زمامها، فكان لا يمرّ بدار من دور الأنصار إلّا قالوا: هلمّ يا رسول الله الى العدد والعدة والمنعة، فيقول: خلّوا سبيلها فانّها مأمورة حتّىٰ انتهى الى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بني النجار، فلمّا بركت لم ينزل عنها، ثمّ وثبت فسارت غير بعيد

---

(١) نور الأبصار ص ٢٣.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٩.

ورسول الله (ص) واضع لها زمامها لا يثنيها به، فالتفتت خلفها ثمّ رجعت الى مبركها أول مرة فبركت ووضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله ﷺ واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحله، وسأل رسول الله (ص) عن المربد فقال معاذ بن عفراء: هو ليتيمين لي وسأرضيهما من ثمنه، فأمر به رسول الله أن يبنى مسجداً، وقام عند أبي أيوب حتّىٰ بنى مسجده ومساكنه.

وقيل: انّ موضع المسجد كان لبني النجار فيه نخل وحرث وقبور المشركين، فقال رسول الله (ص): ثامنوني به. فقالوا: لا نبغي به إلّا ما عند الله، فأمر به فبنى مسجده، وكان قبله يصلّي حيث أدركته الصلاة، وبناه هو والمهاجرون والأنصار، وهو الصحيح.

وفيها بنى مسجد قباء، وفيها أيضاً توفي كلثوم بن الهدم، وتوفي بعده أسعد بن زرارة وكان نقيب بني النجار فاجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله (ص) أن يقيم لهم نقيباً، فقال لهم: أنتم إخواني وأنا نقيبكم، فكان فضيلة لهم.

وفيها مات أبو أحيحة بالطائف والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي بمكة مشركين، وفيها بنى النبي بعائشه بعد مقدمه بثمانية أشهر، وقيل بسبعة أشهر في ذي القعدة، وقيل في شوال، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة، وهي ابنة ست سنين، وقيل ابنة سبع سنين.

وفيها هاجرت سودة بنت زمعة زوج رسول الله (ص) وبناته ما عدا زينب، وهاجر أيضاً عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبدالله وطلحة بن عبيدالله.

وفيها زيد في الحضر ركعتان بعد مقدمه المدينة بشهر، وفيها ولد عبدالله بن الزبير، وقيل في السنة الثانية في شوال، وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، وكان النعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة، وقيل انّ المختار بن أبي عبيدة وزياد بن أبيه ولدا فيه.

وقال الطبري[1]: وقيل انّ رسول الله (ص) اشترى موضع مسجده ثمّ بناه، والصحيح عندنا في ذلك ما حدثنا مجاهد بن موسى. الى أن قال: كان موضع مسجد النبي (ص) لبني النجار، وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية، فقال لهم رسول الله (ص):

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٩٦.

ثامنوني به. فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلّا ما عند الله، فأمر رسول الله (ص) بالنخل فقطع وبالحرث فأفسد وبالقبور فنبشت، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك يصلّي في مرابض الغنم وحيث أدركته الصلاة، وتولّى بناء مسجده هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار.

وفي هذه السنة بني مسجد قباء، وكان أول من توفي بعد مقدمه المدينة من المسلمين فيما ذكر صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه المدينة إلّا يسيراً حتّىٰ مات، ثمّ توفي بعده أسعد بن زرارة في سنة مقدمه (ص).

الى أن قال: وفيها بنى رسول الله (ص) بعائشة، وهى ابنة ست سنين أو سبع سنين، وفيها زيد في صلاة الحضر فيما قيل ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم رسول الله (ص) المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة ليلة منه. وزعم الواقدي انّه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه ... الخ.

وقال محمد بن سعد[1]: قال زيد بن ثابت: فأول هدية دخلت على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها قصعة مثرودة فيها خبز وسمن ولبن، فقلت: أرسلت بهذه القصعة أُمي. فقال: بارك الله فيك، ودعا أصحابه فأكلوا فلم أرح الباب حتّىٰ جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق، وما كان من ليلة الّا وعلى باب رسول الله الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ذلك حتّىٰ تحول رسول الله (ص) من منزل أبي أيوب وكان مقامه فيه سبعة أشهر ... الخ.

وقال الزيني دحلان[2]: ومكث (ص) في دار أبي أيوب سبعة أشهر الى أن بنى المسجد وبعض مساكنه. ولمّا تحول رسول الله (ص) من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون، فتنافس فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتّىٰ اقترعوا عليهم بالسهمان، فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الأنصار إلّا بقرعة بينهم، وكان المهاجرون في دور الأنصار ... الخ.

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٧.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٧٢.

وقال الحلبي[١]: وعند نزوله (ص) في بيت أبي أيوب صارت تأتي اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة، وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه (ص) في بيوت أزواجه. الى أن قال: وفي لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه (ص) مدة مقامه في منزل أبي أيوب وهو تسعة أشهر، وأول طعام جيء به اليه (ص) في دار أبي أيوب قصعة أُم زيد بن ثابت ... الخ.

وقال الشبلنجي[٢]: وبنى (ص) في ذلك المربد حجرتي زوجته سودة وعائشة وأمّا بقية حجر زوجاته فبناها بعد عند الحاجة اليها، ومكث (ص) في بيت أبي أيوب سبعة أشهر الى أن تمّ المسجد والحجرتان.

وفي شرح المقاصد قال: وفي الصحيح في ذكر بناء المسجد كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي (ص) فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار، ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن ... الخ.

وقال الحلبي[٣]: ولمّا بنى المسجد جعل في المسجد محلاً مظللاً يأوي اليه المساكين يسمّى «الصفة»، وكان أهله يسمّون أهل الصفة، وكان (ص) في وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة.

وظاهر السياق انّ ذلك ـ أي المحل ـ فعل في زمن بناء المسجد وآوى اليه المساكين من حينئذ، لكن روى البيهقي عن عثمان بن اليمان قال: لمّا كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى أنزلهم رسول الله (ص) المسجد وسمّاهم أصحاب الصفة، وكان يجالسهم ويأنس بهم، وكان إذا صلّى أتاهم فوقف عليهم فقال: لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقراً وحاجة.

ثمّ قال الحلبي: أقول ذكر أن المسجد كان إذا جائت العتمة يوقد فيه بسعف النخل، فلمّا قدم

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٨١.
(٢) نور الأبصار ص ٢٣.
(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٨١.

تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالاً وزيتاً. وعلّق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت، فقال (ص): نورت مسجدنا نور الله عليك.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ أي السنة الأولى من الهجرة ـ آخى بين المهاجرين والأنصار في دار أنس، وذلك أنه لمّا قدم رسول الله (ص) الى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعين رجلاً من الأنصار، وقيل كانوا خمسين من الأنصار وخمسين من المهاجرين، وكان ذلك قبل بدر، فلمّا كانت وقعة بدر أنزل الله تعالى ﴿وأُولُوا الأَرحامِ بَعْضُهُم أَوْلىٰ بِبَعْضٍ في كتابِ الله﴾[1] نسخت هذه الآية ماكان قبلها وانقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل إنسان الى نسبه وورثه ذو رحمه.

وقال ابن هشام[2]: قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال فما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل: تآخوا في الله أخوين أخوين. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي. فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين، واليه أوصى حمزة يوم أُحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت، وجعفر ابن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين وكان جعفر ابن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة ... الخ.

وقال محمد بن سعد[3]: قالوا لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة

---

(١) سورة الاحزاب / الآية ٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٩/١.

(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٣٨.

وأربعون من الأنصار، ويقال كانوا مائة، خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار. الى أن قال: انّ رسول الله (ص) حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس. انتهى.

وقال الزيني دحلان[١]: ولمّا كان بعد قدومه (ص) بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار، قال السهيلي: لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض، فلمّا عزّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وأنزل الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنونَ إِخْوَة﴾[٢] أي في توادد وشمول الدعوة، وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين، خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار، وكان المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الأنصار في ذلك جهدهم. انتهى.

وقال الشبلنجي[٣]: وآخى (ص) بين المهاجرين والأنصار بعد ثمانية أشهر من مقدمه ـ كذا في أسد الغابة ـ فعقدوا عقدها، وقيل كتبوا بذلك كتاباً، وكان ذلك في دار أنس بن مالك، وفي رواية في المسجد على أن يتوارثوا بعد الممات دون ذوي الأرحام ثمّ نسخ، قيل لم يقع به توارث بل نسخ الحكم قبل العمل به.

وقال الصبان[٤]: وآخى بين المهاجرين والأنصار على المساواة والحق والتوارث بعد الموت دون الأقارب في دار أنس بن مالك، وكانوا يتوارثون به دون القرابة ثمّ نسخ، وقيل لم يقع توارث به بالفعل بل الحكم نسخ قبل العمل به، وقبل الهجرة آخى (ص) بين المهاجرين بلا توارث، فالاخاء وقع مرتين ... الخ.

وقال الحلبي[٥]: وآخى بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وهي دار أبي طلحة زوج أُم أنس واسمه زيد بن سهل. الى أن قال: والمعروف المشهور أن المؤاخاة انّما وقعت مرتين

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٧٥.
(٢) سورة الحجرات / الآية ١٠.
(٣) نور الأبصار ص ٢٤.
(٤) إسعاف الراغبين ص ٣٠.
(٥) السيرة الحلبية ٢ / ٩٠.

مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة والله أعلم. ويدل لذلك قول بعضهم: كانوا إذْ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار، وقيل كانوا تسعين فأخذ بيد علي بن أبي طالب (ع) فقال هذا أخي، فكان رسول الله (ص) وعلي أخوين. الى أن قال: وفي كلام بعضهم انّه آخى بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه أوصى حمزة يوم أُحد. فليتأمل فإنهما مهاجران. ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: هذا أخي، فكان رسول الله (ص) وعلي أخوين.

وفيه انّ هذا ليس من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد تقدم في المؤاخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مؤاخاته له (ص).

وفي رواية: لمّا آخى رسول الله (ص) بين أصحابه جاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد. فقال رسول الله (ص): أنت أخي في الدنيا والآخرة.

قال الترمذي: هذا حسن غريب، وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة وبين معاذ بن جبل. الى أن قال: قال بعضهم: والمؤاخاة من خصائصه ولم يكن ذلك لنبي قبله ... الخ.

قال ابن صباغ المالكي: في مؤاخاة رسول الله له وسبب تسميته بأبي تراب الى أن قال: فمن ذلك ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمر أنه قال: لمّا آخى رسول الله (ص) بين أصحابه جاءه علي بن أبي طالب وعيناه تدمعان فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فسمعت رسول الله (ص) يقول: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وقال: ثمّ قال وعن مناقب ضياء الدين الخوارزمي[1] عن ابن عباس قال: لمّا آخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو أنه آخى بين أبي بكر وعمر، وآخى بين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، وآخى بين طلحة والزبير، وآخى بين أبي ذر الغفاري والمقداد،

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ٧.

ولم يؤاخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم. خرج عليّ مغضباً حتّىٰ أتى جدولاً من الأرض وتوسد ذراعه ونام فيه تسفي الريح عليه، فطلبه النبي (ص) فوجده على تلك الصفة فوكزه برجله وقال: قم فما صلحت إلّا أن تكون أبا تراب: أغضبت حين آخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أُواخ بينك وبين أحد، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي، ألا من أحبك فقد حف بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية.

وقال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي[1] بسنده عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن عبدالله: انّ هؤلاء القوم يدعونني الى شتم علي بن أبي طالب. قال: وما عسيت أن تشتمه به. قال: أكنيه بأبي تراب. قال: فوالله ما كانت لعلي كنية أحب اليه من أبي تراب، انّ النبي (ص) آخى بين الناس ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فخرج مغضباً حتّىٰ أتى كثيباً من رمل فنام عليه، فأتاه النبي (ص) فقال: يا أبا تراب أغضبت أن آخيت بين الناس ولم أواخ بينك وبين أحد؟ قال: نعم. قال رسول الله (ص): أنت أخي وأنا أخوك. هكذا رواه. وروى أيضاً بسنده عن ابن عمر الحديث الذي رواه الترمذي في صحيحه ثمّ قال: جعل (ص) يضم الشكل الى الشكل والمثل الى المثل فيؤلف بينهم، الى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وأدخر عليّاً لنفسه واختصّه بأُخوّته، وناهيك بها من فضيلة وشرف، انّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأخرجه الإمام أحمد في مناقب علي بسنده عن سعيد بن المسيب: انّ رسول الله (ص) آخى بين أصحابه، فبقى رسول الله وأبو بكر وعمر وعلي فآخى بين أبي بكر وعمر، وقال لعلي: أنت أخي وأنا أخوك، وناهيك به مخرجاً.

ثمّ قال: ورويناه عن جابر بن عبدالله قال: سمعت علي بن أبي طالب ينشد ورسول الله يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... معه ربيت وسبطاه هما ولدي

جدّي وجدّ رسول الله متّحد ... وفاطم زوجتي لا قول ذي فند

---

(١) كفاية الطالب ص ١٩٣.

صدقته وجميع النـاس في ظـلم من الضلالة والاشراك والنكـد

... الخ. فتبسّم رسول الله (ص) وقال: صدقت يا علي. انتهى.

وروى سبط بن الجوزي[١] بسنده عن مجدوح بن زيد الباهلي قال: آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، فبكى علي، فقال رسول الله: ما يبكيك؟ فقال: لم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال: انّما ادخرتك لنفسي. ثمّ قال لعلي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. ثمّ قال: يا علي أما علمت انّه أول من يدعى به يوم القيامة أنا، فأقوم عن يمين العرش. الى أن قال: ثمّ أنت أول من يدعى بك لقرابتك منّي ومنزلتك عندي ويدفع اليك لوائي وهو لواء الحمد. الى أن قال: فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك، حتّىٰ تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، وتكسى حلة خضراء من حلل الجنة، وينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك علي، بشّر يا علي فانّك ستكسى إذا كسيت، وتدعى إذا دعيت، وتحيي إذا حييت، وتقف على عقر حوضي تسقي من عرفت ... الخ.

ثمّ قال سبط بن الجوزي: فإن قيل: قد أخرج طرف من هذا الحديث في المـوضوعات. قلنا: الذي أخرج فيالموضوعات من طريق الدارقطني ميسرة بن حبيب الهـندي والحكـم ابن ظهير. الى أن قال: ثمّ ضعف الدارقطني ميسرة بن حبيب والحكم، ونحن نقول: الحديث الذي رواه أحمد في الفضائل ليس فيه ميسرة ولا الحكم، وأحمد مـقلَّد في البـاب مـتى روى حديثاً وجب المصير الى روايته، لأنه إمام زمانه وعالم أوانه والمبرز في علم النقل على أقرانه والفارس الذي لا يجارى في ميدانه. وهذا هو الجواب عن جميع ما يرد في الباب وفي أحاديث الكتاب.

وقد أخرج أحمد في الفضائل عن جابر قال: قال رسول الله (ص): يا علي والذي نفسي بيده انّ على باب الجنة مكتوباً «لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب أخو رسول الله» قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي سنة.

فإن قيل: وهذا الحديث مخرج في الموضوعات. قلنا: المتهم به زكريا بـن يحـيى ضـعفه

---

(١) تذكرة الخواص ٢٩.

ابن معين وغيره، وأحمد رواه من غير طريق زكريا، ولو كان حديثاً مطعوناً فيه لبيّنه.

وقال أحمد في الفضائل الى أن قال الراوي: سمعت أسماء بنت عميس تقول سمعت رسول الله (ص) يقول: اللّهم انّي أقول كما قال أخي موسى: «واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً اشدد به أزري، واشركه في أمري».

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب الى أن قال: عن سعيد بن المسيب أن رسول الله قال ـ وقد آخى بين أصحابه ـ: أين علي بن أبي طالب؟ فجاء فقال: يا علي أنت أخي وأنا أخوك، فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلّا كذّاب.

وهذا الحديث قد أخرجه جدي في كتاب الأحاديث الواهية، وحكى عن ابن معين أنه قال في إسناده عمرو بن عبدالله ليس بشيء. والجواب ما تقدم، وعمرو بن عبدالله بن أبي يعلى ابن مرة من أولاد التابعين، وكان يعلى بن مرة من الصحابة وأحمد أرسله عن ابن المسيب.

وذكر أحمد في الفضائل فقال: حدثنا محمد بن الحسن. الى أن قال: عن عبدالله بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله (ص) في مسجده فقال لي: أين فلان وأين فلان؟ فجعل ينظر في وجوه أصحابه ويتفقدهم ويبعث اليهم حتّىٰ توافوا عنده، فحمد الله وأثنى عليه وآخى بينهم، فقال له علي بن أبي طالب: لقد ذهبت روحي يا رسول الله حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من الله فلك العتبى والكرامة. فقال رسول الله: والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنت أخي ووارثي. فقال: يا رسول الله وما أرث منك؟ قال: ما ورث الأنبياء قبلي. قال: وما ورثوا؟ قال: كتاب الله وسنن أنبيائه وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي والحسن والحسين ابنيَّ، وأنت رفيقي. ثمّ تلى رسول الله ﴿إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِين﴾[1].

فإن قيل: ففي إسناده عبدالمؤمن بن عباد وكان ضعيفاً. والجواب: الحديث الذي يرويه عبدالمؤمن حديث طويل أخرجه أبو محمد بن عدي الحافظ من حديث زيد بن أبي أوفى، وقد خرجه جدي أبو الفرج في الأحاديث الواهية، أمّا هذا الحديث فخرجه أحمد في الفضائل من

---

(١) سورة الحجر / الآية ٤٧.

غير رواية عبدالمؤمن ورجاله ثقات وهو من حديث عبدالله بن أبي أوفى، فهذا حديث وذاك آخر، والدليل على صحته أنه أخرجه الترمذي بمعناه في جامعه ... الخ. انتهى ما نقله سبط بن الجوزي في التذكرة.

وقال ابن حجر: الحديث السابع أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: آخى النبي (ص) بين أصحابه ـ الحديث.

وقال أحمد بن عبدالله الطبري[1]: ذكر اخائه للنبي (ص)، عن ابن عمر قال: آخى رسول الله (ص) بين أصحابه ـ الحديث.

وقال: أخرجه البغوي في المصابيح في الحسان، وفي رواية من حديث الإمام أحمد انّ النبي (ص) قال له لمّا قال آخيت بين أصحابك وتركتني، قال: ولم تراني تركتك، انّما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك.

وعن علي قال: طلبني النبي (ص) فوجدني في حائط نائم، فضربني برجله وقال: قم فوالله لأرضيك أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة، ومن مات على عهدك فقد قضي نحبه، ومن مات على دينك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت. أخرجه أحمد.

وعن جابر قال: على باب الجنة مكتوب «لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي أخو رسول الله».

وفي رواية: مكتوب على باب الجنة «محمد رسول الله، علي أخو رسول الله» قبل أن تخلق السماوات والأرض بألفي سنة. أخرجهما أحمد في المناقب. انتهى ما ذكره في ذخائر العقبى.

قال سليمان بن إبراهيم الحنفي في أحاديث المؤاخاة: أحمد في مسنده بسنده عن زيد بن أبي أوفى ـ الحديث.

وفي المشكاة عن ابن عمر قال: آخى رسول الله (ص) بين أصحابه ـ الحديث عبدالله ابن أحمد في زيادات المسند بسنده عن سعيد بن المسيب قال: آخى بين أصحابه في مكة،

---

(١) ذخائر العقبى ص ٦٦.

فآخى بين أبي بكر وعمر، وقال لعلي: أنت أخي.

أحمد في مسنده بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره، ثمّ أخذ بيد علي فقال: هذا أخي.

موفق بن أحمد بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت عليّاً يقول: أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ـ الأشعار.

أيضاً أخرج موفق بن أحمد أحد عشر حديثاً في المؤاخاة. أيضاً أخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند ستة أحاديث في المؤاخاة. أيضاً أخرج ابن المغازلي ستة أحاديث في المؤاخاة. أيضا أخرج الحمويني الحديثين في المؤاخاة كلها بالإسناد عن مجاهد عن ابن عباس وعكرمة عن ابن عباس وعن سعيد بن المسيب وعن ابن عمر وعن زيد بن أبي أوفى وعن أنس وعن زيد بن أرقم وعن حذيفة بن اليمان وعن مخدوج بن زيد الهذلي وعن أبي امامة وعن جميع بن عمير.

عبدالله بن أحمد في زوائد المسند بسنده عن مخدوج بن زيد انّ رسول الله (ص) آخى بين أصحابه ثمّ قال: يا علي أنت أخي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد ـ الحديث.

وفي كتاب المسامرة للشيخ محيي الدين العربي رويناه من حديث محمد بن إسحاق المطلبي قال: آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، وقال رسول الله: تؤاخوا في الله أخوين، ثمّ أخذ بيد علي بن أبي طالب ـ الحديث انتهى ما نقله في ينابيع المودة.

أقول: وقد ظهر مما ذكره الحلبي في السيرة أن المؤاخاة وقع مرتين قبل الهجرة وبعد الهجرة على المشهور، وانّ النبي (ص) في المرتين آخى بينه وبين علي. وهذه أيضاً فضيلة لا يشاركه فيها أحد ولا يدّعيها إلّا كذّاب كما روي عنه أيضاً.

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأُولى من الهجرة ـ أسلم عبدالله بن سلام، قال أنس: لما قدم رسول الله (ص) المدينة أخبر عبدالله بن سلام بقدومه فأتاه فقال: انّي سائلك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبي، فإن أخبرتني بها آمنت بك، وإن لم تعلمهن

عرفت أنك لست بنبي، قال (ص): وما هُنَّ؟ قال يعني أنس: سأله عن الشبه، وعن أول شيء يأكله أهل الجنة، وعن أول شيء يحشر الناس. فقال رسول الله (ص) أخبرني بهن جبرئيل آنفاً، قال: ذاك عدو اليهود. قال (ص): أمّا الشبه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهبت بالشبه. الى أن قال: فأمسك وقال: أشهد أنك رسول الله (ص) ... الخ.

وقال ابن هشام[1]: قال ابن إسحاق: وكان من حديث عبدالله بن سلام كما حدثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم وكان حبراً عالماً قال: لمّا سمعت برسول الله (ص) عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنّا نتوكف له، فكنت مسرّاً لذلك صامتاً عليه، حتّىٰ قدم رسول الله (ص)، فلمّا نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتّىٰ أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي خالدة ابنة الحرث جالسة، فلمّا سمعت الخبر لقدوم رسول الله كبّرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت. قال: فقلت لها: أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به. قال: فقالت: أي ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: ثمّ خرجت الى رسول الله (ص) فأسلمت ثمّ رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا. قال: وكتمت إسلامي من اليهود، ثمّ جئت رسول الله (ص) فقلت له: يا رسول الله انّ اليهود قوم بهت وانّي أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم ثمّ تسألهم عني حتّىٰ يخبروك كيف أنا منهم قبل أن يعلموا إسلامي، فانّه إن علموا به بهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلّموه وسألوه، ثمّ قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيّدنا وحبرنا وعالمنا. قال: فلمّا فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله انّكم لتعلمون انّه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فانّي أشهد انّه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبت، ثمّ وقعوا بي، فقلت لرسول الله: ألم أخبرك

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٦٣.

يا رسول الله انّهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحرث فحسن إسلامها.

وقال الزيني دحلان: وكان ـ يعني عبدالله بن سلام ـ من أعلم أحبار اليهود، وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله (ص) عبدالله، وكان من ولد يوسف الصدّيق، وقد أثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائيلَ عَلى مِثْلِه فآمَنَ واستكبرتُمْ﴾[1] وكان من يهود بني قينقاع، جاء الى رسول الله (ص) وسمع كلامه في أول يوم دخل فيه رسول الله دار أبي أيوب، والذي سمعه قوله «يا أيها الناس أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

قال: لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل اليه الناس ـ بالجيم أي أسرعوا ـ فكنت ممن أتى اليه. قال: فلمّا رأيت وجهه عرفت أنه وجه غير كذّاب، أي لأن صورته وهيئته وسمته تدل عند العقلاء على صدقه وأنه لا يقول الكذب، وعند ذلك قلت: أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنك جئت بحق. ثمّ رجعت الى أهل بيتي فأسلموا، وكتمت إسلامي من اليهود ... الخ.

وذكر الكازروني اليماني في كتاب مولد النبي: في هذه السنة ـ يعني سنة الأول من الهجرة ـ إسلام سلمان الفارسي، حيث روى بسنده عن ابن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل اصفهان من قرية منها يقال لها جي، وكان أبي دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله تعالى اليه، وفي بعض طرقها: انّ سلمان كان يرعى الغنم لسيّدته قال: فأخبرت انّه قدم المدينة رجل يزعم انّه نبي، فهبط سلمان الى المدينة فنظر الى النبي ودار حوله، فلمّا رآه النبي عرف ما يريد، فأرسل ثوبه حتّىٰ خرج خاتمه (ص) فلمّا رآه أتاه وكلّمه، ثمّ انطلق فاشترى بدينار، بنصفه شاة فشواها وبنصفه خبز. ثمّ أتى النبي فقال: ما هذا. قال سلمان: صدقة. قال: لا حاجة لي بها أخرجها فليأكلها المسلمون. ثمّ انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً فأتى به النبي، فقال: ما هذا؟ قال: هذه هدية. قال: فاقعد فكل وأكلا جميعاً منهم وأسلم سلمان. وفي بعض طرقها قال سلمان بعد ذكر الهدية والصدقة والخاتم فقلت أشهد

---

(١) سورة الأحقاف / الآية ١٠.

أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله . قال : من أنت ؟ قلت : مملوك . قال : لمن أنت ؟ قلت : لامرأة من الأنصار . الى أن قال : وروي انّ سلمان قال : تداولني بضعة عشر من رب الأرب ، وروي من أهل العلم انّ سلمان عاش ثلاث مائة وخمسين سنة فأمّا مائتين وخمسين سنة فلا يشكّون فيه .

معاهدة رسول الله مع اليهود

قال الزيني دحلان[1]: كتب رسول لله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، ودعا فيه يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وصالحهم على ترك الحرب والأذى، وأن لا يحاربهم ولا يؤذيهم، وأن لا يعينوا عليه أحداً، وانّه إن دهمه بها عدو ينصروه، وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم.

وقال ابن هشام[2]: قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط عليهم واشترط لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أُمة واحدة من دون الناس المهاجرون والأنصار من قريش على ربعتهم يتعاقلون، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين» ثمّ ذكر كل بطن من بطون الأنصار بني ساعدة وبني الحارث وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني النبيت وبني الأوس الى أن قال:

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٧٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٤٧.

«وانّ المؤمنين لا يتركون مفرجاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وانّ المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وانّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وانّ ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وانّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وانّه مَن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وانّ سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلّا على سواء وعدل بينهم، وانّ كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضاً، وانّ المؤمنين ينبيء بعضهم عن بعض بما نال دمائهم في سبيل الله، وانّ المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وانّه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً و لايحول دونه على مؤمن، وانّه من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بيّنة فانّه قود به إلّا أن يرضي ولي المقتول، وانّ المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلّا قيام عليه، وانّه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخرة أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وانّه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وانّكم مهما اختلفتم فيه من شيء فانّ مردّه الى الله والى محمد، وانّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وانّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلّا من ظلم أو أثم فانّه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته، **وانّ ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف**» الى أن عدّ البطون والطوائف وقال (ص):

«وانّ لهم مثل ما ليهود بني عوف، وانّ موالي ثعلبة كأنفسهم، وانّ بطانة يهود كأنفسهم، وانّه لا يخرج أحد منهم إلّا بإذن محمد، وانّه لا يتحجز على ثار جرح وانّه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلّا من ظلم، وانّ الله على أبر هذا، وانّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وانّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وانّ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وانّه لم يأثم أمرؤ بحليفه وانّ النصر للمظلوم، وانّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وانّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وانّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وانّه لا تجار حرمة إلّا بإذن أهلها، وانّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار

يخاف فساده، فانّ مردّه الى الله والى محمد رسول الله، وانّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وانّه لا تجار قريش ولا من نصرها، وانّ بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه، فانّهم يصالحونه ويلبسونه، وانّهم إذا دعوا الى مثل ذلك فانّ لهم على المؤمنين إلّا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وانّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة، وانّ البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلّا على نفسه، وانّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وانّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وانّ من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلّا من ظلم وأثم. وانّ الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله».

وقال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأُولى من الهجرة ـ رأى عبدالله بن زيد الأذان فعلّمه لبلال ... الخ.

وقال الصبان[1]: وفيها يعني في السنة الأُولى من الهجرة شرع الأذان والإقامة ... الخ.

وقال الزيني دحلان[2]: ولمّا قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلاة من غير دعوة، فإذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا، وكان بلال ينادي «الصلاة جامعة»، ثم تكلّم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة، فقال بعضهم: نتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، وقال عمر: تبعثون رجلاً منكم ينادي بالصلاة، وقال بعضهم: نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة، فرأى عبدالله بن زيد بن ثعلبة في منامه ... الخ.

وقال الحلبي[3]: باب بدء الأذان ومشروعيته والإقامة ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الأُمة كما أن من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير، فانّ صلاة الأمم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة، وكانت الأنبياء كأُممهم يستفتحون الصلاة

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٣٨.
(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٧٦.
(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٩٣.

بالتوحيد والتسبيح والتهليل، وكان دأبه (ص) في إحرامه لفظة «الله أكبر» ولم ينقل عنه سواها كالنية، ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم ﴿واسْجُدي واركَعِي مَعَ الراكِعِين﴾[1] لأن المراد به في ذلك الخضوع أو الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل، لكن في البغوي: قيل انّما قدّم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم، قيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها، وليست الواو للترتيب بل للجمع. هذا كلامه فليتأمل.

ثمّ قال الحلبي: وكان وجود ذلك ـ أي الأذان والإقامة ـ في السنة الأُولى، وقيل في السنة الثانية، ذكر انّ الناس انّما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها ـ أي لدخول أوقاتها من غير دعوة ـ وقد قال ابن المنذر: هو (ص) كان يصلّي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة، الى أن هاجر الى المدينة والى أن وقع التشاور: قال: ووردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة، ومن تلك الأحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر قال: لمّا أُسري برسول الله (ص) أوحى الله تعالى اليه بالأذان، فنزل به وعلّمه بلالاً. قال الحافظ ابن رجب: هو حديث موضوع.

ومنها ما رواه ابن مردوية عن عائشة مرفوعاً: لمّا أُسري بي أذّن جبريل فظنت الملائكة أنه ـ أي جبريل ـ يصلّي بهم، فقدّمني فصلّيت. قال فيه الذهبي: حديث منكر موضوع. هذا كلامه.

الى أن قال: وقد سئل الحافظ السيوطي: هل ورد أن بلالاً أو غيره أذّن بمكة قبل الهجرة؟ فأجاب بقوله: ورد ذلك بأسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها، والمشهور الذي صححه أكثر العلماء ودلت عليه الأحاديث الصحيحة أن الأذان انّما شرع بعد الهجرة، وانّه لم يؤذن قبلها بلال ولا غيره.

ثمّ قال الحلبي: وفي كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه، حيث ذكر أن الحق أنه لا يصح شيء من الأحاديث الدالة على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة.

ثمّ قال الحلبي: فقد ائتمر (ص) هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة، فقيل له: انصب

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٤٣.

راية عند حضور الصلاة فإذا رآها الناس آذن أي أعلم بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، فذكر له بوق يهودي يقال له الشَبور بفتح الشين المعجمة ثمّ موحدة مشددة مضمومة ثمّ واو ساكنة ثم راء. الى أن قال: فكرهه وقال: هو من أمر اليهود، فذكر له الناقوس الذي يدعون به النصارى لصلاتهم، فقال: هو من أمر النصارى، فقالوا: لو رفعنا ناراً فإذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة، فقال: ذلك للمجوس. انتهى ما نقله الحلبي.

أقول: ومما ذكرنا ظهر اختيار القوم في شرع الأذان، وانّ الأصح بينهم في تشريعه ما رآه عبدالله بن زيد أو غيره في منامه فأمضاه النبي (ص) ولكن الصواب من القولين هو ما نقله الطبراني عن ابن عمر من أن ليلة المعراج أوحى الله تعالى اليه بالأذان فنزل به وعلّمه بلالاً، لأن هذا هو المناسب لمقام النبوة والدين القيم الذي أسس على التقوى والوحي من الله تعالى، وهو المساعد للإعتبار عقلاً لا رؤيا عبدالله بن زيد وغيره. نعم لو رآه النبي (ص) في منامه وعلّمه بلالاً ساعده الإعتبار، لأن نومه كيقظته. والروايات الضعيفة بضميمة الإعتبار عقلاً ترجح على غيرها من الصحاح والحسان.

وما ذكرنا في بدء الأذان وانّه كان في السنة الأُولى من الهجرة هو اختيار الكازروني اليماني في كتاب مولد النبي (ص) والصبان في كتاب إسعاف الراغبين[١] وهو الظاهر من الحلبي والزيني دحلان في السيرتين[٢]، ولكن الذي يظهر من الطبقات[٣] والسيرة الهشامية انّه شرع في السنة الثانية.

قال ابن هشام[٤]: قال ابن إسحاق: فلمّا اطمأن رسول الله (ص) بالمدينة واجتمع اليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار واستحكم أمر الإسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام. الى أن قال: وقد كان رسول الله (ص) حين قدمها انّما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فهمّ رسول الله (ص) أن

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٣٨.
(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٩٣.
(٣) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٤٦.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٥٤.

يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ثمّ كرهه، ثمّ أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين الصلاة، فبيناهم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد النداء فأتى رسول الله (ص) فقال له: يا رسول الله انّه طاف بي هذه الليلة طائف مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبدالله أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت ندعوا به للصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك. قال: قلت وما هو؟ قال: تقول «الله أكبر» الأذان، فلمّا أخبر بها رسول الله (ص) قال: انّها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذّن بها.

ثمّ قال ابن هشام: وذكر ابن جريج قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول: ائتمر النبي (ص) وأصحابه بالناقوس للإجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام: لا تجعلوا الناقوس بل أذّنوا للصلاة، فذهب عمر الى النبي (ص) ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي الوحي بذلك، فما راع عمر إلّا بلال يؤذّن، فقال رسول الله حين أخبره بذلك: قد سبقك بذلك الوحي.

أقول: وهذا القول أقرب الى الصواب من القول الآخر، وإن كان الأصح من الأقوال ما أشرنا اليه من قضية المعراج.

معاداة اليهود للنبي (ص)

قال الزيني دحلان[1]: وعند ظهور الإسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله (ص) بغياً وحسداً لما خصّ الله به العرب، وأنزل الله فيهم ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِم وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكْبر﴾[2] الآيات. الى أن قال: وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الأذان والإعلان بالشهادة له.

ثمّ قال: ومن شدة عداوة اليهود للنبي (ص) أن لبيد بن الأعصم اليهودي صنع سحراً

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٧٦.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١١٨.

للنبي. الى أن قال: وعن ابن عباس: انّ يهود كانوا يستفتحون ـ أي يستنصرون ـ على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه، يقولون: سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فبعد أن ظهر الإسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل كفر وشرك، وتخبرون أنه مبعوث وتصفونه لنا. فقال سلام بن مشكم وهو من عظماء يهود بني النضير: ما جاء بشيء نعرفه ما هو الذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحونَ عَلَى الذينَ كَفَروا فَلَما جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافِرِين﴾[1].

وكان مالك بن الصليت من أحبار اليهود، وكان يبغض النبي (ص) ويلبس على اليهود وأخذ منهم كثيراً من المال، فحضر يوماً عند النبي (ص) فقال له النبي: أُنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى (ع) هل تجد فيها: انّ الله يبغض الحبر السمين؟ فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي تطعمك اليهود، فغضب فالتفت الى عمر وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فكان هذا كفراً بنبينا وبموسى وبما أنزل عليه. فقالت له اليهود: وما هذا الذي بلغنا عنك؟ فقال: انّه أغضبني فقلت ذلك، فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وأنزل الله ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الذي جاءَ بِهِ مُوسىٰ﴾[2]، وأنزل أيضاً ﴿فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَروا بِه﴾[3] الآية.

ويروى أن يهود المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهما كانوا إذا قابلوا من يليهم من مشركي العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبي (ص) يقولون: اللّهم إنّا نستنصرك بحق النبي الأُمي الذي وعدت أنك باعثه في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته إلّا نصرتنا عليهم. وفي لفظ يقولون: اللّهم ابعث النبي الذي نجد نعته في التوراة يعذبهم ويقتلهم.

---

(١) سورة البقرة / الآية ٨٩.
(٢) سورة الانعام / الآية ٩١.
(٣) سورة البقرة / الآية ٨٩.

وفي لفظ : انّ يهود خيبر كانوا يقاتلون غطفان، وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوماً : اللّهم إنّا نسألك بحق النبي الذي وعدت أن تخرجه لنا في آخر الزمان الّا نصرتنا.

الى أن قال : وممن كان من أحبار اليهود حريصاً على ردّ الناس عن الإسلام شاس بن قيس اليهودي، وكان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم، مرّ يوماً على الأنصار والأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم بعدما كان بينهم من العداوة، فقال : قد اجتمع بنو قيلة، والله ما لنا إذا اجتمعوا من قرار. فأمر شاباً من اليهود فقال : أعمد اليهم فاجلس معهم ثمّ اذكر يوم بعاث ـ أي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه ـ وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، أي قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذلك فردّ عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذلك، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة، أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت، فنادى هؤلاء : يا آل الأوس، ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج، ثمّ خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفّوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين، فقال : يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية، أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله الى الإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألّف بينكم، فعرفوا القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوه، فبكوا وعانق الرجل من الأوس الرجل من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) وأنزل الله في شاس بن قيس ﴿ يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً ﴾[1] الآية.

وأنزل الله في الأنصار ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَريقاً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُم كافِرين * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلىٰ عَلَيْكُم آياتُ اللهِ وَفيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيم * يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إِلّا وأَنتُمْ مُسْلِمُون * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذكُروا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْداءاً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فأَصْبَحتُمْ بِنِعمَتِهِ إِخْواناً وَكُنتُمْ علىٰ شَفا حُفرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْها

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٠٠.

كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهتَدُون﴾[١].

وصار اليهود يسألون النبي (ص) عن أشياء تعنتاً وحسداً وبغياً ليلبسوا الحق بالباطل، فمن جملة ما سألوه (ص) الروح، فعن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل أي جريد النخل إذ مرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون. وفي رواية: لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه، أي يجيبكم بما هو دليل على أنه النبي الأُمي وأنتم تكرهون نبوته. فقاموا اليه فقالوا: يا أبا القاسم ما الروح؟ وفي رواية: أخبرنا عن الروح. قال: الروح من أمر ربي. فقالوا كذا نجد في كتابنا التوراة.

وتقدم أن هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود، فلمّا سألوه سكت ينتظر هل يوحى اليه ويجيبهم بشيء غير ما أجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الأول بعينه، فأوحى الله بالآية بعينها فقرأها عليهم، فقالوا: كذا نجد في كتابنا.

وجاء يهوديان مرة الى النبي (ص) فسألاه عن قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَينا مُوسىٰ تِسعَ آياتٍ بَيِّنات﴾[٢] فقال لهما: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلّا بالحق ولا تسرقوا ولا تسخروا ولا تمشوا ببريء الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة، وعليكم يا يهود خاصة أن لا تعتدوا في السبت، فقبّلا يديه ورجليه وقالا: إنك نبي. قال: مايمنعكما أن تسلما؟ فقالا: نخاف إن أسلمنا تقتلنا اليهود.

وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافي أن بعضهم فسرها بالمعجزات التي أعطاها موسى (ع)، وهي التسعة المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، لأن تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين، وهذه آيات تدل على صدق موسى (ع)، ولا مانع من أن يراد بالآيات الحسية

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٠٠ ـ ١٠٣.

(٢) سورة الاسراء / الآية ١٠١.

والمعنوية الظاهرية والباطنية. والله أعلم.

وقال ابن هشام[١]: قال ابن إسحاق: ونصبت عند ذلك ـ يعني عند ظهور الإسلام وغلبة المسلمين ـ أحبار يهود لرسول الله (ص) العداوة بغياً وحسداً وضغناً لما خصّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وأضاف اليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلّا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنة من القتل ونافقوا في السرّ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي (ص) وجحودهم الإسلام. وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله (ص) ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه إلّا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام، وكان المسلمون يسألون عنها ... الخ.

وقال الصبان[٢]: وقد نافق جماعة من أهل المدينة، وكان رئيسهم عبدالله بن أُبيّ بن سلول، وهو الذي قال ﴿لَئِنْ رَجَعْنا الى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذلّ﴾[٣] وفيه نزلت سورة المنافقين. واشتدّ حسد يهود المدينة وكثر لغطهم في النبي (ص) وامتحنوه بأشياء كثيرة، فأتى بجوابها على ما يعرفون من الصواب فما يزيدهم إلّا حسداً وسحره منهم لبيد بن الاعصم. الى أن قال: فبعث عليّاً فاستخرج ذلك. ثمّ أحضر (ص) لبيداً فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دنانير جعلتها له اليهود في مقابلة سحره، فعفا عنه ولم يؤثر السحر في عقله (ص) بل في بعض جوارحه، ولهذا لم يكن قادحاً في منصبه.

وأمّا ما في بعض الروايات من أنه يخيل أنه يفعل الشيء ولا يفعله، فقال أبو بكر بن العربي: لا أصل له.

أقول: وقد ذكر ابن هشام في السيرة[٤] جماعة من المنافقين واليهود الذين آذوه وكذبوه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٦٠.
(٢) إسعاف الراغبين ص ٣٦.
(٣) سورة المنافقون / الآية ٨.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٦٨.

واستهزؤا به وسألوه عن أشياء تعنتاً، فأنزل الله فيهم آيات من القرآن:

منهم نبتل بن الحرث، وهو الذي قال له رسول الله (ص) فيما بلغني: مَنْ أحبّ أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث. وكان رجلاً جسيماً أحمر العينين أسفع الخدين، وكان يأتي رسول الله (ص) ويتحدث اليه فيسمع منه ثمّ ينقل حديثه الى المنافقين، وهو الذي قال: انّما محمد أُذُن، مَن حدّثه شيئاً صدّقه، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَمِنهُم الَّذِينَ يُؤذُونَ النبيَّ وَيَقولونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم﴾[1] الآية.

وأبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممن بنى مسجد الضرار. ومعتب الذي قال يوم أُحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، فأنزل الله في ذلك من قوله تعالى ﴿وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[2] الآية، وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ﴿وَإذْ يَقُولُ المنافِقُونَ والَّذينَ في قُلُوبِهم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسولهُ إلّا غُرُوراً﴾[3].

ووديعة بن ثابت، وهو ممن بنى مسجد الضرار، وهو الذي قال: انّما كنّا نخوض ونلعب، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ﴿وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنَّما كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وآياتِهِ وَرَسولِهِ كُنتُمْ تَستَهزِؤن﴾[4] الآية.

وأوس بن قيظي، وهو الذي قال لرسول الله (ص) يوم الخندق: انّ بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع اليها، فأنزل الله تعالى فيه ﴿يَقُولُونَ إنّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هي بعورةٍ إنْ يُريدُونَ إلّا فِراراً﴾[5].

وبشير بن أبيرق، وهو أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله تعالى فيه ﴿ولا تُجادِل عَنِ

---

(١) سورة التوبة / الآية ٦١.
(٢) سورة آل عمران / الآية ١٥٤.
(٣) سورة الأنفال / الآية ٤٩.
(٤) سورة التوبة / الآية ٦٥.
(٥) سورة الأحزاب / الآية ١٣.

الَّذينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُم إنَّ الله لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوّاناً أَثيماً﴾[١].

وضحاك بن ثابت، قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود، وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته فيما بلغني ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر كانوا يدعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم الى رسول الله، فدعوهم الى الحكام حكام أهل الجاهلية، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم آمَنوا بِما أُنزِلَ إلَيكَ وَما أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُريدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إلى الطاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيطانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعيداً﴾[٢] الآية.

والمجد بن قيس وهو الذى قال يا محمد ائذن لي ولا تفتني، فأنزل الله تعالى فيه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولا تَفْتِنِّي ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالكافِرين﴾[٣].

وعبدالله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون، وهو الذي قال ﴿لَئِنْ رَجَعْنا﴾[٤] الآية في غزوة بني المصطلق، وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها.

وفيه وفي وديعة ومالك وسويد وداعس وهم من رهط عبدالله بن سلول، وعبدالله وهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسّون الى بني النضير حين حاصرهم رسول الله أن اثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم، فأنزل الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَئِنْ أُخرِجْتُم﴾[٥] الآية.

ثمّ قال: وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بني قينقاع سعد بن حنيف وزيد بن الصليت ونعمان بن أوفى.

الى أن قال: وزيد بن الصليت هو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله (ص) يزعم محمد

---

(١) سورة النساء /الآية ١٠٧.
(٢) سورة النساء /الآية ٦٠.
(٣) سورة التوبة /الآية ٤٩.
(٤) سورة المنافقون /الآية ٨.
(٥) سورة الحشر /الآية ١١.

أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته. فقال رسول الله وجاءه الخبر بما قال: عدو الله في رحله، ودلّ الله تبارك وتعالى رسوله على ناقته، وقال (ص): وانّي والله ما أعلم إلّا ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمها، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله (ص) كما وصف.

ورافع بن حريملة، وهو الذي قال له رسول الله (ص) فيما بلغنا حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين.

ورفاعة بن زيد وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا، وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤن بدينهم، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله (ص) يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله (ص) فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب خالد ابن زيد الى عمر بن قيس أحد بني النجار كان صاحب آلهتهم في الجاهلية، فأخذ برجله فسحبه حتّىٰ أخرجه من المسجد وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة. ثمّ أقبل أبو أيوب أيضاً الى رافع بن وديعة أحد بني النجار فلببه بردائه ثمّ نتره نتراً شديداً ولطم وجهه ثمّ أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: أف لك منافقاً خبيثاً ادراجك ـ أي ارجع مع الطريق التي جئت يا منافق من مسجد رسول الله (ص).

وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو وكان رجلاً طويل اللحية، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتّىٰ أخرجه من المسجد، ثمّ جمع عمارة يديه جميعاً فلدمه ـ قال ابن هشام اللدم الضرب ببطن الكف ـ بهما في صدره لدمة خرّ منها وهو يقول: خدشتني يا عمارة. قال: أبعدك الله يا منافق فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله.

وقام أبو محمد وهو رجل من بني النجار كان بدرياً الى قيس بن عمرو بن سهل وكان قيس غلاماً شاباً وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره، فجعل يدفع في قفاه حتّىٰ أخرجه من المسجد.

وقام رجل من رهط أبي سعيد الخدري يقال له عبدالله بن الحرث الى رجل يقال له الحرث

ابن عمرو وكان ذا جمة، فأخذ بجمته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتّىٰ أخرجه من المسجد. وقام رجل من بني عمرو بن عوف الى أخيه فأخرجه إخراجاً عنيفاً، فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين وأمر رسول الله (ص) بإخراجهم، ففي هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدر من سورة البقرة الى المائة منها.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: وكان حيي بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصّهم الله تعالى برسوله (ص) وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعوا، فأنزل الله تعالى فيهما ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهل الكِتابِ لَوْ يَرُدّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمانِكُم كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقّ﴾[1] الآية.

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: ولمّا قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله، فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: أما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما ﴿وَقالتِ اليَهودُ لَيسَتِ النَّصارىٰ عَلى شَيءٍ وَقالَتِ النَّصارىٰ ليست اليَهودُ على شَيءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتابَ كَذٰلكَ قالَ الذينَ لا يَعْلَمونَ مِثلَ قَوْلِهِم فالله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامةِ فيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفون﴾[2] أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به ـ أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى (ع) بالتصديق بعيسى (ع) وفي الإنجيل ما جاء به عيسى من تصديق موسى وما جاء به من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما في يد صاحبه.

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: وقال رافع بن حريملة لرسول الله (ص): يا محمد إن كنت رسول من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتّىٰ نسمع كلامه، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله ﴿وَقالَ الَّذينَ لا يَعْلَمونَ لَوْلا يُكَلِّمُنا اللهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذٰلِكَ قالَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تشابَهَتْ

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٠٩.

(٢) سورة البقرة / الآية ١١٣.

قُلوبُهُم قَدْ بَيَّنّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون﴾[١].

ثمّ قال: ودخل رسول الله (ص) بيت المدارس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله، فقال له النعمان بن عمرو والحرث بن زيد: وعلى أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه. قالا: فانّ إبراهيم كان يهودياً. فقال لهما رسول الله: فهلمّ الى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه فأنزل الله تعالى فيهما ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكتابِ يُدْعَونَ إلى كتابِ اللهِ لِيَحكُمَ بَيْنَهُم ثُمَّ يَتَولّىٰ فَرِيقٌ مِنهمْ وَهُمْ مُعرِضُون * ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا لَنْ تَمَسَّنا النّار إلّا أَياماً مَعدُوداتٍ وغَرَّهُمْ في دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْترون﴾[٢] الآية. وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلّا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلّا نصرانياً، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ﴿يا أَهلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ في إبراهيم وَما أُنزِلَت التَوراةُ والإنجيلُ إلّا مِنْ بَعدِهِ أَفلا تَعقِلُون﴾[٣] الى أن قال تعالى ﴿ما كانَ إبْراهِيمُ يَهودِيّاً ولا نَصرانِيّاً وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسلِماً وَما كانَ مِنَ المُشْرِكين * إنَّ أَوْلَى النـاسِ بإبراهيم لَلَّذين اتَّبعوهُ وهذا النَّبيُّ والَّذينَ آمَنُوا واللهُ وَليُّ المؤْمِنين﴾[٤].

وقال عبدالله بن صيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف: تعالوا نؤمن بما انزل على محمد (ص) وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتّىٰ نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَلبِسُونَ الحقَّ بِالباطِلِ وَتَكتُمونَ الحقَّ وأنتُمْ تَعلَمونَ * وقالتَ طائفةٌ مِنْ أهلِ الكِتاب آمِنُوا بالَّذي أُنزلَ على الذِينَ آمَنُوا وَجهَ النَّهارِ واكفُروا آخرهُ لَعَلَّهُمْ يَرجِعُونَ * وَلا تُؤْمِنُوا إلّا لِمَنْ تَبعَ دِينَكُم﴾[٥] الآية.

الى أن قال: قال ابن إسحاق: ولمّا أسلم عبدالله بن سلام وثعلبة وأسيد وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ورسخوا فيه، قالت أحبار اليهود: ما آمن

---

(١) سورة البقرة / الآية ١١٨.
(٢) سورة آل عمران / الآية ٢٣ ـ ٢٤.
(٣) سورة آل عمران / الآية ٦٥.
(٤) سورة آل عمران / الآية ٦٧ ـ ٦٨.
(٥) سورة آل عمران / الآية ٧١ ـ ٧٣.

بمحمد ولا اتبعه إلّا شرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿لَيْسُوا سَواءاً مِنْ أهلِ الكِتابِ أُمّةٌ قائِمَةٌ يَتلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللّيلِ وَهُمْ يَسْجُدون﴾[1] الآية.

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يألُونكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُم قَدْ بَدَت البَغْضاءُ مِنْ أفواهِهِم وما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكبَرُ قَدْ بَيَّنّا لكم الآيات إن كُنتُم تَعقِلونَ * ها أنْتُمْ أولاءِ تُحِبّونَهُم ولا يُحِبّونَكُمْ وتُؤمِنونَ بالكِتابِ كُلِّه﴾[2] أي تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿وَإذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنّا وَإذا خَلَوا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغيظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[3] الآية.

ودخل أبو بكر بيت المدارس على يهود، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم ومعه حبر من أحبارهم يقال له أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انّك لتعلم أن محمداً لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانّه الينا لفقير، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا، وإنّا عنه لأغنياء وما هو عنّا بغني، ولو كان عنّا غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنّا غنياً ما أعطانا الربا. قال: فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك. قال: فذهب فنحاص الى رسول الله (ص) فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله (ص) لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله انّ عدو الله

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١١٣.
(٢) سورة آل عمران / الآية ١١٨ ـ ١١٩.
(٣) سورة آل عمران / الآية ١١٩.

قال قولاً عظيماً، انّه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلمّا قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذينَ قالُوا إنَّ اللهَ فَقيرٌ وَنَحنُ أغنياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبياءِ بِغيرِ حَقٍّ﴾[1] الآية.

الى أن قال: وأتى رسول الله (ص) نعمان وبحرى وشاس، فكلّموه وكلّمهم رسول الله (ص) ودعاهم الى الإسلام وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿وَقالتِ اليَهُودُ والنصارىٰ نَحنُ أَبْناءُ اللهِ وأحِبّاؤهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاء﴾[2] الآية.

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: وقال كعب بن أسد وابن صلويا وعبدالله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فانّما هو بشر. فأتوه فقالوا له: يا محمد انّك قد عرفت انّا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وانّا إن اتبعناك اتبعتك يهود، وانّ بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك. فأبى ذلك رسول الله (ص) عليهم، فأنزل الله فيهم ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَينَهُمْ بِما أنزَلَ اللهُ ولا تَتَّبِع أَهْواءَهُم واحْذَرهُمْ أنْ يَفتِنُوكَ عَنْ بَعضِ ما أَنزَلَ اللهُ إليكَ فإنْ تَوَلَّوا فاعلَمْ أَنَّما يُريدُ اللهُ أنْ يُصيبَهُمْ بِبَعضِ ذُنُوبِهِمْ وإنَّ كثيراً مِنَ النّاسِ لَفاسِقُون * أفحُكمَ الجاهِلِيَّةِ يَبغُونَ وَمَنْ أَحسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنون﴾[3].

ثمّ قال: وأتى رسول الله (ص) رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع ابن حريملة فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق؟ قال: بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها ممّا أخذ الله عليكم

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٨١.

(٢) سورة المائدة / الآية ١٨.

(٣) سورة المائدة / الآية ٤٩ ـ ٥٠.

من الميثاق فيها وكتمتم منها ما أمرتم أن تبيّنوه للناس فبرئت من أحداثكم. قالوا: فانّا نأخذ بما في أيدينا فانّا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يا أهلَ الكِتابِ لَستُمْ على شيءٍ حَتّىٰ تُقِيموا التوارة والإنجيل وما أُنزِلَ إليكُم مِنْ رَبِّكُمْ ولَيَزِيدَنَّ كثيراً مِنْهم ما أُنزِلَ إليكَ منْ رَبِّك طُغياناً وَكُفراً ولا تَأْسَ على القَوْمِ الكافرين﴾[1].

وأتى رسول الله (ص) نفر منهم أبو ياسر بن أخطب ونافع ابن أبي نافع وعازر ابن أبي عازر الى أن عدّ جماعة أُخرى منهم، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال ﷺ: نؤمن بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فلمّا ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنّا إلّا أنْ آمَنّا باللهِ وَما أُنزِلَ إلينا وَما أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأنَّ أكثَرَكُمْ فاسِقون﴾[2].

وأتى رسول الله (ص) النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحرى بن عمرو فقالوا له: يا محمد أما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله (ص): الله لا إله إلّا هو بذلك بعثت والى ذلك أدعو، فأنزل فيهم وفي قوله ﴿قُلْ أيُّ شَيءٍ أكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللهُ شَهيدٌ بَيني وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إلَيَّ هذا القُرآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرىٰ قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إنَّما هُوَ إلهٌ واحدٌ وإنَّني بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ * الَّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعرِفونَهُ كَما يَعرِفونَ أبْناءَهُمْ الَّذينَ خَسِروا أنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤمِنون﴾[3].

وكان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ونافقا، فكان رجال من المسلمين يوادّونهما، فأنزل الله تعالى فيهما ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنوا لا تَتَّخِذوا الَّذينَ اتَّخَذوا دِينَهُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِن الذينَ أُوتُوا الكِتابَ من قَبلِكُمْ والكُفّارَ أوْلياءَ واتَّقُوا اللهَ إنْ كُنتُمْ مؤْمِنين﴾[4]

---

(١) سورة المائدة / الآية ٦٨.
(٢) سورة المائدة / الآية ٥٩.
(٣) سورة الأنعام / الآية ١٩ ـ ٢٠.
(٤) سورة المائدة / الآية ٥٧.

الى قوله ﴿وَإذا جاؤُوكُمْ قالُوا آمَنّا وَقَدْ دَخَلُوا بالكُفرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ واللهُ أَعلَمُ بما كانوا يَكْتُمُون﴾[١].

وقال جبل بن أبي قشير وشمويل بن زيد لرسول الله: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول؟ فأنزل الله تعالى فيها ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الساعَةِ أَيّانَ مُرْسيها قُلْ إِنَّما عِلمُها عِندَ رَبّي لا يُجَلّيها لِوَقتِها إلّا هُوَ ثَقُلَتْ في السَّماواتِ والأَرضِ لا تَأْتِيكمْ إلّا بَغْتَةً يَسْئَلونَكَ كَأَنّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ وَلكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَعلَمُون﴾[٢].

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله (ص) سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وجماعة أُخرى فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم ﴿وَقالتِ اليَهُودُ عُزَيرٌ ابنُ اللهِ وَقالتِ النَّصارى المسيحُ ابنُ اللهِ ذٰلِكَ قَولُهُمْ بأَفواهِهِمْ يُضاهِئُونَ قَولَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ قَبلُ قاتلَهُمُ اللهُ أَنّىٰ يُؤفَكون﴾[٣].

قال ابن هشام: يضاهئون أي يشاكل قولهم قول الذين كفروا ... الخ.

ثمّ قال: قال ابن إسحاق: وحدثت عن سعيد بن جبير أنه قال: أتى رهط من يهود الى رسول الله (ص) فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ فغضب رسول الله (ص) حتّىٰ انتقع لونه، ثمّ ساورهم غضباً لربّه. قال: فجاءه جبريل فسكّنه فقال: خفض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصمدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد﴾[٤] قال: فلمّا تلى عليهم قالوا: فصف لنا يا محمد كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله (ص) أشدّ من الأول وساورهم، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قاله أول مرة وجاءه من الله بجواب ما سألوه بقول الله تعالى ﴿وَما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ والأَرضُ جَميعاً قَبضَتُهُ يَومَ القِيامة والسماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبحانَهُ وَتعالى عَمّا

---

(١) سورة المائدة / الآية ٦١.
(٢) سورة الأعراف / الآية ١٨٧.
(٣) سورة التوبة / الآية ٣٠.
(٤) سورة الاخلاص / الآية ١ ـ ٤.

يُشرِكُون﴾[١].

وقال الزيني دحلان[٢]: وقد سأل علماء اليهود النبي (ص) عن أشياء كثيرة فأجابهم عنها، منها أنهم سألوه مرة فقالوا: اخبرنا عن علامة النبي. فقال (ص): تنام عيناه ولا ينام قلبه. وسألوه عن طعام حرّمه إسرائيل على نفسه. قال (ص): أنشدكم بالذي نزّل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل وهو يعقوب مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرّمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها. قالوا: اللّهم نعم ـ أي حرّمها ردعاً لنفسه ومنعاً لها من شهواتها. ثمّ قال: وذكر سبب نزول قوله تعالى ﴿كُلُّ الطَّعامِ كان حِلاًّ لِبَني إسْرائيلَ إلّا ما حَرَّم إسْرائيلُ على نَفْسِه﴾[٣]. قول اليهود له: كيف تقول انّك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها، وكان ذلك محرّماً على نوح وإبراهيم حتّىٰ انتهى الينا فنحن أولى بإبراهيم منك ومن غيرك. فأنزل الله تعالى الآية تكذيباً لهم بأن هذا انّما حرّمه يعقوب على نفسه وهو متأخر عن إبراهيم ونوح فكيف يكون محرماً عليهما، ومن ثمّ جاء ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فاتْلُوها إن كُنْتُمْ صادِقين﴾[٤] ... الخ.

وقال الحلبي[٥]: وجاءه (ص) جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا: يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال (ص): لا. فقالوا: والذي تحلف به ما نحن إلّا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالليل إلّا كفّر عنا بالنهار، وما ذنب نعمله بالنهار إلّا كفّر عنا بالليل. فأنزل الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذينَ يُزَكّونَ أَنفُسَهُم﴾[٦] الآية انتهى.

---

(١) سورة الزمر / الآية ٦٧.
(٢) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٨٠.
(٣) سورة آل عمران / الآية ٩٣.
(٤) سورة آل عمران / الآية ٩٣.
(٥) السيرة الحلبية ٢ / ١١٩.
(٦) سورة النساء / الآية ٤٩.

صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة

قال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ أي السنة الثانية من الهجرة ـ حوّلت القبلة الى الكعبة. قال: كان النبي (ص) يصلّي بمكة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، فلمّا عرج به (ص) الى السماء أمر بالصلوات الخمس، فصارت الركعتان في غير المغرب للمسافر وللمقيم أربع ركعات، فلمّا هاجر النبي (ص) الى المدينة وأمر أن يصلّي نحو بيت المقدس لئلا تكذبه اليهود لأن نعته في التوراة أنه صاحب القبلتين وكانت الكعبة أحب القبلتين الى النبي فأمره الله تعالى أن يصلّي الى الكعبة.

ثمّ قال: قال محمد بن حبيب الهاشمي: حوّلت في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان. الى أن قال: فصلّى بأصحابه (ص) في المسجد القبلتين ركعتين من الظهر الى الشام ثمّ أمر أن يستقبل الكعبة وهو راكع في الركعة الثانية، فاستدار الى الكعبة ودارت الصفوف خلفه ثمّ أتمّ الصلاة فسمّي مسجد القبلتين.

وقال الواقدي: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وعن البراء على رأس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وعن السدي على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجرته.

وقال: وفي هذه السنة كان بناء مسجد قباء، روي عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا صرفت القبلة الى الكعبة أتى رسول الله (ص) مسجد قباء فقدم جدار المسجد الى موضعه اليوم

وأسسه بيده، ونقل رسول الله (ص) وأصحابه الحجارة لبنائه، وكان يأتيه كل سبت ماشياً ... الخ.

وقال محمد بن سعد[١]: انّ رسول الله (ص) لمّا هاجر الى المدينة صلّى الى بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يحب أن يصرف الى الكعبة. الى أن قال: وجعل إذا صلّى الى بيت المقدس يرفع رأسه الى السماء، فنزلت عليه ﴿قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضيٰها﴾[٢] فوجه الى الكعبة الى الميزاب.

ويقال صلّى رسول الله (ص) ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثمّ أمر أن يوجه الى المسجد الحرام، فاستدار اليه ودار معه المسلمون ... الخ.

وروى محمد بن سعد بسنده عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان رسول الله (ص) وهو بمكة يصلّي نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر الى المدينة ستة عشر شهراً ثمّ وجه الى الكعبة ... الخ.

وقال الحلبي[٣]: وحولت القبلة في شهر رجب من السنة المذكورة التي هي الثانية في نصفه، وقيل في نصف شعبان، قال بعضهم وعليه الجمهور الأعظم، وقيل كان في جمادي الآخرة، فقد قيل أنه (ص) صلّى في المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهراً وقيل سبعة عشر شهراً وقيل أربعة عشر شهراً، وقيل غير ذلك.

وتقدم أنه (ص) صلّى في مسجده بعد تمامه خمسة أشهر، والأكثرون على أن تحويلها كان في صلاة الظهر، وقيل العصر، وفي الصحيحين عن البراء: أن أول صلاة صلّاها رسول الله (ص) الى الكعبة صلاة العصر، وقد يقال لا منافاة لجواز أن يكون المراد أول صلاة صلّاها كلها الى الكعبة صلاة العصر، لأن الظهر صلّى نصفها الأول الى بيت المقدس ونصفها الثاني الى الكعبة.

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٤١.

(٢) سورة البقرة / الآية ١٤٤.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ١٢٨.

ثمّ قال: وانّما حوّلت لأنه (ص) كان يعجبه أن تكون قبلته الكعبة، سيّما لمّا بلغه أن اليهود قالوا: يخالفنا محمد (ص) ويتبع قبلتنا، وفي لفظ قالوا للمسلمين: لو لم نكن على الهدى ما صلّيتم لقبلتنا فاقتديتم بنا، وفي لفظ: كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقته إبراهيم وإسماعيل وكراهة لموافقة اليهود، ولقول كفار قريش للمسلمين: لِمَ تقولون نحن على ملة إبراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلّون الى قبلة اليهود، ولأنه (ص) لمّا هاجر صار إذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة، فشق ذلك عليه، فقال لجبريل: وددت أن الله سبحانه وتعالى صرفني عن قبلة اليهود. فقال جبريل: انّما أنا عبد لا أملك لك شيئاً إلّا ما أُمرت به فادع الله تعالى، فكان رسول الله (ص) يدعو الله تعالى ويكثر إذا صلّى الى بيت المقدس من النظر الى السماء ينتظر أمر الله ... الخ.

وقال ابن هشام[1]: قال ابن إسحاق: ولمّا صرفت القبلة من الشام الى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة أتى رسول الله (ص) رفاعة بن قيس وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي رافع والحجاج بن عمرو، الى أن عدّ جماعة منهم، فقالوا: يا محمد ما ولّاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك. وانّما يريدون فتنته عن دينه، فأنزل الله تعالى ﴿سَيَقولُ السُّفَهاءُ مِنَ الناسِ ما وَلّاهُم عن قِبْلَتِهِمُ التي كانوا عَلَيها قُلْ لله المشرِقُ والمغرِبُ يَهدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستقيم * وكذلك جَعَلناكُم أُمَّةً وسطاً﴾[2] ـ يقول عدلاً ـ ﴿لِتَكُونوا شُهَداءَ على الناسِ ويكونَ الرَسُولُ عَلَيكُم شَهيداً وما جَعلنا القِبلَةَ التي كُنتَ عَليها إلّا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ على عَقِبَيه﴾ أي ابتلاءً واختباراً ﴿وَإنْ كانَتْ لَكَبيرةً إلّا عَلَى الَّذِين هَدَى الله﴾ أي من الفتن ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُم﴾ أي بالقبلة الأُولى وتصديقكم نبيكم واتباعكم إيّاه الى القبلة الآخرة، أي ليعطينكم أجرهما جميعاً ﴿إنَّ اللهَ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩٨.

(٢) سورة البقرة / الآية ١٤٢ ـ ١٤٣.

بالناسِ لَرَؤُوفٌ رَحيم﴾[١]. ثمّ قال تعالى ﴿قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجهِكَ في السماءِ فَلَنُوَلِّيَنّك قِبلةً تَرضيٰها فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المسجِدِ الحرام﴾[٢] أي نحوه ﴿وَحَيثُ ما كُنتُم فَوَلُّوا وُجوهَكُم شَطرَهُ وإنَّ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعلَمونَ أَنَّهُ الحقُّ مِن رَبِّهِمْ وما اللهُ بِغافلٍ عَمّا يَعمَلونَ * وَلَئِنْ أَتيتَ الَّذين أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعوا قِبلَتَكَ وما أنت بِتابعٍ قِبلَتَهُمْ وَما بَعضُهُم بِتابعٍ قِبلةَ بَعضٍ وَلَئِن اتبَعتَ أَهْوائَهُمْ مِن بَعدِ ما جاءَك مِنَ العِلمِ إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظالمين﴾[٣].

قال ابن إسحاق: الى قوله تعالى ﴿الحقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكونَنَّ مِنَ المُمْتَرِين﴾[٤] وسأل معاذ بن جبل وسعد بن معاذ وخارجة بن زيد نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم وأبوا أن يُخبروهم عنه، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿إنَّ الَّذينَ يَكتُمونَ ما أنزَلنا مِنَ البَيِّناتِ والهُدى مِنْ بَعدِ ما بَيَّنّاهُ لِلناسِ في الكِتابِ أولئكَ يَلْعَنُهُمْ اللهُ ويَلْعَنُهُمُ اللّاعنون﴾[٥] انتهى.

وقال الشبلنجي[٦]: وفي السنة الثانية من الهجرة في نصف شعبان حوّلت القبلة الى الكعبة.

وقال الصبان[٧]: وفي هذه السنة حوّلت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة والنبي (ص) يصلّي بأصحابه صلاة الظهر عند الأكثر، فوقع نصفها الى بيت المقدس ونصفها الى الكعبة. انتهى.

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٤٣.
(٢) سورة البقرة / الآية ١٤٤.
(٣) سورة البقرة / الآية ١٤٤ ـ ١٤٥.
(٤) سورة البقرة / الآية ١٤٧.
(٥) سورة البقرة / الآية ١٥٩.
(٦) نور الأبصار ص ٤٤.
(٧) إسعاف الراغبين ص ٤٠.

فرض الصوم وزكاة الفطرة وصلاة العيدين

قال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ يعني السنة الثانية ـ نزلت فريضة رمضان في شعبان هذه السنة وأمر بزكاة الفطر، على ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نزل فرض رمضان بعد ما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله (ص) فأمر رسول الله (ص) في هذه السنة بزكاة الفطر، وذلك قبل أن يفرض الزكاة من الأموال، وأمر (ص) أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب، وقال محمد بن سعد[1] أو مدّان من بر أو مدّ من بر، وكان يخطب قبل الفطر بيومين فيأمر بإخراجها قبل أن يغدوا الى المصلّى.

وفي هذه السنة خرج رسول الله (ص) يوم العيد فصلّى بالناس صلاة العيد، وحملت بين يديه العنزة الى المصلّى فصلّى اليها، وكانت هذه الحربة للنجاشي فوهبها للزبير بن العوام، فكانت تحمل بين يدي رسول الله (ص) في الأعياد. انتهى.

وروى محمد بن سعد[2] بسنده عن ربيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال: نزل فرض شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله (ص) ... الخ. نحو ما مرّ من قول الكازروني اليماني مع هذه الزيادة، وهي أنه قال (ص):

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٤٨.

(٢) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٤٨.

اغنوهم ـ يعني المساكين ـ وكان يقسمها إذا رجع ـ يعني زكاة الفطر ـ. وصلّى رسول الله (ص) صلاة العيد يوم الفطر بالمصلّى قبل الخطبة، وصلّى العيد يوم الأضحى وأمر بالأُضحية، وأقام بالمدينة عشر سنين يضحي في كل عام. الى أن قال: قالوا وكان يصلّي العيدين قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة. وكان تحمل العنزة بين يديه، وكانت العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثمّ قال: قالوا وكان رسول الله (ص) إذا أضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلّى وخطب أتى بأحدهما وهو قائم في مصلّاه فذبحه بيده بالمدية ثمّ يقول: اللّٰهم هذا عن أُمتي جميعاً مَنْ شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ، ثمّ يؤتى بالآخر فيذبحه هو عن نفسه بيده ثم يقول: هذا عن محمد وآل محمد، فيأكل هو وأهله منها ويطعم المساكين. انتهى ما نقله محمد بن سعد.

وقال الزيني دحلان[1]: وفي شهر رجب هذا ـ يعني السنة الثانية ـ حوّلت القبلة الى الكعبة بعد أن كانوا يصلّون الى بيت المقدس، وفي شعبان فرض صيام رمضان ثمّ زكاة الفطر، وأمّا زكاة المال فقيل فرضت في هذا الشهر أيضاً وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة. والله أعلم. انتهى.

وقال الحلبي[2]: ثمّ في السنة المذكورة التي هي الثانية فرض صوم رمضان، وفرضت زكاة الفطر وطلبت الأُضحية أي استحباباً. وعن أبي سعيد الخدري: فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان. الحديث.

ثمّ قال الحلبي: وكان (ص) يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من كل شهر، وهي الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوباً، فعن ابن عباس كان رسول الله (ص) لا يفطر الأيام البيض في حضر ولا سفر، وكان يحث على صيامها. الى أن قال: والمشهور من مذهبنا معاشر الشافعية انّه لم يجب على هذه الأُمة صوم

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ١ / ١٨٩.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ١٣٢.

قبل رمضان، وحديث ابن عباس لا دلالة فيه على الوجوب، لجواز أن يكون شأنه (ص) صيام تلك الأيام على الوجه المذكور حتّىٰ بعد فرض رمضان. الى أن قال: وقوله تعالى ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبلِكُم﴾[1] جاء في بعض الروايات انّ المراد بهم أهل الكتاب ـ أي اليهود والنصارى ـ وجاء في بعضها أن المراد بهم النصارى خاصة، وجاء في بعض الروايات أن المراد بهم جميع الأُمم السابقة، فقد جاء: ما من أُمّة إلّا وجب عليها صوم رمضان إلّا أنهم أخطؤه ولم يشهدوا له. وهذه الرواية تدل على أنه لم يصمه أحد من الأُمم السابقة، فصومه من خصوصيات هذه الأُمة.

وفي الأنساب لابن قتيبة: أول من صام رمضان نوح (ع).

ثمّ قال الحلبي: وفي بعض الروايات ما يفيد أن النصارى صامته واتفق أنه وقع في بعض السنين في شدة الحر، فاقتضى رأيهم تأخيره بين الصيف والشتاء وأن يزيدوا في مقابلة تأخيره عشرين يوماً. وعلى هذا فصومه ليس من خصائص هذه الأُمة. وقيل التشبيه انّما هو في مطلق الصوم لا في خصوص صوم رمضان، لأنه كان الواجب على جميع ما تقدم من الأُمم صوم ثلاثة أيام من كل شهر، صام ذلك نوح فمن دونه، حتّىٰ صام النبي (ص) كما تقدم.

ثمّ قال: وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين، وكان (ص) يخطب قبل العيد يعلم الناس زكاة الفطر فيأمر بإخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد، وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الأموال، وقيل فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة، وأمر (ص) أن تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو صاع من بر، فكان يصلّي العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة. الى أن قال: وكان تحمل العنزة بين يديه، فإذا وصل المصلّى نصبت تجاهه، وهي عصا قدر نصف الرمح في أسفلها زج من حديد، وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فأخذها منه رسول الله وكان يصلّي اليها، ولمّا قبض (ص) أخذها الزبير ثمّ طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلمّا قبض أبو بكر أخذها الزبير ثمّ سألها عمر فأعطاه إياها، فلمّا قبض عمر

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٨٣.

أخذها ثمّ طلبها عثمان فأعطاه إياها، فلمّا قُتِل دُفِعت الى علي ثمّ أخذها عبدالله بن الزبير فكانت عنده حتّىٰ قتل. وكان (ص) إذا رجع من صلاة عيد الفطر وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين.

الى أن قال: وكان في مسجده (ص) يوم الجمعة قبل أن يوضع له المنبر يخطب وهو مستند الى جذع عند مصلّاه في الحائط القبلي، فلمّا كثر الناس وقالوا له: لو اتخذت شيئاً تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس وتُسمِعهم خطبتك. فقال (ص): ابنوا لي منبراً، فلمّا بني له المنبر فكان ثلاث درجات وقام عليه في يوم جمعة وخطب، وفي لفظ لمّا عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هائل سمعه أهل المسجد حتّىٰ ارتجّ ـ أي اضطرب ـ المسجد وكثر بكاء الناس لذلك، ولا زالت تحنّ حتّىٰ تصدّعت وانشقت. وفي رواية سمع له صوت كصوت العشار ـ أي النوق التي أتى لحملها عشرة أشهر ـ وقيل التي أخذ ولدها، وفي بعض الروايات كحنين الناقة الحلوج وهي التي انتزع ولدها منها، فنزل (ص) فالتزمها وحضنها فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت فيسكت ... الخ.

وروى محمد بن سعد[1] بسنده عن جماعة أنهم قالوا: كان رسول الله (ص) يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائماً، فقال: انّ القيام قد شقّ عليَّ. فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام، فشاور رسول الله (ص) المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذه. فقال العباس بن عبدالمطلب: انّ لي غلاماً يقال له كلاب أعمل الناس. فقال رسول الله (ص): مره أن يعمله. فأرسله الى أثلة بالغابة يعني شجرة فقطعها ثمّ عمل منها درجتين ومقعداً ثمّ جاء به فوضعه في موضعه اليوم، فجاء رسول الله (ص) فقام عليه وقال: منبري هذا ترعة من ترع الجنة وقوائم منبري رواتب في الجنة، وقال: منبري على حوضي، وقال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة.

ثمّ قال: وكان رسول الله (ص) إذا صعد على المنبر سلّم، فإذا جلس أذّن المؤذن، وكان يخطب خطبتين، وكان يجلس جلستين، وكان يشير بإصبعه ويؤمن الناس، وكان يتوكأ على

---

(١) الطبقات لابن سعد ١ / ٢٤٩.

عصا يخطب عليها يوم الجمعة، وكان إذا خطب استقبله الناس بوجوههم وأصغوا بأسماعهم ورمقوه بأبصارهم، وكان يصلّي الجمعة حين تميل الشمس، وكان له برد يمنية طوله ست أذرع في ثلاث أذرع وشبر وإزار من نسج عمان طوله أربع أذرع وشبر في ذراعين وكان يلبسهما في يوم الجمعة ويوم العيد ثمّ يطويان.

ثمّ روى بسنده عن ابن شهاب قال: حدثني من سمع جابر بن عبدالله يقول: انّ رسول الله (ص) كان يقوم الى جذع نخلة منصوب في المسجد، حتّىٰ إذا بدا له أن يتخذ المنبر شاور ذوي الرأي من المسلمين فرأوا أن يتخذه، فاتخذه رسول لله (ص) فلمّا كان يوم الجمعة أقبل رسول الله حتّىٰ جلس على المنبر، فلمّا فقده الجذع حنّ حنيناً أفزع الناس، فقام رسول الله (ص) من مجلسه حتّىٰ انتهى اليه فقام اليه ومسّه فهدأ، ثمّ لم يسمع له حنين بعد ذلك اليوم.

وروى أيضاً بسنده عن طفيل بن أُبي بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله (ص) يصلّي الى جذع إذ كان المسجد عريشاً فكان يخطب الى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة حتّىٰ يراك الناس وتسمعهم خطبتك؟ قال: نعم. فصنع له ثلاث درجات، فلمّا صنع المنبر ووضع في موضعه وأراد رسول الله أن يقوم على المنبر فمرّ اليه فخار الجذع حتّىٰ تصدع وانشق، فنزل رسول الله (ص) فمسحه بيده حتّىٰ سكن، ثمّ رجع الى المنبر، وكان إذا صلّى صلّى الى ذلك الجذع، فلمّا هدم المسجد وغيّر أخذ ذلك الجذع أُبي بن كعب، فكان عنده في داره.

وروى أيضاً بسنده عن ابن عباس أن النبي (ص) كان يخطب الى جذع، فلمّا اتخذ المنبر فتحول اليه حنّ الجذع حتّىٰ أتاه فاحتضنه فقال: لو لم احتضنه لحنّ الى يوم القيامة.

ثمّ روى بسنده عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن المنبر من أي عود هو؟ فقال: أرسل رسول الله (ص) الى فلانة امرأة سمّاها فقال: مري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أكلّم الناس عليها، فعمل هذه الثلاث الدرجات من طرفاء الغابة، فأمر رسول الله (ص) فوضعت هذا الموضع. قال سهل: فرأيت رسول الله (ص) أول يوم جلس عليه كبّر فكبّر الناس خلفه ثمّ ركع وهو على المنبر ثمّ رفع، فنزل القهقرى فسجد في أصل المنبر ثمّ عاد حتّىٰ

فرغ من صلاته فصنع فيها كما صنع في الركعة الأُولى فلمّا فرغ أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس انّما صنعت هذا لتأتمّوا بي ولتعلموا صلاتي.

وروى بسنده عمن سمع عن جابر بن عبدالله يقول: كان المسجد في زمان النبي (ص) مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان (ص) إذا خطب يقوم الى جذع منها، فلمّا صنع له المنبر فكان عليه. قال: فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتّىٰ جاءه النبي (ص) فوضع يده عليه.

وفي رواية أيضاً التي رواها محمد بن سعد بسنده عن النبي (ص) أنه قال: ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة ... الخ.

وقال العلّامة محمد رضا في كتابه: وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: كان النبي (ص) يخطب الى جذع، فلمّا اتخذ المنبر تحول اليه، فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه ولا شك أن حنين الجذع من معجزاته (ص).

وحديث الجذع مشهور رواه من الصحابة بضعة عشر، وكان المنبر في خشب الأثل ومن درجتين وله مجلساً. الى أن قال: فكان رسول الله (ص) يقعد على عملياهن ويضع رجليه الكريمتين في وسطاهن، فلمّا ولي أبو بكر قعد على وسطاهن ووضع رجليه على أُولاهن، فلمّا ولي عمر جلس على أُولاهن ووضع رجليه على الأرض، وفعل ذلك عثمان صدراً من خلافته ثمّ ترقى الثالثة، ولمّا أن صار الأمر الى معاوية أراد نقل المنبر الى الشام. فضجّ المسلمون، فلمّا رأى ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفله فبلغ تسع درجات. انتهى.

أقول: ومن جملة معجزاته التي ذكرها القوم في كتبهم انتقال وباء المدينة الى الجحفة بدعائه (ص).

قال الشبلنجي: روي أن هواء المدينة كان عفناً وخماً وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية، فإذا دخلها غريب يقال له: إذا أردت أن تسلم من الوعك والوباء فانهق مثل الحمار، فإذا فعل سلم، فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق مزاجهم، فمرض كثير منهم وضعفوا حتّىٰ لم يقدروا على الصلاة قياماً.

الى أن قال: وفي البخاري عن عائشة أنها قالت: لمّا قدم رسول الله (ص) المدينة وعك أي حمّ أبو بكر وبلال. الى أن قال: قالت عائشة: فجئت الى رسول الله (ص) فأخبرته فقال: اللهم حبّب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدّها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة.

قال القسطلاني: وكانت ـ يعني الجحفة ـ إذ ذاك مسكن اليهود وهي الآن ميقات مصر، وفيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك وإظهار معجزاته، فانّ الجحفة من يومئذ لا يشرب أحد من مائها الّا حمّ. انتهى.

وقال الصبان[1]: وكانت المدينة كثير الوباء، فزال ونقل الله منها الحمى الى الجحفة ببركة دعائه (ص) حتّىٰ أصابت كثيراً من المهاجرين كأبي بكر وعائشة وبلال وعامر بن فهيرة. انتهى.

وقال الزيني دحلان: وكان بلال إذا قلعت عنه الحمى يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي أذخر وجليل

إلى أن قال: اللّٰهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأُمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء. قالت عائشة: فجئت الى رسول الله (ص) فأخبرته وقلت: يا رسول الله انّهم ليهذون ـ تعني أبا بكر وعامر بن فهيرة وبلال ـ وما يعقلون من شدة الحمى، فنظر (ص) الى السماء وقال: اللّٰهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللّٰهم بارك لنا في صاعها ومدّها وصححها لنا، وانقل حماها الى الجحفة. فاستجاب الله له فطيّب هواها وترابها وساكنها العيش بها، حتّىٰ أن من أقام بها يجد من تربتها أو حيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها.

وقد تكرر دعاءه ﷺ بتحبيب المدينة والبركة في ثمارها.

قال العلّامة الزرقاني: والظاهر أن الإجابة حصلت بالأولى والتكرير لطلب المزيد، وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفي المد بها ما لا يكفيه بغيرها، وهذا أمر محسوس لمن سكنها،

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٣٦.

ونقل الله حماها الى الجحفة، والمراد الحمى الشديدة الثقل الوبيئة، فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الّا حم وسقط. انتهى.

تزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام

قال الكازروني اليماني: وفي هذه السنة ـ يعنى السنة الثانية من الهجرة ـ تزوج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة بنت رسول الله (ص) في صفر لليال بقين منه وبنى بها في ذي الحجة، وقد روي أنه تزوجها في رجب بعد مقدم رسول الله المدينة بخمسة أشهر وبنى بها مرجعه من بدر، والأول أصح.

وكانت فاطمة يوم بنى بها بنت ثمان عشرة. ثمّ قال: روى عن علياء بن أحمر أن أبا بكر خطب فاطمة الى النبي (ص) فقال: يا أبا بكر انتظر بها القضاء، فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردّك يا أبا بكر. ثمّ انّ أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة الى النبي (ص) فخطبها فقال له مثل ما قال لأبي بكر انتظر القضاء، فجاء عمر الى أبي بكر فأخبره فقال له: ردّك يا عمر ثمّ انّ أهل علي قالوا لعلي اخطب فاطمة الى رسول الله (ص)، فقال بعد أبي بكر وعمر، فذكروا له قرابته من النبي صلى الله عليه وآله فخطبها فزوجها النبي، فباع بعيراً وبعض متاعه فبلغ أربعمائة وثمانين درهماً، فقال له النبي (ص): اجعل ثلثين في الطيب وثلثاً في المتاع.

وروى عن عباد بن منصور قال: سمعت عطاء يقول: خطب علي فاطمة فقال له النبي (ص): ما تصدقها؟ قال: ما عندي ما أصدقها. قال: فأين درعك الحطمية؟ قال: عندي. قال: أصدقها إيّاها، فأصدقها فتزوجها.

الحطمية منسوبة الى بني حطمة بن محارب حي كانوا يعملون الدروع، وقيل هي من شر الدروع، وقيل العريضة الثقيلة التي هي تحطم السيوف أي تكسرها.

وليس بعض هذه الأقوال خلافاً للبعض، بل يجوز أن يكون عريضة ثقيلة، ويكون من شر الدروع لثقلها، ويكون من نسج بني حطمة. ودرع الحديد تؤنث في اللفظ.

وروى عن بريدة قال: أتى علي رسول الله (ص) فسلّم عليه فقال: ما حاجة ابن أبي

طالب؟ قال: ذكرت فاطمة. قال: مرحباً وأهلاً، لم يزده عليهما فخرج علي على رهط من الأنصار فقالوا: ما ورائك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً. قالوا: يكفيك من رسول الله (ص) إحديهما أعطاك الأهل وأعطاك الرحب. فلمّا كان بعد زوّجه، فقال علي (ع): لا بدّ للعرس من وليمة. فقال سعد: عندي كبش ... الخ.

وفي بعض الروايات أنه جعل صداقها درعه، فباعه بأمر رسول الله (ص) من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهماً، فجاء بها في طرف ثوبه فوضعها بين يدي رسول الله، فقال رسول الله: كم هي؟ فلم يخبره علي كم هي، فقبض رسول الله ﷺ قبضة فقال: يا بلال ابتع بها طيباً لفاطمة، ثمّ قال رسول الله (ص) لأمّ سلمة: جهّزوا بها فاطمة، فأخذت أُم سلمة البقية فوجدتها مأتين ... الخ.

وروي أن رسول الله (ص) حين زوّج فاطمة من علي خطب هذه الخطبة: «الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب اليه فيما عنده، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأحكمهم بحكمته، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد. ثمّ انّ الله عزّ وجلّ جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً نسج بها الأنام ـ وفي رواية: أوشح بها الأرحام وألزمها الأنام ـ فقال عزّ وجلّ ﴿وَهُو الذي خَلَق مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهراً وكانَ رَبُّكَ قديراً﴾[1]، فأمر الله تعالى يجري قضائه، وقضاه يجري الى قدره، وقدره يجري الى أجله، فلكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. ثمّ انّ الله أمرني أن أُزوج ابنتي فاطمة من علي، وقد زوجته على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت يا علي؟ فقال علي: رضيت عن الله ورسوله. فقال: جمع الله شملكما» ... الخ.

وروى الزبير بن بكار قال: حدثنا عمي مصعب قال: لمّا أراد النبي (ص) أن يزوج علي بن أبي طالب فاطمة قال له: يا علي اخطب لنفسك. فقال: الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلّا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلّى الله على محمد صلاة تزلفه وترضيه،

---

(١) سورة الفرقان / الآية ٥٤.

والنكاح مما أمر الله به ورضيه، واجتماعنا مما قدر الله وأذن فيه، وقد زوجني رسول الله (ص) فاطمة ابنته على إثنتي عشرة أوقية، فسلوه واشهدوا به. انتهى ما نقله الكازروني اليماني.

وقد وقع الفراغ من الجزء الأول من كتاب «حياة النبي» في التاسع والعشرين من شهر الصيام في سنة ١٣٧١، وقد ألّفه الأحقر أقل خدمة أهل العلم محمد بن حبيب الله قوام الدين القمي الوشنوي في البلدة الطيبة قم حرم الأئمة عليهم السلام. ويليه إن شاء الله الجزء الثاني في باب المغازي وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

المقدمة	٧
المؤلف	٧
مشايخه	٧
شيخه في الرواية	٨
مؤلفاته المطبوعة	٨
مؤلفاته غير المطبوعة	١١
ختامه مسك	١٤
بعض مصادر هذا الكتاب	١٥
نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٢٢
أُم رسول الله (ص)	٢٤
تزويج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة بنت وهب	٢٤
المرأة التي عرضت نفسها على عبدالله	٢٥
وفاة عبدالله ومدة عمره	٢٦
مولد رسول الله (ص)	٢٦

الحوادث والآيات التي ظهرت في أيام حمله وليلة ولادته (ص) ٣٠
أسماء رسول الله (ص) وكنيته ٣٩
ذكر مرضعاته (ص) ٤٢
وفاة أُمّه (ص) وحضانة أُمّ أيمن له وكفالة جدّه (ص) عبدالمطلب إيّاه ٤٤
ذكر ايمان والدَي النبي (ص) بل آبائه وأُمّهاته من لدن آدم إلىٰ أبيه وأُمّه ٥٠
وفاة عبدالمطلب وكفالة عمّه أبي طالب ٥٢
حضوره (ص) حرب الفجار ٥٧
شهوده (ص) حلف الفضول ٥٩
خروج رسول الله (ص) إلى الشام في المرة الثانية ٦١
حياة خديجة مع النبي (ص) ٦٣
تزويج رسول الله (ص) خديجة بنت خويلد ٦٣
حكم رسول الله (ص) بين قريش في وضع الحجر ٧١
علامات النبوة في رسول الله (ص) قبل أن يوحي الله اليه واخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارىٰ بنبوته (ص) ٧٥
مبعث رسول الله (ص) ٨٠
شدة الوحي على النبي (ص) ٨٧
أول من آمن بالله وصدّق رسوله (ص) ٨٨
أول من صدّقه بما جاء من عند الله بعد خديجة ٨٩
ظهور الإسلام بعد مبعثه (ص) بثلاث سنين ١٠٥
دفاع أبي طالب عن النبي (ص) ١١١
تعذيب المستضعفين من المسلمين ١٢٠
ابتلاء المستهزئين وهلاكتهم ١٢٢

إسلام حمزة بن عبدالمطلب	١٢٥
أول من جهر بالقرآن من أصحاب النبي	١٢٩
المسلمون في أرض الحبشة	١٣١
الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة	١٣١
الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة	١٣٣
إرسال قريش الرسولين إلى النجاشي في طلب المهاجرين	١٣٤
رجوع المهاجرين في الهجرة الأولى إلى مكة	١٣٨
إسلام بعض الصحابة	١٣٩
إجتماع المشركين علىٰ منابذة بني عبد مناف وكتابة الصحيفة	١٥٠
سبب خروج بني هاشم وبني المطلب من الشعب ونقض الصحيفة	١٥٦
وفاة أبي طالب وخديجة	١٦٣
إسلام وفد نجران	١٦٨
بدء انتشار الإسلام	١٦٩
خروج رسول الله إلى الطائف	١٦٩
دعوة رسول الله القبائل إلى الله تعالىٰ	١٧٥
قصة الاسراء	١٨٠
المعراج وكيفية فرض الصلاة في ليلة الاسراء	١٨٠
فوائـد	١٩٩
بيعة العقبة وإسلام الأنصار	٢٠١
الهجرة إلى المدينة	٢١٦
إذن رسول الله (ص) للمسلمين في الهجرة إلى المدينة	٢١٦
سبب هجرة النبي (ص) إلى المدينة	٢٢١

هجرة النبي (ص) إلى المدينة ٢٣٣
خروج رسول الله من قباء متوجهاً إلى المدينة ٢٥٥
معاهدة رسول الله مع اليهود ٢٧٨
معاهدة اليهود للنبي (ص) ٢٨٣
صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة ٢٩٨
فرض الصوم وزكاة الفطرة وصلاة العيدين ٣٠٢
تزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام ٣٠٩